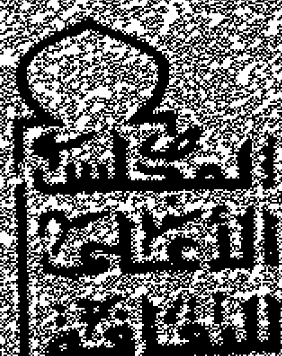
المجلس الأعلى للثقافة

ديوان المازني

تولى مراجعته وضبطه وتفسيره

محمود عماد



١٩٩٩

اهـــــداء2004
المطابع الأميرية
القاهرة

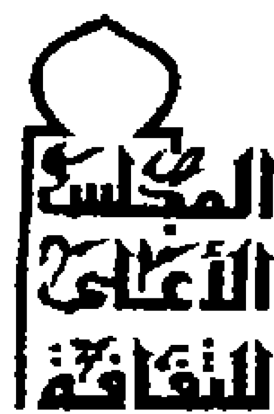
ديوان المازني

المجلس الأعلى للثقافة

ديوان المازني

تولى مراجعته وضبطه وتفسيره

محمود عماد



١٩٩٩

المازني وشعره

نظم الشاعر هـذا الـ   شعر يومـا وارتضاه
وبيـوم آخـر أنـ   ـكره ثم نفـاه
قـال إن الشعـر فـن   ما لـه عنـدى أداه
والـذى سطرت منـه   دون ما قـلبي وعـاه
وأوى لا ينـظم الـ   ـشعر إلى يـوم الوفـاه
قـلت ما أنصـف إبرا   هـيم فيما قـد أتـاه
أين مـن بالنـظم يومـاً   قـد تقصى مبتغـاه ؟
إن للنـفس كلامـا   لا تؤديـه الشفـاه
خـير شعـر الشاعر الـ   سلس القـوافى ما عصاه !

محمود عماد

الجُزْءُ الأَوَّلُ

سبق طبع هذا الجزء فى حياة الشاعر
رحمه الله وهو مشروح بقلمه

الطبع والتقليد في الشعر العصري

للشاعر الكاتب العبقري الجليل

عباس محمود العقاد

حسب بعض الشعراء اليوم أنه ليس على أحدهم إن أراد أن يكون شاعراً عصرياً إلا أن يرجع إلى شعر العرب بالتحدى والمعارضة ، فإن كانت العرب تصف الإبل والخيام والبقاع ، وصف هو البخار والمعاهد والأمصار ، وإن كانوا يشببون فى أشعارهم بدعد ولبنى والرباب ، ذكر هو اسما من أسماء نساء اليوم ، ثم حور من تشبيهاتهم ، وغير من مجازاتهم بما يناسب هذا التحدى ، فيقال حينئذ إن الشاعر مبتدع عصرى ، وليس بمقلد قديم .

وهذا حسبان خطأ ، فما أبعد هذا الشعر عن الابتداع ! والأخلق به أن يسمى الابتداع التقليدى ، لأنه ضرب من ضروب التقليد ، فلولا أن شاعراً سبق هؤلاء الشعراء لما استطاعوا أن يعارضوه ، وإن شئت فارفع النموذج من أمام أعينهم تقف الأقلام فى أيديهم ولا يخطون خطاً ، فلو أن الشاعر منهم كان نقاشاً لما عرف كيف يطلى جداره بالدهان الأبيض ، ما لم ير أمامه جداراً أسود الدهان .

وليس المبتدع كمن يبتنى له حوضاً تجاه ينابيع المطبوعين ، يرصفه بحجارتها وحصبائها ، ويملؤه بطينها ومائها . ثم يدعوه بغير أسمائها ، ولكن

المبتدع من يكون له ينبوع يستقى منه كما استقوا ، ولا قبل بذلك إلا لمن كان له سائق من سليقة تهديه إلى مواقع الماء ، وبصر كبصر الهدهد يزعمون أنه يرى مجارى الماء تحت أديم الأرض ، وهو طائر فى الهواء .

كان شعر العرب مطبوعاً لا تصنع فيه ، وكانوا يصفون ما وصفوا فى أشعارهم ، ويذكرون ما ذكروا ، لأنهم لو لم ينطقوا به شعراً ، لجاشت به صدورهم زفيراً ، وجرت به عيونهم دمعاً ، واشتغلت به أفئدتهم فكراً ، وأما نحن فلا موضع لتلك الأشياء من أنفسنا ، فهى لا تهتاجنا كما اهتاجتهم ، ولا تصبينا كما أصبتهم ، وإذا سكتنا عن النظم فيها لا تخطر لنا إلا كما تمر الذكرى بالذهن ، والمرء إذا تذكر لا يقلد من يتذكرهم ، ولكنه يتحدث بهم ، ويصف ما عنده من الأسف عليهم ، أو الشوق إليهم .

والشعر العصرى كهذا الشعر فى أنه شعر الطبع ، وأنه أثر من آثار روح العصر فى نفوس أبنائه ، فمن كان يعيش بفكره ونفسه فى غير هذا العصر ، فما هو من أبنائه ، وليست خواطر نفسه من خواطره .

* * *

تمر على صفحة الزمن عصور خابية ، لا تسمع لها حساً ، ولا تختلج العين من جانبها بقبس . ويكاد يكون الفلك قد قذف بها من جوفه ميتة ، فهى من لحدها فى مهد ، ومن مهدها فى لحد .

هذه عصور لا ترى لأحدها ملامح يمتاز بها عما قبله أو ما بعده ، وهى عصور الغفلة التى تعقب إدبار الدول ، تنعدم فيها ملكة الابتكار ، وينشر التقليد رواقه على كل مزاولات الحياة ، فلا ترى عالماً ولا أديباً ولا حاكماً ولا تاجراً ولا صانعاً إلا وهو مقلد فى عمله ، ويكل الناس أمرهم إلى فئات تصوغ لهم الأفكار والعقائد والأذواق ، وتخرجها إليهم متشابهة ، كما تخرج المعامل مصنوعاتها إلى الشراة من طراز واحد .

وقد أصاب الأدب العربي هذه الآفة ، فقتلت فيه روح البراعة والصدق وقصرته زماناً على التقليد والمحاكاة ، حتى لقد بلغ بهم الولوع بما سميناه الابتداع التقليدى ، أنهم وصفوا الدمع الأحمر ، والدمع الأصفر ، والدمع الأزرق ، والدمع الأخضر ، والدمع البنفسجى ، وحسبوا ذلك من بدائع الافتنان وأنهم جاءوا بطائل كبير .

على هذه الوتيرة من الكذب فى الأحساس ، والتقارب فى سياق النظم ، ومعانى الشعر ، كان غالب شعراء اليتيمة ، حتى لتحسب الكتاب — لولا قليل من الشعر الجيد الحى فيه — ديواناً لشاعر واحد .

وأخذ ينقه الأدب من هذه الآفة منذ نحو العشرين سنة ، أى حين بلغت دعوة الحرية الفكرية مسامع الشرقيين فراغوا إلى أنفسهم ، يسألونها عن سالفهم ومؤتنفهم ، ويستفسرونها عن حياتهم ومماتهم ، كما يسأل الناشىء نفسه إذا وكل إليه أمره وانفصل عن رعاية أبيه أو وليه ؛ وكانت علامة ذلك أن ظهر التفاوت فى الأساليب ، وانفرد كل كاتب أو شاعر بطريقة فى كتابته أو نظمه ، والتفاوت فى الأساليب دليل الاستقلال ، والاستقلال دليل الطبع والحياة ، وهل يتفق التشابه والتماثل إلا فيما له قوالب وأنماط ؟ وأين القوالب والأنماط إلا فى صيغ الألفاظ وتراكيبها ؟ ؟

وكما يكون التفاوت فى الأساليب بين شعراء الأمة دليلا على حياتها ، وتنبه الطباع فى أبنائها ، يكون التفاوت فى شعر الشاعر دليلا أيضاً على حياته وطبعه ، ولقد سمعت أديباً يعيب شاعرية المتنبي ويصغرها لبعد ما بين جيده ورديئه ، وهو الآية على شاعريته عندى ، إن لم تكن آية سواه ، لأن الشاعر قد يحكم قلمه ، ويدعو الألفاظ فتسعفه ، ولكنه لا يحكم طبعه ، ولن يكون الطبع عند دعوته ، بل إنما الإنسان عند دعوة طبعه ، وهو رهن بما توحى إليه سجيته .

ولسنا نعنى بذلك أن كل شاعر له فى شعره الجيد والردىء ، هو شاعر مطبوع ، فإن لكل ذهن خامد جلوة ، ولكل طبع بارد سورة ، والريشة

الميتة قد ترفعها الريح إلى حيث تحوم أجنحة الكواسر ، وقد يسمو الطبع الكليل ، إذا استفزته العاطفة ، فيسترق السمع من منازل الإلهام ، ثم لا يكاد يلتفت إلى نفسه حتى يهوى إلى مقره ، ويروقنى فى هذا المعنى قول لويس مترجم جيتى شاعر الألمان ، وذلك إذ يقول فى عرض كلامه عن رواية فوست : « ربما كانت مقدرة العقل الكبير لا تظهر إلا فى مثل هذه الصغائر ، وأما الكتاب الأصاغر فانهم يبالغون فى هذه الأغراض ، أو يقصرون عنها ، ولكنهم لا يعطونها حقها ، انظر إلى الأجسام فإنها تضيء كلها على درجات مختلفة من الحرارة ، وكذلك صاحب العقل الخافت قد يأتى بالفلق ، وينطق بالحكمة ، وهو مضطرم النفس ، محتدم الطبع — ولكن من تلك الأجسام ما يعود إلى المألوف من حاله ، فينم عن غلظه وكثافته ، والعقل الخافت إذا فترت حرارته ، عاودته ضآلته ، وفارقته تلك القوة التى اقتسرها على الخروج ضغط الأفكار المزدحمة عليه ، ولذع العاطفة المتأججة فيه ، وفى ذلك مصداق المثل السائر القائل : إن الكبائر تظهرها الصغائر ، والريح إذا هبت على الماء تشـــابه الغمر بالضحضاح ، حتى إذا استقرت الأمواج رأينا قاع الضحضاح قريباً ، وعلمنا أن غور الغمر أبعد مما يصل إليه مسبارنا » .

وربما تشدد بعض النقاد فجعلوا شعور الشاعر بنفسه ، حدا بين الطبع والتكلف ، فاذا خيل للناقد وهو يقرأ القصيدة أنه نسى الشاعر ولا يذكر إلا شعره ، فالشاعر مطبوع ، وإن كان يلوح له وجه الشاعر من حين إلى حين بين أبيات القصيدة ، فهو عنده متكلف صناع — ولست أنا ممن يميلون إلى هذا الرأى ، لأنه يخرج كثيراً من الشعراء المجيدين من عداد الشعراء المطبوعين ولا فرق عندى بين شاعر يشعر بنفسه فى كلامه ، وشاعر يغيب فى عاطفته ، إلا كالفرق بين المليح المزهو بجماله ، والمليح الذى يوهمك كأنه قد نسى أنه جميل ، على أن لكل منهما جماله ، ونحن عسيون أن ننظر إلى ذلك الشعر . فان كان صادقاً مؤثراً ، فهو من شعر الطبع ، وإلا فهو من شعب التكلف ،

وهو إذن لا بالمليح المزهو ، ولا بالمليح الغافل عن جماله ، وإنما هو دميم يتحالى بالطلاء والزينة .

ويختلف شعر الطبع فى لغة الأمة بين عصر وعصر ، كما يختلف مناهجه فى العصر الواحد بين شاعر وشاعر ، وكما تختلف درجته من الإجادة فى شعر الشاعر الواحد ، بين قصيدة وقصيدة .

فالشعر العربى قد اتخذ له فى كل عصر طريقة تناسب روح ذلك العصر ، وهذه الطريقة العصرية لا تشبه طريقة البداوة ، ولا هى فى شىء من طريقة الدولة العربية ، ولكنها طريقة يمليها عصر تغير فيه محل الإنسان من بيئته ومجتمعه ، وخلعت فيه الطبيعة أمام عينيه ثوباً بعد ثوب ، حتى وقفت بالجسد بين يديه ، فظهر له ما كان خافياً ، وازداد توقه إلى إستطلاع ما لم يبد ، وكان فيما بدا له مقابح ومحاسن ، كان سابق ظنه بها غير ما عاينه منها ، فلو أن شعراء المذهبات بعثوا اليوم من أرماسهم ، لما نظموا حرفاً واحداً من مذهباتهم ، ولكانوا فى المذهب العصرى أشد من أشد دعاتنا غلواً فى الدعوة إليه .

قلنا إن الشعر العربى نشأ منشأ جديداً من نحو العشرين سنة ، ونقول إنه كان نضالا نزع فيه الظافر أسلاب المخذول ، ولكنه لبسها ، فكان ظافرهم ومخذولهم أقرب الناس زياً ، وأشبههم بزة ، ونحن اليوم غيرنا قبل عشرين سنة — لقد تبوأ منابر الأدب فتية لا عهد لهم بالجيل الماضى ، ونقلتهم التربية والمطالعة أجيالا بعد جيلهم ، فهم يشعرون شعور الشرقى ، ويتمثلون العالم كما يتمثله الغربى ، وهذا مزاج أول ما ظهر من ثمراته ، أن نزعت الأقلام إلى الاستقلال ، ورفع غشاوة الرياء ، والتحرر من القيود الصناعية ، هذا من جهة الأغراض والانساق ، وأما من جهة الروح والهوى ، فلا يعسر على الندس البصير ، أن يلمح مسحة القطوب للحياة فى أسرة الشاعر العصرى الحديث ، ويتفرس هذا القطوب ، حتى فى الابتسامة المستكرهة التى تردد أحياناً بين شفتيه .

وحسب الأدب العصرى الحديث من روح الاستقلال فى شعرائه ، أنهم رفعوه من مراغة الامتهان التى عفرت جبينه زمنا ، فلن تجد اليوم شاعراً حديثاً يهنىء بالمولود وما نفض يديه من تراب الميت ، ولن تراه يطرى من هو أول ذاميه فى خلوته ، ويقذع فى هجو من يكبره فى سريرته ، ولا واقفاً على المرافىء يودع الذاهب ، ويستقبل الآيب ، وما بالقليل من هذه الروح الشماء فى الأدب ، أنهـا استطاعت أن تجهز على آداب المواربة والتزلف بيننا ، أو تردها إلى وراء الأستار ، بعد إذ كانت تنشد فى الأشعار ، وينادى بها فى ضحوة النهار .

ولا مكان للريب فى أن القيود الصناعية التى أشرنا إليها ، ستجرى عليها أحكام التغيير والتنقيح ، فإن أوزاننا وقوافينا أضيق من أن تنفسح لأغراض شاعر تفتحت مغالق نفسه ، وقرأ الشعر الغربى ، فرأى كيف ترحب أوزانهم بالأقاصيص المطولة ، والمقاصد المختلفة ، وكيف تلين فى أيديهم القوالب الشعرية ، فيودعونها ما لا قدرة لشاعر عربى على وضعه فى غير النثر ، ألا يرى القارىء كيف سهل على العامة نظم القصص المسهبة ، والملاحم الضافية الصعبة ، فى قوافيهم المطلقة ؟ ؟ وليت شعرى بم يفضل الشعر العامى الفصيح إلا بمثل هذه المزية ؟ ؟

ولقد رأى القراء بالأمس فى ديوان شكرى مثالا من القوافى المرسلة والمزدوجة ، والمتقابلة ، وهم يقرأون اليوم فى ديوان المازنى مثالا من القافيتين المزدوجة والمتقابلة ، ولا نقول إن هذا هو غاية المنظور من وراء تعديل الأوزان والقوافى وتنقيحها ، ولكنا نعده بمثابة تهيىء المكان لاستقبال المذهب الجديد، إذ ليس بين الشعر العربى وبين التفرع والنماء إلا هذا الحائل ، فاذا اتسعت القوافى لشتى المعانى والمقاصد ، وانفرج مجال القول ، بزغت المواهب الشعرية على اختلافها ، ورأينا بيننا شعراء الرواية ، وشعراء الوصف ، وشعراء التمثيل ، ولا تطول نفرة الآذان من هذه القوافى ، لا سيما فى الشعر الذى يناجى الروح والخيال ، أكثر مما يخاطب الحس والآذان .

وما كانت العرب تنكر القافية المرسلة ، فقد كان شعراؤهم يتساهلون في التزام القافية ، كما في قول الشاعر :

ألا هل ترى إن لم تكن أم مالك ... بملك يدي أن الكفاء قليـــل
رأى من رفيقيه جفاء وغلظة ... إذا قام يبتاع القلوص ذميم
فقال أقلا واتركا الرحل إنني ... بمهلكـــة والعاقبات تدور
فبيناه يشرى رحله قال قائل ... لمن جمل رخو الملاط نجيب

وكقول غيره :

بنات وطاء على خد الليـــل ... لا يشكين عنتاً ما أنضين

وكقول الآخر :

جاريـــة من ضبـــة بن أد ... كأنهـــا في درعهـــا المنعط

وبعض هذه القوافي ، كما تراها ، قريبة مخارج الروى ، وبعضها تتباعد مخارجه ، ولكنهم كانوا على حالة من البداوة والفطرة لا تسمح لغير الشعر الغنائي[1] بالظهور والانتشار ، وكانوا لا يعانون مشقة في صوغ هذه الأشعار في قوالبهم ، فلم يلجأوا إلى إطلاق القافية ، ولا سيما في شعر يعتمد في تأثيره على رنته الموسيقية ، وجاء العروضيون فعدوا ذلك عيباً وسموه تارة بالأكفاء ، وتارة بالإجازة أو الإجارة ، لقلة ما وجدوا منه في شعر العرب ، فلما انتقلت اللغة العربية إلى أقوام سلائقهم وحالهم أميل إلى ضروب الشعر الأخرى ، اعتسروا القوافي على أداء أغراضهم ، ولم تشعر آذانهم بهذا الذي عـــده العروضيون عيباً في القافية ، فاحتملت لغتهم المحرفة وقوافيهم المتقاربة ، ما لم تحتمله أوزان الجاهلية وقوافيها .

---

(١) المقصود بالشعر الغنائي هنا ما يسميه الأفرنج (Lyric Poetry) ولا يلزم من التسمية أن يغنى .

على أن مراعاة القافية والنغمة الموسيقية ، فى غير الشعر المعروف عند الافرنج بشعر الغناء ، فضول وتقيد لا فائدة منه ، ولا بد أن ينقسم الشعر إلى أقسام ، يكون الشعر فى بعضها أكثر من الموسيقى ، ومن بقايا الموسيقى الأولى فى الشعر هذه القيود اللفظية ، وقد ذهب سبنسر فى مقاله عن الرقى إلى أن الشعر والموسيقى والرقص ، كانت كلها أصلا واحداً ، ثم انشق كل منها فناً على حدته ، ومن قوله فى ذلك : « إن الروى فى الكلام ، والروى فى الصوت ، والروى فى الحركة ، كانت فى مبدئها أجزاء من شىء واحد ، ثم انشعبت واستقلت بعد توالى الزمن ، ولا تزال ثلاثتها مرتبطة عند بعض القبائل الوحشية ، فالرقص عند المتوحشين يصحبه دائماً غناء من نغم واحد ، وتصفيق بالأيدى ، وقرع على الطبول ، فهناك حركات موزونة ، وكلمات موزونة وأنغام موزونة ، . . . وفى الكتب العبرية أنهم كانوا يرتلون القصيدة التى نظمها موسى بعد قهر المصريين ، وهم يرقصون على نقر الدفوف ، وكان الإسرائيليون يرقصون ويتغنون بالشعر فى وقت معاً عند الاحتفال بالعجل الذهبى . . .

على أن الشعر وإن لم ينفصل بعد عن الموسيقى ، إلا أنهما قد انفصل كلاهما عن الرقص ، فقد كانت قصائد الإغريق الدينية القديمة ترتل ولا تتلى تلاوة ، وكان ترتيل الشاعر مقروناً برقص السامعين ، فلما انقسم الشعر أخيراً إلى شعر غنائى ، وشعر قصصى ، وأصبحوا يتلون الشعر القصصى ، ولا يرتلون إلا الشعر الغنائى ، ولد الشعر المحض وأصبح فناً مستقلا » .

ونحن لا نريد أن نفصل الشعر عن النغمة الموسيقية بتاتاً ، ولكنا نريد أن يكون نصيب الشعر المحض فى غير شعر الغناء ، أكبر من نصيب النغم ، وأن نبقى أثر دقة الرجل — ونعنى به القافية — فى الشعر الذى كانوا يدقون الأرض بأرجلهم عند إنشاده ، أى شعر النزوات النفسية ، والعواطف المهتاجة .

والآن وقد أتينا على طرف من رأينا فى تأثير العصر على أنساق الشعر وأغراضه نرى من تمام الكلام أن نقول كلمة عن تأثيره فى روح الشعر ، ونفوس الشعراء فنقول :

إن كان هذا العصر قد هز رواكد النفوس ، وفتح أغلاقها كما قلنا ، فلقد فتحها على ساحة من الألم تلفح المطل عليها بشواظها ، فلا يملك نفسه من التراجع حيناً ، والتوجع أحياناً ، وهو العصر ، طبيعته القلق والتردد ، بين ماض عتيق ، ومستقبل مريب ، وقد بعدت المسافة فيه بين اعتقاد الناس فيما يجب أن يكون ، وبين ما هو كائن ، فغشيتهم الغاشية ، ووجد كل ذى نظر فيما حوله عالماً غير الذى صورته لنفسه حداثة العصر وتقدمه ، والشاعر بجبلته أوسع من سائر الناس خيالا ، فالمثل الأعلى أرفع فى ذهنه منه فى أذهان عامة الناس ، وهو ألطفهم حساً ، فألمه أشد من ألمهم ، وإنما يكون الألم على قدر بعد البون بين المنتظر وبين ما هو كائن ، فلا جرم إن كان الشاعر أفطن الناس إلى النقص ، وأكثرهم سخطاً عليه ، ولا جرم إن كان ديوان شاعرنا على حد قوله :

كل بيت فى قـــرارتـــه جثـــة خرساء مرنـــان
خارجاً مـــن قلب قائله مثلما يزفـــر بركان

أيقال إننا بالغنا إذا قلنا إننا فى عهد لا نشاهد فيه إلا مسخاً فى الطبائع ، وارتكاساً فى الأخلاق ، ونفاقاً فى الأعمال والأقوال . . ؟ ؟ لا والله بل يقال أننا تغاضينا إذا لم نقل ذلك ، وما يبالى متحرج فى عهدنا أن يغمض عينيه . ثم يمضى على رأسه فى الأسواق والنوادى والمجامع والمعابد ، فأى عاتق وقعت عليه يده ، فليسأله ألا تعرف المعنى بهذه الأبيات :

يتلقـــاك بالطلاقـــة والبشر وفى قلبـــه قطوب العـــداء
كالسراب الرقراق يحسبه الـ ـظمآن ماء وما به من مـــاء
عاجز الرأى والمروءة والنفـ ـس ضئيل الآمال والأهـــواء

ألف الذل فاستنام إليـــــه وتباهى به عـــلى الشرفاء
ينسج الزور والأباطيل نسجاً والأكاذيب ملجأ الضعفاء
مستميت إلى المكاسب والربح دنىء الأسفــاف والكبرياء
فاسق يظهر العفاف ويخــفى تحته الخزى يا له من مـــراء
مظلم الحس والبصيرة كالتمـ ـثال خلو من الحجا والذكاء
قد زهاه الشموخ فاختال تيها ولوى شدقـــه على الخلصاء

فإنه لا يخطىء مرة إلا أصاب ألفاً : فقد وصف المازنى فى هذه الأبيات نموذج الرجل العصرى ، فلم ينس صفة من صفاته ، وأنى لرجل العصر أن يكون غير ذلك ، وهو يبصر غير ما يسمع ، ويسمع غير ما يعتقد ، ويعتقد غير ما يجرأ على الجهر به ، وذلك ديدن الناس فى كل زمان تحس فيه النفوس بالحاجة إلى الانتقال ، فترسم مثال الكمال ، ثم تكر إلى عالم الحقيقة فلا تقابل إلا النقص والقصور ، وإنها لتظل كذلك تتذبذب بين الباطن والظاهر — وهذا هو عين التصنع والرياء ، وإن اشتد ، فقل الخبث والصفاقة والكبرياء .

فاذا رأيت شاعراً مطبوعاً فى أمثال هذه الفترات المشئومة يبتهج ويضحك فاعلم أن بين جنبيه قلباً صدىء من نار الألم أو حمأة الشهوات ، وإلا فهو رجل مقلد ينظم بلسانه ، ولا ينظم بوجدانه .

ألا ترى كيف كان حال الأدب فى الفترة التى تقدمت الانقلاب الفرنسى ؟ ؟ ألا تراهم كيف لعبت الحيرة بعقولهم ؟ فمن داع يدعو الناس إلى الطبيعة ، ومن باحث يفكر فى خلق مجتمع جديد ، هذا ينحى على الدين ، وهذا يسب الحياة ويلعن الوجود ، وذلك تهوله فوضى الأخلاق ، فيحسبها ضربة لازب ، لا تنصلح ولا تتبدل ، فيقوم فى جنون الدهشة والذهول يحسن للناس التهتك والإباحة ، أرأيت كيف استحكمت السآمة بشاتوبريان زعيم الأدب فى تلك الفترة فجعل يقول : « لقد سئمت الحياة حتى قتلتنى السآمة ، فلا شىء مما يحفل به الناس يعنينى ، ولو أننى كنت راعياً أو ملكاً ، لما عرفت

كيف أصنع بعصا الراعى ، أو بتاج الملك ، وما أظننى فى الحالتين إلا كنت زاهداً فى المجد والعبقرية ، ملولا من العمل والبطالة ، متبرماً بالنعمة والشقاء — لقد أمضنى الناس فى أوروبة . وأسأمتنى الطبيعة فى أمريكا ، فليس فى هذه ولا فى تلك . ملاذ يهش إليه قلبى ، وإننى لسليم القلب ، طيب النحيزة ، ولكن بغير غبطة ، وإخالنى لو خلقت مجرماً لكنت أكون كذلك بغير ندم ، فليتنى لم أولد ! ليت أن اسمى يعفى عليه النسيان فلا يذكر أبداً . . »

وبعد فهل ينبغى أن يحمد الناس كل زمان رأوه ، وهل ثم ضرر عليهم فى الشكوى من بعض الأزمنة والنقمة عليها ؟ كلا . ليس فى الاستياء من الزمن السيء ضرر . بل هذا هو الواجب الذى لا ينبغى سواه ، وأولى أن يكون الضرر جد الضرر فى الاطمئنان إلى زمان تتأهب كل بواطنه للتحول والانتقال .

وما أهون التعليل السلبى ! لقد سهل على بعض الكاتبين أن يعللوا هذا التذمر فحسبوا أنهم أدركوا الغاية ، وأصابوا النتيجة .

نظروا إلى السخط الفاشى بين طبقات الناس ، فلم يصعب عليهم أن يقولوا إنه عرض من أعراض الحياة فى المدن والحواضر وهذا صحيح ، وأى عجب فى ذلك ؟ ؟ إنما لحكمة كانت المدن مثار القلق والشكوى ، لأن المدينة ربيئة المدنية ، وحاملة أمانة الرقى الإنسانى ، ولئن كان التجاج الأصوات بالشكوى فى هذه الأيام أشد وأجهر منه فى الأيام القديمة ، فذلك لأن الانتقال الوشيك ، أعظم من كل انتقال أحدثته الحياة المدنية إلى يومنا هذا .

ولو كان الناس كلهم على شاكلة الريفى فى سكينته وقنوعه ، لما بقى لهم بعد أن يفيض الماء ، ويسلم الجو ، وينجب الزرع ، مطلب فى الحياة . وما برح أهل المدن بأيديهم زمام العلم والصناعة والفنون ، والكفاح يدفعهم إلى الحركة وطلب الانتقال فتتقدم على أيديهم هذه الفنون وتنشأ من تقلبهم المذاهب الاجتماعية المختلفة ، فترتقى حقوق الناس وواجباتهم ، وترتقى

الحياة تبعاً لارتقاء هذه الحقوق والواجبات ، وقد صدق « لاندور » حيث يقول على لسان بارو « إن القانعين يجلسون ساكنين فى أماكنهم ، وأما الساخطون الناقمون فهم الذين يجنى منهم العالم كل خير » .

ونظر أولئك الكتاب هذه النظرة إلى رجال العبقرية فى الأزمان المتأخرة ، فوجدوهم لا يسلم أحدهم من علة فى الجسم ، فظنوا أنهم قد وقعوا على السر ، وقالوا لو لم يكن هؤلاء العبقريون مرضى لما عمت فلسفة السخط ، كأنه ليس بين هذا العصر وبين أن يكون أقوم العصور أخلاقاً ، وأرغدها عيشاً ، وأتمها نظاماً ، إلا أن يبرأ مائة رجل أو أكثر ، أو أقل ، من الداء !

بل لقد طاش بعضهم فسمى عبقرية هؤلاء العظماء ، مسخاً راقياً ، وألحقهم بالممسوخين من زمنى الطبائع ، ومرضى النفوس ، الذين يخرج من بينهم القتلة والسرقة والمخبولون ، ولو أنهم كانوا ألحن للغة الطبيعية ، لعرفوا أنها لا تجمع بين المرض والعبقرية عبثاً ، وأن عظماء الأمم لو سلموا من الأدواء والعلل لوقفت الإنسانية اليوم عند حدود الآجام والكهوف .

ونحمد الله على أن ليست عقول هؤلاء الكتاب فى رأس الطبيعة ! فكانت تبدلنا من كل نبي وحكيم وشاعر مصارعاً مضبور الخلق ، عريض العنق ، ولا ريب أن هذا العمل أريح لها من عناء تركيب الأمزجة ، وتقسيم المواهب على قدر وحساب .

العبقرى رجل أريد به أن ينسى نفسه ليخلص نفعه لنوعه ، فلو أنه خلق مكين المرة ، قوى الأسر ، لصرفته دواعى اللحم والدم ، عن المضى لوجهته ، ولشغله ما يشغل سائر الناس من أمور المعاش والأبناء عما خلق لأجله . ولا بد أن تضعف غريزة حفظ الذات فيه لتقوى بإزائها غريزته النوعية ، ولن تضعف الغريزة الذاتية إلا بمرض فى الجسد — أرأيت رجلا معافى البدن ينسى نفسه ليعيش بعد موته فى ذاكرة نوعه ؟ ؟ أم أنت تراه قاصر الهم على حياته لا يعنيه من الدنيا سواها ؟ ؟

وللنوع فرض عام يطلبه من جميع أفراده ، وهو التكاثر بالتوالد ، بيد أنه كلما سفل النوع وسفل الفرد ، كان التوالد أكثر ، ويطرد هذا الأمر فى الإنسان ، فان أكثر الناس توالداً هم أعجزهم عن حفظ النوع بغير وسيلة التوالد ، وهم أحط الناس مدارك وعقولا ، ثم ينشأ فى بعض الأفراد قوى أدبية ينفعون بها النوع ، ويحفظونه من جهات شتى ، فتعلو هذه القوى على غريزة النسل ، حتى يبلغ الأمر نهايته فى النابغة ، فيكون أنفع الناس لنوعه بقواه الأدبية ، وأقلهم نفعاً له بنسله ولذلك لا يرغب النابغون فى الزواج ، وإن تزوجوا لا يلدون ، وربما ولد لهم ولكن لا يعيش أبناؤهم ، أو يعيشون ولكنهم يهملون فى الغالب تربيتهم وإنباتهم ، وتلك لعمرى حكمة بالغة ، وسر دقيق من أسرار الاقتصاد الطبيعى فى تقسيم العمل .

إن كان للأمة جهاز عصبى ، فإن الشاعر العبقرى أدق هذه الأعصاب نسجاً ، وأسرعها للمس تنبهاً ، ولا غنى لجسم الأمة عن هذه الأعصاب المفرطة فى الإحساس ، لتزعج الأمة لأخذ الحيطة بينما تجمد الأعصاب الصلبة فى صمم البلادة والأنانية .

فلا ينظرن الذين ينفقون فلسفة الرضا عندنا إلى المسألة من جهة واحدة ، ولا يقولن نحن فى عصر العمل ، فزخرفوا لنا الحياة وشوقونا إليها ، كلا ! لسنا يا قوم فى عصر العمل ، فكم من عمل يدعو العاملين ولا يجيبونه ، وكم من عامل يفتأ يدعو العمل فلا يجيبه ، بل نحن فى عصر التردد والاستياء ، ولا بد لهذا الاستياء أن يأخذ مداه ، ويطلع على كل نقص فى أحوالنا ، حتى إذا تمكن من النفوس فحركها إلى العمل ، وعاد عليها العمل بالرضا ، فلا ينس الناس يومئذ فضل شعر الضجر والاستياء .

فلئن توسم القارئون فى شعر هذا الديوان هذه السمة فليذكروا أنهم يقرءون ديوان شاعر يترجم عن زمنه « والمرء فى نفسه يرى زمنه » كما يقول .

ويخيل إلى أن أخانا إبراهيم لو لم ينبغ فى هذا العصر السوداوى ، ونبغ فى

عصر فجر التاريخ ، لكان هو واضع أسماء الجنة ، عمار الغيران والجبال ، وساقة السحب والرياح والأمواج ، فأن به لولعاً بوصفها ، وإن أذنه لتتسمعها كأنها تنشد عندها خبراً ، وأظنه لو كان خلق الدنيا ، لما خلقها إلا جبالا عظيمة ، وكهوفاً جوفاء ، ورياحاً ملوية ، وغماماً مرزماً رجاساً ، وبحراً مصطخباً عجاجاً ، أنظر كيف يصف الغار الذى يتمناه فى قصيدة مناجاة الهاجر :

يا ليت لى والأمانى إن تكن خدعاً ... لكنهن علـى الأشجان أعـوان
غاراً على جبل تجرى الرياح به ... حـيرى يزافرها حيران لهفـان
هل أنس ليلتنا والغيث منسكب ... وللبروق بقلب السحب أثخـان
وقوله لى من لى أن تظللنى ... من السحاب على الأطواد غيران
ريح تهب لنا من كل ناحيـة ... وديمـة كحلها نور ونـيران
يلفنا الليل فى طيـات حندسـه ... كما يغيب سر المـرء كتمان
نكاد نلمس بالأيدى السماء ونجـ ... ـتلى بها الرعد يطغى وهو غضبان
وللصـدى حولنا حال مروعـة ... كأنما تسكن الغـيران جنـان
لكل صوت صدى من كل منعطف ... كما تجاوب عسـاس وأعيـان
يطير كل صدى عن كل شاهقة ... كما يطير عن العقبان عقبـان
تبـدو لأعيننا البلدان كالحـة ... كالوجـه غضنـه سن وحدثان

ومثله قوله فى أحلام الموتى :

أجنـونى إذا ما مت رمسا ... ينـادمنى به خضل الغمام
ترقرق عنـده غدران مـاء ... على ضفاتها أثر الهـوامى
تغنيـنى الحمائم فى ذراهـا ... وقد هب النسيم مع الظلام

أو قوله فى ثورة النفس :

أبيت كأن القلب كهف مهـدم ... برأس منيف فيه للريح ملعب
أو انى فى بحر الحوادث صخرة ... تناطحها الأمـواج وهى تقلب

أو قوله من قصيدة أحلام اليقظة :

إنى سمعت فى الدجى اصطخابا
كأن فى إهـابـه ذئابـا
سيمت أذى فطلبت وثابـا
مستهولا ينـتزع الصـوابا
يهتك مـن فؤادك الحجابا
مثل الصدى قـد عمر الخرابا

او قوله فى مناجاة الملاح :

القلب يم لا قـرار لـه   جم العواصف مزبد القنن

أو قوله من قصيدته الرهيبة ثورة النفس فى سكونها :

ومالى كأنى ظللـتنى سحابة   لها من مخوفات الأساود هيدب
وليل كأن الريح فيه نوائح   على أنجم قد غالها منه غيهب
تجاوبها من جانب اليم لجـة   تزاءر فيها موجهـا المتوثب
كأن شياطين الدجى فى إهابه   تغنى على زمر الرياح وتغرب

إلى أن يقول :

سأصرخ أما هاجت الريح صرخة   تقول لها الموتى ألا أين نهرب

وأقرأ له الدار المهجورة ، أو فتى فى سياق الموت . أو الحياة حلم . تحس فى كل منها هذه الروعة والفخامة .

وللمازنى أسلوب خاص . لا يدلك على أنه أسلوب السليقة والطبع . أكثر من هذا التآلف الذى تجده بين قلمه ونفسه . فإن قلمه يتحرى الفخامة فى اللفظ . والروعة فى حوك الشعر . كما تتحرى نفسه . على لطافتها . الفخامة فى المشاهد . والروعة فى مظاهر الكون والطبيعة .

والتآلف بين الطبع والتعبير ، شأن كل شعر فى هذا الديوان ، اقرأ فيه بعد شعر الوصف الذى تقدم التمثيل له ، شعر الغزل ، فإنك ترى عبارته أليق ما عبر به عن عاطفته — لأنها عاطفة لا تسعر بالوقود من الخارج ، وليس الحب فيها حباً تضرمه عين المحبوب كما تضرمه نفس المحب . وهى عاطفة تحيا بغذاء من حرارتها ، ومثل هذه العاطفة يحلو لها ترديد نفسها ، وتقليب وجوه ماضيها وحاضرها ، وأهواء النفس تختار الأسلوب الذى يلائمها ، فلو أن الحب هنا حب تأخذ منه البواعث وتعطى لكان نعاماه إذا امتلأ به الصدر ، أن يصعد من القلب صرخة تفرج عن صاحبها ثم ينساها ، ولا يعود إليها حتى يراجعه الوله والوجد ، ولكنه حب يطاول القلب ، ويدور فى جوانب النفس ، فلا يوافقه إلا أسلوب يدور فى الأذن ، ويطن فى جوانب الأسماع .

فلا غرو أن ينسجم هذا الهندام على ذلك القوام ، وأن يستشف القارىء ألوان العواطف من هذا الأسلوب ، على أحكام نسجه وتفصيله ، فيعلم أن شعر الطبع والإخلاص ، غير شعر الصنعة والتقليد .

عباس محمود العقاد

الإهداء

إلى الذى نام عن ليلى وأسهرنى	ومن إليه على الأيّام تحنانى
ومن أكاتمهُ وجدى وأوهمه	أنّ اقترابى وبعدى عنه سيّان
ومن غذائى ذكريه وإن بعدت	أوطانه ونأتْ بى عنه أوطانى
أذكيتَ فى الصدر ناراً لا خمودَ لها	فاقبسْ ثوائرَ أنفاسى وأشجانى
هديّةٌ لك فيها الفضلُ أجمعه	وليس لى غير إنصافى وعرفانى

إبراهيم عبد القادر المازنى

الوَرْد

خده أحسن أم ثغره ... بل كلا الحسنين فتانُ
كل جزء من بدائعه ... لفنون الحسنْ بستان
لى كئوسٌ من مراشفه ... ومن الأطيار ندمان(1)
كلما قبّلت وجنته ... خلت أن الورد خجلان
ظمئى ترويه قبلتهُ ... كيف ريّى وهو ظمآن
ربّ طلٍّ بات يكلؤه ... فكأن الطل غيران(2)
وكأن الورد إذ سطعت ... منه ريح الطيب نشوان
أنا أخشى أن أراعيه ... ما لهذا الورد جثمان(3)
كيف لا تذوى غلالته ... وهى للأعين ميدان(4)

---

(١) المراشف الثغور .
(٢) الطل الندى أو القطر الخفيف . قال ابن الرومى « ونرجس بات سارى الطل يضربه » — يكلؤه يحرسه .
(٣) راعيته أى لاحظته والجثمان الجسم — أى أن الورد لفرط رقته ليس له جسم يحتمل أن تجول فيه العيون .
(٤) تذوى أى تذبل وغلائل الورد أوراقه .

الماضى

مسافةُ الشمس دون أقربه وإن دعــونا أعارنا أذنهْ
القلب قبرٌ وأنتَ ساكنــه لا يبرح القبرَ ميتٌ سكنه (١)
ما مرَّ يومٌ بمــا يصرّفه إلا جعلناك فيــه ممتحنه (٢)
أو راقنــا ثوبه ونضرته إلا رأينــا فى ثوبه كفنه
آليتُ لا يستخفّنى أمــلٌ فى الغد أو تستغرّنى حسنه (٣)
الدهر لولا الآمال مشتبــهٌ والمرء فى نفسه يرى زمنه

---

(١) الخطاب موجه للماضى .

(٢) كل شىء فى هذا الوجود نسبى وإنما يحمد أحدنا يومه أو يذمه بالقياس إلى أيامه الذواهب .

(٣) آليت أقسمت . قال الشاعر

قليــل الألايا حــافظ ليمينــه فان سبقت منــه الأليــة برت

واستخفه أى حركه واستفزه

الدار المهجورة

لم يدع منها البلى الاّ كما تترك التسعون من غضّ الشباب

* * *

وهى فى سكونها كأنما

فارقتها روحها إلاذَما [1]

حكم الدهرُ بها فاحتكما

وكساها الهجرُ ثوباً مظلماً ما أضل الطرف فى هذا الاهاب [2]

* * *

ما ترى العين بها إلاّ رماما [3]

باليات تملأ النفس ظلاما

وسعتها الريح دفعا ولطاما [4]

لغــط اليمّ إذا اليمّ طمـا والتقت فيه هضابٌ بهضاب [5]

* * *

(١) الذماء بالفتح الرمق وبقية الروح .

(٢) الاهاب الجلد .

(٣) الرمة بالكسر العظام البالية تجمع على رمم ورمام .

(٤) تملأ النفس ظلاماً لما تثيره فيها من الخواطر المظلمة .

(٥) اللغط كلام أو صوت فيه جلبة واختلاط – اليم البحر – وطما الماء علا وارتفع – والهضاب جمع هضبة وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض أو الأكمة والأمواج تشبه بالجبال .

ليس يلفى عندها الصوتُ قرارا [١]
كلما أرسلته ملَّ الجوارا
واستردَّ المرءُ منها ما أعارا
تثب الأصــداء عنهـا مثلما طارت العقبان طيراً عن عقاب [٢]

* * *

إيه يامهــد مسرَّات الصبا
عجباً أصبحت قبراً عجباً
حاملا عن هاجريك الوصبا [٣]
كنت للَّهو فقد صرت وما أنت إلا طيف أيام عِـذاب [٤]

* * *

أوصدوا الأبواب بالله ولا
تدعوا العين ترى فعل البلى
وامنعوا دار الهوى أن تبذلا
إنَّ للدار علينــــا ذمماً وقبيحٌ خونها بعـد الخراب

---

(١) يلفى أى يجد والمعنى أنك إذا أرسلت الصوت فيها رجع إليك صداه فكأن الصوت يمل جوار هذه الدار ولا يقر له فيها قرار .

(٢) الأصداء جمع صدى وهو رجع الصوت والعقاب من جوارح الطير والعقبة المكان المرتفع فى جبل أو نحوه — وطير العقبان عن العقاب وذهابها فى نواحى الفضاء يشبه وثوب الأصداء عن المكان وانتشارها فى الجو — وإنما مثل لذلك بالعقبان دون غيرها من صغار الطير لجلالة الأصداء وعظم وقعها فى النفس .

(٣) الوصب الوجع .

(٤) الطيف الخيال والمعنى إن هذه الدار صارت وكأنها خيال الأيام العذاب السوالف .

الجمال إذا هوى

يا ليتنى لو يصح لى أملُ أعمى له من كفافه شغلُ [1]
أبيتُ لا مرهقاً ولا قلق الأ حشاء ممّا تحرّك الغلل
ولا فؤادى كالوكر مضّطـــربا تجنى عليه بلحظها المقل [2]
كم نعم قد أصارها نقماً على الليالى الخطوب والعلل
بذلتُ ودّى لغير صائنـــه أين رمانى العشـــار والزلل
يا حسرةً للجمال يسابـــــه روعتَه مصرعٌ له جلل [3]
بيناه كالزهـــر مونقٌ أرج إذاه كالشوك حظه العطل [4]
بيناه كالشمس فى جلالتهـــا تضىء ما حولها وتشتعـــل
إذا بها قد خبت لها شعلٌ أخلق من نور نارها الطفل [5]
وإنما الحسن إن هوى جدثٌ عليه زهر من الندى خضل [6]
إن راق عينيك روضة أنف منه لقد راع قلبك الثكل [7]

---

(١) الكفاف العمى .

(٢) القلب فى حال اضطرابه وخفوقه يشبه وكر الطائر إذا صفقته الرياح . والمقل جمع مقلة وهى من العين شحمتها التى تجمع بياضها وسوادها .

(٣) الجلل هنا الكبير العظيم والمراد بمصرعه هذا سقوطه وتدليه إلى مواقعة الأثم .

(٤) المونق الرائع المعجب ، والأرج العطر والعطل التجرد من كل حلية .

(٥) خبت النار خمد لهيبها – والشعلة من النار معروفة – وخلق الثوب بالضم إذا بلى وأخلقته أبليته والطفل قرب العشية والمعنى أن الليل إذا زحف خبت نار الشمس وانطفأ نورها وكذلك الأثم يطفىء نور الحسن ويلبسه من ظلمة الرذيلة والأثم .

(٦) الجدث القبر – فكأن لابس الحسن إن هوى إلى حيث يسوء موقع القول فيه قبر عليه زهرة – والخضل الذى به من الندى بلل .

(٧) الأنف الطيبة الريح يقال روضة ومنهل وكأس أنف . قال الحطيئة : (ويأكل جارهم أنف القصاع) وقال طريح الثقفى :

أيـــام سلمى غـــريـــرة أنـــف كـــأنهـــا خـــوط بانـــة رود

الاخوان

سلِ الخلصاء ما صنعوا بعهدى … أضاعوه وكم هزلوا بجدّى [1]
ركبتُ إليهم ظهرَ الأمـــانى … على ثقة فعدت أذمّ وخدى [2]
وصلت بحبلهم حبلى فلمــا … نأوا عنّى قطعت حبال ودى
وكانوا حليتى فعطلت منهــا … وغمدى فالحســام بغير غمد
أذم العيش بعــدهمُ ومن لى … بمن يدرى أذمّو العيش بعدى
وما راجعت صبرى غــير أنى … اكتّم لوعتى فى الشوق جهدى
ولو أطلقت شوقى بلّ نحرى … وروّى وبلُ غاديتيه خدى [3]
جفــــاءٌ فى مطاويه حفــاظٌ … كحسن القدّ فى أسمال برد [4]
وكم من نزوةٍ للقلب عنــدى … وهجعة سلوةٍ وقيــامِ وجد [5]
على أنّى وإن أطرب لِقربٍ … ليعجبنى عن المخفار بعــدى [6]

---

(١) الخلصاء الاخوان .

(٢) الوخد السير السريع . قال الشريف :

سـير الدمــوع على آثارها عنــق … وسيرها الوخــد والتبغيل والرمــل

(٣) النحر موضع القلادة من الصدر — والوبل المطر الشديد — والغادية السحابة والمراد بالغاديتين العينان .

(٤) الحفاظ صون العهد والوفاء له — والبرد الثوب — والأسمال الثياب الرثة الخلقة .

(٥) النزوة الثورة والوثوب — سلا عن الشيء صبر والسلوة اسم منه والقيام ضد الهجوع .

(٦) المخفار هو الذى يخفر العهد أى يخونه .

إذا ما ضنّ بالتسليم قومٌ   فإن الجـــود بالتوديع ردى
لكلّ فى احتمال النـــاس طبعٌ   ولست على تملقهم بجلد

*

وغرّ ماضـــغ بالغيب لحمى   خلاه الذمُ إذ جدنا بحمد[1]
صفوت له على العِلات دهراً   فرنّق بالسفاهة ماء وردى[2]
وكنت إذا هتفت به أتتنى   قوارصُ شر ما يحبو ويُهدى[3]
وإنى حين تغشـــــانى أذاةٌ   ليشفع للمسئ الودُّ عندى[4]
فإن يسبقْ إلى كفر وظلم   فقـــد سبقت يداى له برفد[5]
ظلمتك أن تخـــذتك لى وليًّا   ولو أنصفتُ كان سواك قصدى
غروراً كان ما وعدت ظنونى   وأشقى النـــاس مغرور بوعد
أيغضبه السكوت وقد سكتنا   ولو قلنـــا لما أرضاه نقـــدى
وجهلٌ بيّن فى غير شـــاكٍ   تعرّضـــه لشـــاك مستعد[6]
مضى زمن التسامح والتغاضى   وذا زمن الترامى والتحـــدى
لئن أعلى خسيستهم سكوتى   فسوف يحطها بدئى وعودى[7]
وإن أثمـــر لهم ذماً كثـــيراً   فهم غرسوا بذور الذم عنـــدى

---

(۱) معنى الشطر الثانى انا مدحناه فلم ينل منه أحد ولم يذمه أحد .
(۲) على العلات بكسر العين أى على كل حال ورنق جعله رنقا والرنق ضد الصافى والورد الماء ترده .
(۳) هتف به أى أثنى عليه وذكره بخير والقوارص اللواذع .
(٤) غشيه الأذى أى لحقه وأصابه والاذاة الاذية .
(٥) الرفد العطاء .
(٦) الشاكى لابس السلاح المستعد للكفاح .
(۷) أعلى خسيسته أى رفع منه .

فتى في سياق الموت

نعـد أنفاسـه ونحسبهـا والليـل فيه الظلام يلتطم[1]
إذا خروج الحيـاة أجهده تساقطت عن جبينه الدِّيَم[2]
صدرٌ كصدر الخضمّ مضطرب جحافل الموت فيه تزدحم[3]
إن قام ملنـا له بمسمعنـا أو نام خفت بوطئنا القدم
يرتاع من طول نومه الأمل ويشتكيه الرخاء والسـأم[4]
كأنما الخوف من تردّده خيلٌ لها من رجائنا لجم[5]
خلناه قد مات وهو في سنة ونائم الجفن وهو مخترم[6]
قد قلّصت ثغرَه منيتُه كأنه للحمـام يبتسم[7]

---

(١) يلتطم أي يلطم بعضه بعضاً .

(٢) الديم جمع ديمة بالكسر المطر الدائم والمراد هنا العرق الذي يرفض عن جبين المحتضر إذا أخذه النزع وطال عليه علز الموت وكربه .

(٣) الخضم أي البحر الخضم والجحفل الجيش العظيم .

(٤) يرتاع أي يخاف ويفزع أي إنه إذا طال نومه فزعت الآمال لئلا يكون النوم طريقاً إلى الموت .

(٥) أي أن الرجاء يحبس من الخوف ويكف منه كما يكبح اللجام الجواد إذا هم أن يجمح براكبه .

(٦) مخترم أي ميت يقال اخترمته المنية أي اقتطعته وانتزعته من بين ذويه .

(٧) قلصت ثغره أي جعلته متقلصاً أي منقبضاً .

المُناجاة

إن وجهاً رأيته ليلة السبـ ... ـت رماني بحبّـه وتولى
عجبٌ كيف يرتضى البعدَ عنا ... من عبدنا فى حسنه الله جلا[1]
هل حباك الإلهُ بالحسن إلاّ ... لنرى فيك آيهُ تتجلى[2]
أنت أفسدتنى وعلمتنى الحبّ ... فهـلا أصلحتَ منىَ هلا
نظرةٌ منك لو رحمت تعيد الر ... وح فينا كالروض جيد وطلا[3]
مالنا غير ذلك الصد مأوى ... أو معاذ وجلّ ذاك وقلا[4]
لم أكن أحسب الزمان يرينى ... موضعاً لست فيه جنىَ حلاً
أجدرُ الناس بانعطاف وأولى ... أنت ان تُتبع القطيعةَ وصلا[5]
بعدَ العهد غير ذكرى ليالٍ ... قد تقضّت وما شفت لى غلاّ
وقفةُ العيش بغيتى غير أنى ... أجـد الدهرَ ما يثقّل رجلا

---

(١) الجمال مظهر من مظاهر القدرة والابداع فى الخلق والاحساس بالجمال آية من آيات الاحساس بهذه القدرة .

(٢) الآى جمع آية – تتجلى أى تظهر .

(٣) جادت السماء أمطرت . قال الشاعر :

« جـادك الغيث إذا الغيـث همى ... يا زمـان الوصـل بالأندلس »

وطلت الأرض نزل بها الطل ، قال الشاعر :

فـدونكها كاضـاة الغـدير ... أو السيف سل أو الروض طلا

وكما أن الأرض تحيا بالمطر كذلك النفوس تحيا بالنظر .

(٤) المأوى المكان الذى تأوى إليه والمعاذ ما تعوذ به .

(٥) القطيعة ضد الوصل .

ليت شعرى ما حجة الزمن الجا ... ثر أم كيف عذره حين زلا
ثقلتْ وطأة البعـــاد على كا ... هل صبرى وآذنت أن تظلا[1]
أتأنّاك كى ترقّ وما تز ... داد إلاّ على المؤمل بخلا[2]
كان خيراً من السهاد رقادى ... فى حمى ظلّك الوريف وأحلى[3]
غير أنى فى الحب أقنع بالذك ... ر إذا ما الحبيب لم يك سهلا
إن لى مهجةً يصدّعها الشو ... قُ وما إن أخال إلا مبلاً[4]
لم تلمنى أنى هويتك لكن ... لمتَ أنى رعيتُ عهداً وإلاّ[5]
لستَ تأبى علىّ حبّيك لكن ... أنتَ تأبى الحفاظَ ظلما ودلاّ[6]
بأبى أنت مغضباً ولعمرى ... ما أقلَّ الفداء منى وأغلى
لكم الدلُّ والتجنّى علينـــا ... وعلينا الحفاظُ أحسنت أم لا

*

ليت شعرى متى تشق بنا النيل(م) ... جوارٍ ويا عسى ولعلاّ[7]
محقباً خمرةً لنطرب كالبحر(م) ... وتغدو لصحبة البحر أهلا[8]
أى شئ ألهاك عن مركب النيل(م) ... وقد كنتَ لاتنى عنه قبلا[9]

---

(١) الكاهل مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق .

(٢) أتأناك أى أمهلك وانتظرك .

(٣) الوريف الممتد الظل .

(٤) يصدع أى يقطع المبل المستفيق من المرض .

(٥) الإل بكسر الهمزة القرابة ومنه قوله تعالى لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة والمراد به هنا الأصر والعهد .

(٦) حبيك أى حبى إياك والحفاظ هو حفظ العهد وصونه وقد تقدم .

(٧) الجوارى هى السفن قال تعالى : « وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام »

(٨) [illegible] الشيء واحتقبه واستحقبه حمله .

(٩) ونى [illegible] الشيء ينى أبطأ وضعف وفتر قال ابن مقبل :

مرتـــه الصبا بالغور غـــور تهامـــة ... فلما ونت عنـــه بشعفين أمطرا

ما برحنا نرجو قدومك حتى   قد مللنا خلف الرجاء وملاّ
إن لى مجلساً على النيـــل فيّا   حاً فالا وافيتنى فيـــه إلا[1]
متعة العينْ من ملاحـــة مرأىً   ومنى النفس من صباحـــة مجلى
حيث لا نرهب الزمان ولا نر   قب سحاً من الملام ووبلا[2]
وهى الراحُ لا نشعشع منهـــا   وعلىّ الاكثار نهلا وعلاّ[3]
نقطع الليل فى احتساء شرابٍ   ليس أنفى للهمّ منه واجلى[4]
بين أقداحنا حديثٌ هو السحر (م) يناجيك فيـــه قلبٌ تملّى
ليس تستعـــذب المـــدامة إلاّ   بنـــديمٍ أرقّ منهـــا وأحلى
صاحبٌ مؤنسٌ وكأسٌ دهاق   ذاك حسبى لو يجمل الدهر فعلا[5]
هل أرى نجحَ ما وعدنَ ظنونى   أم ترى باعها يعود أشلاّ[6]
لستُ بالملحِف الملحّ ولا بالطا (م) مع العين إنْ وهبتَ الاقلاّ[7]
إن تجودوا سحبتُ ذيلاً فلاً   أو تضنوا فلستُ أعدم خلاّ[8]

---

(١) الفياح الواسع – يقال رجل فياح أى فياض بالعطاء الواسع – وقال بعضهم :
شـــددنا شـــدة لا عيب فيهـــا   وقلنـــا بالضحى فيحى فيـــاح
أى اتسعى يا غارة وانتشرى
(٢) سح الماء سال والوبل المطر الكثير .
(٣) شعشع الخمر مزجها بالماء – النهلة الشربة الأولى والعل الشرب الثانى ، قال الشاعر :
فلعلنـــا نمتـــح إن لم نغـــترف   ماء المـــنى ونعـــل إن لم ننهـــل
(٤) احتسى الخمر شربها شيئاً بعد شيء .
(٥) الكأس الدهاق هى الروية الملأى .
(٦) النجح بضم النون النجاح – شلت اليد إذا فسدت عروقها وبطلت حركتها .
(٧) ألح السحاب دام مطره ومنه ألح الرجل على الشيء إذا أقبل عليه مواظباً وألحف السائل أى ألح وأكثر من الطلب .
(٨) الرفل الطويل .

أحلام الموتى

أرسل الينا صديقنا الشاعر الجليل عباس افندى محمود العقاد قصيدة بهذا العنوان يقول في مطلعها :

بمغرب شمسُ هذا العمر يوماً ويغمض ناظرى ليلُ الحمام
فهل يسرى إلى قبري خيالٌ من الدنيا وأنبـــاء الأنام
ويمسى طيفُ من أهوى سميرى ويؤنس وحشتى ترجيع هام

فأجبناه بهذه الأبيات :

لهان عليّ أن ألقى حمامى ... وأطوى تحت طيّات الرغام(١)
إذا ما الليلُ نام رأيتُ قلبي ... كلوءاً مطعماً مرّ الفطام(٢)
وما طاف الكرى بالعين إلاّ ... ليفتحها على الكرب العظام
وفى ظلم القبور لنا مجيرٌ ... يجلّى وحشة العيش الجهام(٣)
أجنّونى إذا ماتتْ رمساً ... ينادمنى به خضل الغمام(٤)
ترقرقُ عنده غدرانُ ماءٍ ... على ضفّاتها أثرُ الهوامى(٥)
تغنينى الحمائمُ فى ذراهـــا ... وقد هبّ النسيمُ مع الظلام
تذكرنى لياليـنـــا وكانت ... مسلسلة البشاشة فى نظـــام
وما إن أرتجى شيئاً ولكن ... هى الأحلامُ عونُ ذوى السقام(٦)
إذا ما الموتُ رنّق فى جفونى ... وبات بكفه يوماً زمامى(٧)
فما يغنى خيالٌ من حبيبٍ ... يزورك بالتحيـــة والســـلام
وكيف يصدّ عنك وأنت حىّ ... ويمسى واصلاً لك فى الرجام(٨)

---

(١) الرغام التراب ومنه قولهم ألصقه بالرغام أى أذله وأهانه .

(٢) نام الليل أى سكنت فيه الحركات وهمدت الأصوات وهو من الاسناد المجازى والكلوء الذى لا يغلبه النوم .

(٣) الوحشة ضد الأنس ويجلى أى يذهب والجهام السحاب لا ماء فيه أو قد هراق ماءه ومن قولهم غراره كهام (أى كليل) ومدراره جهام .

(٤) رمس القبر إذا سوى بالأرض وذلك القبر رمس تسمية بالمصدر .

(٥) أثر الهوامى المراد به النبت وترقرق أى تترقرق .

(٦) المعنى انى لا أنتظر أن يعجبنى تحدر الماء ولا أن يطربنى سجع الحمام وهبوب النسيم إذا ما مت وأضمرتنى الأرض ولكن ذوى السقام يستعينون بالأحلام على احتمال العيش ويتعللون بها .

(٧) رنق الموت بتشديد النون فى العين إذا خالطها .

(٨) الرجام القبور قال كعب بن زهير :

أنا ابن الذى لم يخزنى فى حيـــاته ... ولم أخـــزه حتى تغيب فى الرجم

أماني وذكر

يا حبّــذا أمسى من مفـــارقٍ وإن قصرْ
ما فى الحوالى غــيره يومٌ به العينُ تقرْ[1]
نسيمُه إذا جــرى يغضّ من افح الذكر[2]
قضيتُ فيــه وطراً من مسمعٍ ومن نظر
والأفقُ داجٍ مدجنٌ يكاد يهمى ويدر[3]
والشمس تزوى وجهها أمن حياءٍ وخفر ؟[4]
كم ليلةٍ صيفيّـــةٍ أنساكها يومٌ خصر[5]
وحبّـــذا القهوةُ لا تأخـــذ منّا وتذر[6]
ما خيرُ راحٍ تقرُ السـ معَ وتمضى بالبصر[7]

---

(١) أى ليس فى ما مضى من الأيام يوم تقربه العين غيره .
(٢) وهو لفرط رقته وحسنه وطيبه يخفف من حرارة الذكرى .
(٣) الداجى المظلم والمدجن المتلبد بالسحب ويهمى أى يسح ويمطر .
(٤) زوى وجهه أى لواه وأخفاه .
(٥) ليس أعذب من ليالى الصيف ولا أرق منها ولا أسلس والمعنى أنه قد يمضى عليك يوم شتوى بارد فينسيك طيب ما لقيت فيه حسن ليالى الصيف .
(٦) المراد هنا بالقهوة قهوة البن والعرب تعنى بها الخمر قال البحترى :

فاشرب علـى زهر الرياض يشوبه زهــر الخــدود وزهــرة صهباء
من قهوة تنسى الهمــوم وتبعث الــ شوق الذى قد ضل فى الأحشــاء

(٧) تقر السمع أى تجعل فيه وقراً — إذا وصلك الحبيب فأنت تريد أن تمتع عينك بالنظر إليه وأذنك باستماع صوته ولا خير فى الخمر ما دامت تعطل هاتين الحاستين بعض التعطيل .

ضلّ لعمرى المحتسى ... للرّاح أيـــامٌ أ...
أيـــام لا يلقى الفتى ... معاوناً على الفكر (١)

*

يا يومُ جدّدتَ لنا ... منّى فمن لى بالظّفر
وكان جرحى قد أوَى ... على الليـــالى فغفر (٢)
ياليت حِبِّى وردةٌ ... تروق حسناً من نظر
يُومِضُ فيهـا طلّهـا ... مبتسماً إلى الغـدر (٣)
تفـــاوحُ الغيثَ كما ... فاوحَ شعرى مَن سحر (٤)
وليتنى حمامـــةٌ ... أصدح فى ضوءِ القمر
أبكى إذا ألوت بهـا ... هوج الرياح والمطر (٥)
أبكى واستبكى لها ... بمعزلٍ عن البشر
حتّى إذا عاد الرّبيـ ... ـعُ و كتسى الروضُ الخبر
غنّيتها مؤهـــلا ... مرحّبـاً بين الشجر
أو ليتنى لؤلؤةُ الـ ... طل عليهـــا فى السحر
أنعمُ فيهـــا ليلتى ... بطيب ذاك المختبر
حتّى إذا الصبح جلا الـ ... ظـلام عنـا وحسر
ركبتُ متن الريح أر ... جو كرة لمـا غـبر

---

(١) ولكن الخمر تمحو إذا استضافتك الهموم ولم تدر كيف تطردها .
(٢) أوى الجرح قارب الشفاء وغفر انتكس بعد ...
(٣) يومض أى يلمع والغدر جمع غدير .
(٤) فاح الطيب سطعت رائحته والمفاوحه المفاعلة من ...
(٥) ألوى به ذهب به قال ابن الرومى :
تهـزم الجيش أوحـديا وتلـوى ... ـــاديـه أيمـــ ...واء

ثورة النفس

أرسل إلينا صديقنا الشاعر الجليل عبد الرحمن أفندى شكرى قصيدة بهذا العنوان من القافية المزدوجة قال فيها :

هياج كما هاجت قطاة تعلقت بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب
أما فى سكون الليل يانفس واعظٌ أما فى سكون الروض ملهى ومطرب

فأجبناه بهذه القصيدة :

أخا ثقتى كم ثارت النفس ثورة تكلفنى مالا أطيق من المض
وهل أنا الا رب صدر إذا غلا شعرت بمثل السهم من شدة النبض [1]

*

لبست رداء الدهر عشرين حجةً وتنتين يا شوق إلى خلع ذا البرد
عزوفاً عن الدنيا ومن لم يجد بها مَراداً لآمال تعلل بالزهـــد [2]

*

(١) المض الألم ومعنى غلا الصدر هاج والمراد أن الصدر إذ غلا واشتد خفقان القلب شعرت بمثل وخز السهم .

(٢) المراد بخلع برد العيش الموت — عزفت النفس عن الشيء أى زهدت فيه وانصرفت عنه والمراد اسم مكان من الرياد وهو الذهاب فى التماس النجعة — والمرء إذا وقفت آماله على شفا اليأس وأضمر القنوط مما يطلب تعلل بالزهد فى الدنيا .

تراغمني الأحداث حتى كأنني وجدت على كره من الحدثان

فلا هي تصمي القلب منها إذا رمت ولا ترعوي يوماً عن الشنآن[1]

أبيت كأن القلب كهفٌ مهدمٌ برأس منيف فيه للريح ملعب

أو اني في بحر الحوادث صخرةٌ تناطحها الأمواجُ وهْي تقلبُ

*

أدور بعينٍ حيّر العيشُ لحظها وأرجعها محمرّةً كالشقائق[2]

كأنّ فؤادي بين سجوٍ وترحةٍ أديمٌ تفرّيه أكفّ الخوالق

*

أكنُّ غليلي في فؤادي ولا أرى سبيلاً إلى اطفاء حرّ جوى الصدر

أعالج نفساً أكبرُ الظن أنها ستذهب أنفاساً حراراً على الدهر

*

إذا اغتمضت عيناي فالقلب ساهرٌ يظلّ طويلَ الليل يرعى ويرصدُ

وما إن تنام العينُ لكن إخالها تدير بقلبي نظرةً حين أرقد[3]

*

---

(١) أصماه السهم أي قتله قال ابن الرومي :

تشكي المحب وتلفي الدهر شاكية كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

والشنآن البغض والكراهية . وارعوى عن الشيء رجع عنه .

(٢) الشقائق جمع شقيقة وهي زهر أحمر قال البحتري :

شقائق يحملن الندى فكأنها دموع التصابي في خدود الخرائد

والأديم الجلد والخوالق هم الذين يقطعون الجلود ويفري يقطع .

(٣) اغتمضت العين أغمضت ودب فيها النوم ومعنى البيت الثاني أن عيني لا تنام ولكنها تطبق جفنيها لتفتحهما على ما في القلب .

وهل نافعى أنَّ الرياضَ حليَّةٌ ... منوّرة النّوارُ هادلةُ الطير
وما فرحى أنَّ الرياحَ روَاقدٌ ... إذا كنتُ سهران الفؤاد مدى الدهر

*

نسيمٌ يردّ النَّفسَ حيناً لناشق ... وأ. ُ أوام بعـــــده وأوارِ
تطول ظلالُ النبتِ والشمسُ طفلةٌ ... فانْ هي جدّت صرنَ جِدّ قصار (١)

*

سأقضى حياتى ثائرَ النّفس هائجاً ... ومن أين لى عن ذاك معدًى ومذهبُ
على قدر إحساس الرّجال شقاؤهم ... وللسعد جوٌّ بالبلادة مشرب (٢)

*

خليلىَّ مهلاً بارك الله فيكما ... فما فى سكون الليل مسلاةُ واجد
إذا ثار ما بين الحجابين والحشا ... فكلُّ سكون يستثير رواقدى (٣)

*

وإن سكنت نفسى فليس بضائرى ... رياحٌ تجر الذيلَ حولى وتعصفُ
فليس يضير الحوت فى البحرِ أنه ... يهيج وأنَّ الموج يطغى ويعنف (٤)

---

(١) ظلال النبت تكون فى الصبح طويلة ولكنها تقصر كلما حدت الشمس فى المسير وجدت قصار أى قصار جداً .

(٢) الرجل البليد الحس لا يكون كثير الآلام وعلى العكس منه من كان قوى الإحساس .

(٣) الخطاب موجه للشاعرين الخليلين — عبد الرحمن أفندى شكرى وعباس أفندى محمود العقاد — إذا ثارت النفس فلا ينفعها سكون ما حولها ساكن بل ربما كان ذلك أبعث على تلهبها .

(٤) وإن هى سكنت نفسى لا يضرها هياج الرياح كما أن الحوت لا يضره هياج البحر وانتصاب الأمواج .

ليلة وداع

ودّعتهُ والليـــل يخفرنا   والبدرُ يرمقنى ويرمقهُ
والماءُ يجرى فى تدفقه   ويكاد ماءُ العين يسقبه
والدلُّ ينهـــاه تمنّعـــه   والحب يأمره ترفّقـــه
ولربّ خدٍّ بتُّ ألثمه   والدمع يطفىءُ ما أحرقه(١)
والورد أقطفه لوجنته   والشـــوك فى قلبى مفوقه
لما رأيت الليلَ زايلنا   وأذاع سرَّ الصبح مشرقه(٢)
طأطأتُ لا أرنو لرونقـــه   فالحسن يطغى الصبَّ رونقه(٣)

---

(١) إذا ترادفت القبل على الخد تورد واحمر فكأن الدموع إذ تسيل عليه تطفىء ما أججه الفم

(٢) زايلنا أى فارقنا .

(٣) طأطأت أى أطرقت ورنا إلى الشىء إذا أدام النظر إليه فى سكون – والمعنى لما ذهب عنا الليل وطلعت الشمس خفت أن يطغينى رونق الحسن الجائل فى وجهه فأطرقت ولم أنظر إليه .

رقية حسناء

نم هنيئاً فى ظلىَ الفينانِ　　وانسَ برح الهموم والأشجان(١)
وانس ما كان من زفير على الهجر　　ودمعٍ يجرى بغير عنان(٢)
وانظر العيش فى منامك والدهرَ　　بعينٍ قريرة الإنسان(٣)
هذه راحتى على وجهك الغض　　وروحى وريفة الأفنان(٤)

– ليتصور القارىء فتاة بارعة الشكل تنظر إلى صورتها فى المرآة وتعجب بملاحة معارفها ، ورشاقة قدها ، ووضاءة طلعتها ، وهو أمر ليس بالنادر الوقوع . وما أظن إلا أن كلّ جميلة إذا خلت إلى نفسها تصورت حبيبها إلى جانبها على الصورة التى تريدها ، أما فتاتنا الوهمية هذه فقد تصورت حبيبها بجانبها وقد خبله الحب . وأنحله العشق . واستوكف دموعه الوجد . وغيره السهاد . وسودت فى عينيه نور الضحى نار الهجر . فأحبت أن ترجع إليه نفسه وتذهب عنه برحاء الصدر فرقته بهذه الرقية .

(١) الفينان الطويل الحسن – يقال شعر فينان أى له فنون كأفنان الشجر والفنون تكون فى الأغصان والشعر يشبه بالغصن قال الشاعر :

« ينفضن أفنان السبيب والعذر » ، وقال المرار :

أعلاقة أم الوليد بعد ما　　أفنان رأسك كالثغام المخلس

يعنى خصل جمة رأسه حين شاب . والظل الفينان هو الكثير الأفنان – والبرح الشدة .

(٢) المراد بدمع يجرى بغير عنان – انه لا يرقأ – والجواد إذا لم يكن له عنان فأحر أن لا يكبحه شىء .

(٣) إنسان العين حدقتها – وقرت العين – قال بعضهم معناه بردت وانقطع بكاؤها واستحرارها بالدمع فان للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة – وقيل هو من القرار أى رأت ما كانت متشوقة إليه فقرت ونامت – وقال بعضهم قرت عينه مأخوذة من القرور وهو الدمع البارد يخرج مع الفرح .

(٤) الراحة بطن الكف – والروح تذكر وتؤنث – وورف النبت والشجر تنعم واهتز ورأيت لخضرته بهجة من ريه ونعمته وهو وارف أى ناضر رفاف شديد الخضرة وورف الظل اتسع وامتد ، قال الشاعر :

وأحوى كأيم الضال أطرق بعد ما　　حبا تحت فينان من الظل وارف

وقال معقر بن حمار البارقى :

من اللاتى سنابكهن شم　　أخف مشاشها لين وريف

وفؤادى مرفرف بجناحيــه حناناً فانشق نسيم الحنان(١)
وبنانى مخضبٌ كعصا السا حر يجرى الحياةَ فى الأبدان(٢)
لك من أدمعى حياةٌ كما للزّ هر من صيّب الحيا الهتّان(٣)
ورياضٌ من حسن وجهى حوالٍ وجنانٌ من منظرى الأضحيان(٤)

---

(١) رفرف الطائر حرك جناحيه وهو لا يبرح مكانه – ورفرف الرجل على الرجل بجناحه أى أشفق عليه وحنا – والحنان هو الحنو والرأفة والعطف .

(٢) البنان الأصبع وقيل بل طرفه – والخضاب ما يخضب به من حناء وكتّم ونحوه ، قال الأعشى :

أرى رجـلا منـكم أسيفاً كأنمـا يضم إلى كشحيـه كفا مخضباً

ذكر على إرادة العضو أو على قوله :

فـلا مـزنة ودقت ودقهـا ولا أرض أبقـل إبقالهـا

ويجوز أن يكون صفة لرجل أو حالا من المضمر فى يضم أو المخفوض فى كشحيه – والمعنى أنى إذا امررت بنانى المخضب على جبينك عادت إليك نفسك ودبت فيك الحياة فكأن بنانى عصا ساحر .

(٣) أى دموعى – التى هى دموع الرحمة – إذا تساقطت عليك أحيتك كما يحيى الزهر ساقط الطل – والحيا مقصور الغيث – والصوب نزول المطر يقال مطر صوب وصيب ، قال تعالى أو كصيب من السماء وقال الشاعر :

« كأنهم صابت عليهم سحابة » .

وهتنت السماء صبت وأمطرت .

(٤) المعنى أنك إذا نظرت إلى حسن وجهى كنت منه فى رياض حاليات من بديع الزهو – وليلة اضحيان بالكسر مضيئة لا غيم فيها وقيل مقمرة وخص بعضهم به الليلة التى يكون القمر فيها من أولها إلى آخرها – ويوم أضحيان كذلك مضىء لا غيم فيه ، والجنان جمع جنة وهى الحديقة ذات الشجر والنخل ، قال الشاعر :

درى باليسـارى جنـة عبقـرية مسطعة الأعنـاق بلق القـوادم

يعنى بالجنة هنا ابلا كالبستان ومسطعة من السطاع وهى سمة فى العنق – وقد يجوز أنه أراد جنة بالكسر لأنه قد وصف بعبقرية أى ابلا مثل الجنة فى حدتها ونفارها على أنه لا يبعد الأول وأن وصفها بالعبقرية وقد يجوز أن يعنى ما أخرج الربيع من ألوانها وأوبارها وجميل شارتها وقد قيل كل جيد عبقرى .

وأغانٍ خرساءَ ترصف فى الأسـ ـماع منثورَ مفرحات الأمانى[1]
ونسيم لنا يهبّ على النفس بعرف الريحان والأقحوان[2]
وضياء يشيع فى ساحة الصد ر فيجلو مخيّمَ الأدجان[3]
ويردّ الشبابَ حتى كأن الـ ـمرءَ يختال فى شبـاب ثان

---

(١) أى أنك إذا دنوت منك تسمع ألحاناً وأنغاماً لا صوت لها . . إلخ .
(٢) الريحان نبت طيب الرائحة والأقحوان بضم الهمزة والحاء من نبات الربيع له نور أبيض — والعرف الرائحه الطيبة .
(٣) شاع الضياء انتشر — أى نور هذا الحسن يجلو الظلام المخيم فى الصدر .

الوردة الذابلة

أرجٌ كأنفـــــاس الحبيـ ـبة حين تُدلنى منك فاها (١)
وغـــــلائل بات الغما مُ يجودها حتّى رواها (٢)
ذبلتْ وأخلق حسنُهـــــا ياليت شعـــرى مادهاها (٣)
رويتهـــــا بمدامعى لو كان يحييهـــــا حياها (٤)
وضممتهـــــا ضمّ الحبيـ ـب عسى يعود لها صباها
وزفرتُ على زوافرى تجدى فزادت فى ذواها (٥)
فرميتهـــــا وبرغم أنـ ـفى أننى من قد رماهـــا
ولو استطعتُ حنيت أضـ ـلاعى على ذاوى سنـــاها (٦)

---

(١) الأرج الرائحة الطيبة الذكية .

(٢) غلائل الورد أوراقه — وجادها أمطرها .

(٣) خلق الثوب واخلق بلى ، قال الأعشى :

ألا يا قتـــل قد خلـــق الجديـــد وحبـــك ما يمح ولا يبيـــد

وقال ابن هرمة :

عجبت أثيـــلة أن رأتـــنى مخلقـــاً ثكلتك أمـــك أى ذاك يروع
قد يدرك الشرف الفـــتى ورداؤه خـــلق وجيب قميصـــــه مرقوع

قوله مخلقاً أى ذو أخلاق — ودهاه الأمر نزل به ومنه الداهية أى النازلة .

(٤) يحييها أى يرجع إليها الحياة — والحيا مقصور الغيث .

(٥) زفر الرجل زفراً وزفيراً وهو إن يخرج النفس بعد أن يملأ صدره منه — وتجدى أى تنفع — وذوى العود والبقل يذوى ذبل وهو أن لا يصيبه ريه أو يضر به الحر فيذبل ويضعف قال الشاعر

رأيت الفتى يهتز كالغصن ناعماً تراه عميا ثم يصبح قـــد ذوى

(٦) الذاوى الذابل والسنى الضوء .

لحظ الحبيب

ما أفصحَ اللحظَ يا حبيبي وأعذبَ البثّ بالعيون [1]
ما الشاعر الفحلُ حرّكته على النوى هِزّةُ الحنين [2]
أخلب لى منطقاً وأحلى من نظرة الطرف فى سكون
لحظٌ يضيء الذى توارى فى ظلمة الغابر الدفين
له ضياء إذا ترامى على النجيّات والشجون [3]
أعارها نوره فعادت تندى على مهدى الحزين [4]

---

(١) بثه الحديث أطلعه عليه ، قال أبو كبير :

ثم انصرفت ولم أبثك حيبتى رعش البنان أطيش مشى الأصور

(وفى رواية رعش العظام (أراد ولم أخبرك بكل سوء حالتى .

(٢) الفحل فى الأصل معروف – الذكر من كل حيوان وفحول الشعراء هم الذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم مثل جرير والفرزدق وأشباههما وكذلك كل من عارض شاعراً فغلب عليه مثل علقمة بن عبدة وكان يسمى فحلا لأنه عارض امرأ القيس فى قصيدته التى يقول فى أولها « خليلى مرا بى على أم جندب » .

بقوله فى قصيدته « ذهبت من الهجران فى غير مذهب » .

وكل واحد منهما يعارض صاحبه فى نعت فرسه ففضل علقمة عليه ولقب الفحل وقيل سمى علقمة الشاعر فحلا لأنه تزوج بأم جندب حين طلقها امرؤ القيس لما غلبته فى الشعر – والحنين الشوق .

(٣) النجيات ما تناجى به نفسك أى تساورها ، قال الشاعر :

فبت أنجو بها نفساً تكلفنى ما لا يهم به الجثامة الورع

(٤) ندى الشيء أخضل وصارت له بلة وندى على المهجة أى نالتها منه نداوة وبلل .

يا قرة العين أنت حسبى لولاك ما أثمرت غصونى
لولاك لم أحتمل حياتى ولم أطق صفقة الغبين
وددتُ لو تنفع الأمانى لو كنتَ لدنا من الغصون(١)
وليتنى صيدحٌ يغنّى فى ظلك الوارف الأمين(٢)
كن لى فانى إذا استهلّت على الثرى دعةُ الشؤون(٣)
لينبتُ الوردُ والاقاحى وضّاحة الثغر والجبين (٤)
وإنما سجعةُ القمارى فى الليل ترجيعةُ الأنين(٥)

---

(١) اللدن اللين من كل شيء – والمعنى أنى أتمنى أن يكون الحبيب غصناً ليناً غض الثنى وإن أكون أنا طائراً أغنى فى ظله الواسع الممتد الأمين .

(٢) الصيدح هو الذى يرفع صوته بغناء أو غيره .

(٣) استهل المطر اشتد انصبابه – والديمة المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق والسحابة قال لبيد :

باتت وابل والف من ديمة تروى الخمائل دائماً تسجامها

وقال أبو تمام :

ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب

(٤) الأقاحى جمع أقحوان وهو زهر طيب الرائحة – والمعنى أن الورد والأقاحى تنبت حيث تسقط دموعى والمراد بذلك ظاهر .

(٥) القمارى جمع قمرى وهو طائر صداح له صوت حسن والمعنى أن القمارى تردد بسجعها فى الليل ما تسمعه منى من الأنين .

بَعدالموْت

تری یذکر الأحیاءَ أهلُ المقابر ... ویعتادهم فیها کشوق المسافر(١)
وهل تظمأ الأمُّ العطوف إلى ابنها ... إذا انتزعتها منه أیدی المقادر(٢)
تقول ألا یالیته لصِقَ أضلعی ... کعهدی به والنومُ ملءُ المحاجر(٣)
أضمَّ الى صدری حشاشةَ نفسه ... وأملأ قلبی منه بعد النواظر(٤)
وهل یحمل الصبُّ المشوق ولوعه ... ویصبو إلى سحر العیون الزاهر(٥)
ویذکر أیام القطیعـــة والنوی ... وأیام وصل الآنسات الغرائر(٦)
فان جشأت فی صدره غصص الجوی ... وجلَّله وجدُ الحسان النوافر(٧)

(١) یعتاده أی ینتابه ویعاوده مرة بعد أخری – المعنی هل یذکر سکان القبور أهلهم واخوانهم الذین لا یزالون أحیاء وهل یشتاقونهم کما یشتاق المسافر من فارق من أهله وصحابه .
(٢) ظمیء إلیه أی اشتاقه وحن إلیه – والعطوف الکثیرة العطف والحنان والمعنی – هل تشتاق الأم المیتة ابنها الحی .
(٣) المحاجر جمع محجر بفتح المیم وکسرها ، وکسر الجیم وفتحها ، العین أو ما دار بها من العظم الذی فی أسفل الجفن – والمعنی وهل تقول الأم وهی فی قبرها أیا لیت ابنی الآن لصق ضلوعی کما کنا نفعل فی الحیاة إذا نمنا .
(٤) الحشاشة بقیة الروح – أی أضمه إلى صدری وأملأ بعد الموت قلبی منه بعد أن ملأت فی الحیاة نواظری منه .
(٥) المشوق الشدید الشوق اسم مفعول من شاقه الأمر .
قال البحتری :
لیشوقنی سحـــــر العیـــون المجتـــلی ... ویروقـــنی ورد الخـــدود الأحمر
والولوع بفتح الواو مصدر ولع بالشیء أی کلف به – والزاهر المشرق والمعنی – إذا مات العاشق فهل یحمل معه فی القبر حبه وهل یشوقه وهو فی القبر سحر العیون المشرقة .
(٦) وهل یذکر أیام الهجر والفراق وأیام وصال الحسان – والأنسة هی التی تؤنسك بحدیثها أو هی التی یأنس بها قلبك ویسکن إلیها ولا ینفر .
(٧) جشأت جاشت – وجاشت الغصة إذا هاج ألمها وتعذر تسکینها – وجلله غطاه یقال جلله وتجلله الهم أو المرض قال النمر :
وثارت إلینـــا بالصعیـــد کأنما ... تجللها من نافض الوجـــد افکل

بكى شجوه فى ظلمة القبر وانثنى | يعالج إلمام الخيال المزاور[1]
وما حالُ طفلٍ ضامرٍ ظامىء الحشا | إذا غاله سهمُ المنايا الجوائر[2]
أيذكر ثدى الأمّ فى كل لحظةٍ | ويبكى حجور المحصنات الحرائر[3]
وهل يحلم المفلوك فى رقدة الردى | بما كان يلقى فى الليالى الغوابر[4]
فيحلم بالإيسار طوراً وبالغنى | وبالفقر والإملاق فى كل آخر[5]
وهل يسع الملحودُ ريعان زفرة | ينفّسها قلبٌ جريح الضمائر[6]
على هرم همّ برى الدهرُ عظمه | وقوّسه عبءُ السنين المواقر[7]

---

(١) الشجو الحزن يقال بكى فلان شجوه وبكت الحمامة شجوها وفى المثل ويل للشجى من الخلى وقال أبو دؤاد :

من لعين بدمعها موليه | ولنفس بما عناها شجية

(٢) الضامر الدقيق القليل اللحم — وظامىء الحشا من المجاز والمعنى انه لا رهل فيه قال زهير :

وأن مالا لوعث خازمته | بألواح مفاصلها ظماء

أى صلاب .

(٣) حصنت المرأة وتحصنت وحصنها زوجها فهى محصنة وأحصنت المرأة فرجها فهى محصنه بالفتح والكسر أيضاً ومنه قوله تعالى «ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات» المراد الحرائر العفيفات وقوله «والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» المراد الحرائر أيضاً — والمعنى هل يذكر الطفل إذا مات فى القبر ثدى أمه ويبكى حجور النساء العفيفات الحرائر ويحن إلى ذلك العهد أيام كان حياً — أم تراه إذا مات ينسى كل ذلك كأن لم يكن .

(٤) المفلوك الفقير البائس — والغوابر المواضى — والمعنى هل يحلم الفقير البائس إذا مات بما كان يعانيه فى حياته من الفقر والبؤس والخصاصة .

(٥) الايسار والغنى شىء أحد — وكذلك الفقر والاملاق .

(٦) الملحود القبر — قال ابن مناذر يرثى عبد المجيد .

فبر غمى كنت المقدم قبلى | وبكر هى دليت فى الملحود

وريعان كل شىء أوله وأفضله وريعان المطر أوله ومنه ريعان الشباب قال :

قد كان يلهيك ريعان الشباب فقد | ولى الشباب وهذا الشيب منتظر

(٧) الهرم المسن وشيخ هم بكسر الهاء وتشديد الميم لهميمه ومن قولهم قدح هم أى قديم متكسر والشراب هيم فى العظام أى دبيب قال ذو الرمة :

أميلت عليه قرقف بابلية | لها بعد كأس فى العظام هميم

وبرى الدهر عظمه من المجاز كما يبرى القلم والعبء الحمل — وأوقرت النخلة بالألف كثر حملها فهى موقرة وموقر بحذف الهاء وأوقرت بالبناء للمفعول صار عليها حمل ثقيل — والمعنى أن ما يحمله من السنين الثقال قد قوس ظهره .

قراهُ أسًى قد ضاق عنه احتماله ومؤنسه في العيش سود الخواطر[1]
وتحسبه ممـــا تقيّد دميــةً سوى حسراتٍ أردفت بزوافر[2]
وتحسبه ممـــا تقوّس طائراً ولكنّه عن عشّه غيرُ طائر[3]
ستخبرني نفسي إذا حان حينها وصرتُ كمن بادوا رهينَ حفائر[4]

---

(١) قريت الضيف أقريه من باب رمى قرى بالكسر والقصر – والمعنى أن هذا الشيخ الفانى لا يتضيفه إلا الهموم والأحزان ولا يؤنسه فى وحدته بعد فقد من كان يعوله ويواسيه إلا الخواطر السوداء .

(٢) أى أن الهرم قد قيده فهو لا يبرح مكانه فكأنه تمثال لولا أنفاس يصعدها ، وزفرات ينفسها ، وحسرات يرسلها قلبه الجريح على ابنه الفقيد الميت .

(٣) وكأنه لتقوس ظهره وانحنائه واكبابه على الأرض طائر ولكنه وإن أشبه الطائر إلا أنه يختلف عنه فى أنه لا يزايل مكانه ولا يفارق عشه ولا يطير عنه – والمعنى إذا مات رجل كان يعول أباه ويتعهده فى شيخوخته فهل يتألم وهو ميت لحال ابيه الحى البائس وهل يسع القبر زفرة هذا الألم التى يصعدها على أبيه أم يضيق عنها القبر .

(٤) أى أن الأحياء ليس فيهم من يستطيع أن يجيبنى على هذه الأسئلة لأنه لم يعد من القبر ميت فيخبرنا أيشعر الميت فى قبره أم هو يفقد الشعور بعد خروج روحه فلا مناص من الانتظار حتى يوافينى الحين وأصبح كمن ماتوا رهين القبور – وعند ذلك أعلم ما أنا اليوم جاهل ! ! هذه الحيرة تنتاب كل من نظر فى مسألة الحياة والموت وفكر فيها على أن الباعث على التفكير فيها يختلف باختلاف الناس وأمزجتهم أما أنا فانما دفعنى إلى ذلك فزعى من أن لا يفارق المرء شعوره فى القبر واستهوالى للاحساس فى ظلمة هذه الوحدة فان يقظة الشعور فى الحياة مؤلمة فما ظنك بها فى هذه الوحشة وأى رجل لا يرتاع إذا تصور نفسه مستلقياً على ظهره فى القبر لا يستطيع حراكاً وهو على ذلك يشعر بما حوله ويحس بما يكتنفه من الظلام والسكون البارد والوحدة المقلقة ويذكر أيام الحياة وما مر به من شدة ورخاء فيستقبل ما استدبر ويعيش فى كل ثانية فى بطن الأرض ما عاش من سنين فوق ظهرها ، ويقاسى فى اللحظة الواحدة بعد الموت ما قاسى طول عمره فى الحياة من حزن وخوف وحب وبغض وقلق وشوق وندم . . إلخ إلخ . أى فتى يتصور ذلك ولا يستهوله ؟ ألا ليت المرء إذا مات تموت معه نفسه وشعوره !

لفظ الحبيب

لذيذٌ إذا درّ قطرُ الرّهام   واضمرت البدر سجفُ الغمام(١)
هبوبُ النسيم بعرف الرياض   يرقرقه فى حواشى الظلام(٢)
لذيذٌ تحدّر ماء الغدير   وقد أنطق الليل خرس الحمام
لذيذٌ دبيب الكرى فى الجفون   بعد الكلال وطول القيام(٣)
ولكنّ لفظك من ذاك أحلى   وأوقع فى قلبى المستهام(٤)
أظلّ إذا استكّ فى مسمعى   يرف علىّ جناح الغرام(٥)
كأن فؤادىَ مسحورةٌ   من الفلك فى موجه المتسامى(٦)
تعانقها نفحات النسيم   ويرقصها زجلٌ ذو التطام(٧)

---

(١) در اللبن وغيره من بابى ضرب وقتل سال وكثر والرهام جمع رهمة بالكسر وهو المطر الضعيف الدائم والسجف جمع سجاف وهو الستر .

(٢) العرف الرائحه الزكية ورقرق النسيم الطيب أجراه وبثه قال :

وتبرد برد رداء العروس   فى الليل رقرقت فيه العبيرا

(٣) الكرى النعاس – والكلال اللغوب والتعب – والقيام السهر .

(٤) المعنى أن هذه الأشياء كلها لذيذة ولكن لفظك أحلى منها وأعذب وألذ فى قلبى الكلف

(٥) استك فى مسمعى أى دخل أذنى ورف تحرك واختلج واهتز قال ابن مطير :

بمنيننا حتى ترف قلوبنا   رفيف الخزامى بات طل يجودها

(٦) أى إذا سمعت لفظه صرت كأنى سفينة مسحورة تسبح فى موج صوته .

(٧) الزجل بالتحريك الجلبة ورفع الصوت وخص به التطريب قال :

له زجل كأنه صوت حاد   إذا طلب الوسيقة أو زمير

وقد زجل زجلا فهو زجل بكسر الجيم وفى حديث الملائكة لهم زجل بالتسبيح أى صوت رفيع عال وسحاب ذو زجل أى ذو رعد وغيث زجل – لرعده صوت – ونبت زجل – صوتت فيه الريح قال الأعشى :

« كما استعان بريح عشرق زجل »

والمراد به هنا الموج ذو الصوت – أى أن هذه السفينة يرقصها موج صوته الزجل .

شفاهٌ يؤججن أنفاسه ويلثمن ألفاظهنّ الظوامى(١)
تمهّل ألفاظه علّها تبرّد فى فيه حر الأوام(٢)
وتقرع أذنى فتهاجنى كأنّ لها نشوات المدام(٣)
إذا قيّد الهمّ خطو الرجاء أطلقه لى سحر الكلام

---

(١) أى شفته الحمراء المتوردة تؤجج أى تسعر أنفاسه التى يرسلها فتخرج حارة غير باردة ثم هى أيضاً تقبل اللفظ قبل أن يخرج – ومعلوم أن المرء إذا تكلم التقت شفتاه العليا السفلى ثم افترقتا وكذلك تلتقيان وتفترقان عند التقبيل فكأن شفتيه تقبلان ألفاظه . الظوامى أى العطاش .

(٢) أى أنه إذا تكلم لا يسرع تمهل أى تتمهل – فكأن ألفاظه تتباطأ فى . عسى أن تبرد فى ثغره حرارة الظمأ – الأوام الصدى والعطش .

(٣) ثم هى إذا وردت على الاذن أسكرت وصار لها فعل خمر ونشوات جمع نشوة .

– الخطاب موجه إلى صديقنا الشاعر الجليل عباس أفندى محمود العقاد .

مُناجاة شاعر (*)

يا شاعر النفس كم أبكاك مصرعها   لقد بكيت على خرقاء مضياع
أسبلت آذيّ عينٍ ما تركت لها   دمعاً يراق على رزء وأوجاع (1)
آذاك دهرك حتى لست تحفله   فما تبالى بإخماص وإشباع (2)
واستطعمتك الليالى كلّ حاذقة   فما رأت منك إلاّ غير مجزاع (3)
أنا شبيهان فى شجوٍ وفى ظلع   وراء نجم من الأحلام لمّاع (4)
كذبتُ نفسى كما كذبتَ بارقها   وكان بالرغم تصديقى لأطماعى (5)
يسكّ صوت المنى سمعى وتومض لى   ثغورُها عن بديع جدّ خداع (6)

---

* قد حذفنا من هذه القصيدة ما أملاه الغضب والسخط – وكان بودنا أن لا ننشر منها غير العتاب الأخير .

(١) أسبل الدموع أذراها وأرسلها – والأذى الموج – يراق أى يسكب .

(٢) الأخماص الاجاعة وحفل الأمر وحفل به أى اكترث له وعبأ به .

(٣) الحاذق الخبيث الحموضة لفساد فيه .

(٤) الظلع العرج قال الضريس بن أبى الضريس لعبد الملك حين قتل الأشدق .

وهم قومك الأدنون فارأب صدوعهم   بحلمك حتى ينهض المتظالع

وقيل فى تفسير قولهم لا أنام حتى ينام ظالع الكلاب – هو الذى لا تأخذه عينه لما به من الوجع

(٥) البارق السحاب ذو البرق .

(٦) يسك أى يدخل – تومض تبرق .

فأنثنى غير مخدوع وكم فتنت لبى الأمـــانى بإيماءٍ وتلماع
لله صرخة وجدٍ أنت مرسلها ضاعت عليك بواد غير ممراع
وما بهم صممٌ لكنهم جهلوا معنى النداء فضلّوا وجهة الداعى
الاّ تجبك نفوسٌ لا تعى أبداً فقد أجابك قلبُ السامع الواعى
تدعو المعانى فتأتى وهى طائعةٌ إذا التوين على فدمٍ وجعجاع (١)
يعنو لك اللفظُ والمعنى كما امتثلت هذى العوالمُ أمر الخالق الراعى (٢)

(١) التوى الأمر أعضل وتعذر — والفدم العيى القليل الفهم مع ثقل ورخاوة .
(٢) أى يطيعك اللفظ والمعنى كما يطيع هذا الوجود أمر خالقه الذى يرعاه .

إلى صديق قديم

كان لنا صديق أخلصنا له الولاء ، وصدقناه الأخاء ، فما زال يوهن من حبلنا ، ويفصم من عرى ودنا ، حتى انفرجت الحال ووقعت النبوة وجرى بيننا كلام فبعثنا له بهذه القصيدة .

بعض بغضائكم أولى البغضاء　　إنما الشتم شيمة السفهاء
ليس يشفي السبابُ غلَّ حسود　　قد طوى صدره على الشحناء (١)
إن داء القلوب داءٌ عياء　　مثل داء المنون للأحياء (٢)
فاستر الضغن إن تشأ أو فجاهر　　قد عرفناك فاسد الأهواء (٣)
أنت كالذئب خدنُ غدر ولؤم　　ليس للذئب فى الورى من وفاء
ما رأيناك بالاخاء خليقاً　　ورأيناك أهل هذا الجفاء
قد تكلفت أن أعارض طبعى　　وأجاريك مرة فى الهجاء
فرأيت الكريم يعجز عنه　　عجز برد الشتاء عن إدفاء
ورأيت الهجاء يرفع منكم　　إنَّ ذمَّ الوضيع كالأطراء
ما يبالى مستهتكٌ نلتَ منه　　أم عليه وقفت كل ثناء (٤)
لا تغضّ العيوبُ طرفَ بغىّ　　نشأت بين بيئة شنعاء

(١) الشحناء العداوة والبغضاء .

(٢) المراد بداء القلوب الحقد — والعياء الذى يعييك أن تداويه. ويعجزك أن تشفيه — أى أن الحقد كالموت ليس له دواء .

(٣) الضغن هو الحقد والغل — أى سواء لدينا أخفيت ما تحمله علينا من الحقد أم كاشفتنا به — فقد عرفناك مريض القلب فاسد الطوية .

(٤) المستهتك هو الذى أقلع عن مذاهب الحشمة وأبرز صفحة الوقاحة وأصبح لا يبالى أن يهتك ستره — أى مثل هذا الرجل لا يبالى بمدحك ولا بذمك .

كيف يندى جبينُ من غاض منه كل ماء وغار كل حياء (١)
رب قول لو كان فى الصمّ بضت لم يؤثر فى أنفس اللؤماء(٢)
و نمال تسوخ منه جبالٌ عاد كالسيف نابياً عن مضاء(٣)

* * *

يا حماة الآداب نمتم طويلا نومة نبهت جيوش البلاء(٤)
من لستر الحياء يهتكه الغر ويفرى فى جوفه كالداء (٥)
من لوجه الأحساب يخدشه الغر وينعى بالخدشة النكراء (٦)
ولقلب الأخلاق يطعنه غر ويجرى دماءه كالماء
ولروض الآداب جف وأمسى ظاهر الجدب لابساً من عفاء(٧)
ذهب الود والحياء جميعاً هفَّ أرضى عليهما وسمائى
وتبدلتُ من رجالٍ وفاءٍ كلّ غر مماذق فى الوفاء(٨)
يتلقّاك بالطلاقة والبشر وفى قلبه قطوبُ العداء(٩)
كالسراب الرقراق يحسبه الظمآ ن ماء وما به من ماء(١٠)

---

(١) أى كيف يجرى على جبينه عرق الحياء وقد غاض من وجهه كل ماء – غار الماء ذهب فى الأرض – وغاض نضب .
(٢) فى الصم أى فى الصخور الصم – وبضت أى خرج منها الماء .
(٣) نبا السيف عن الضريبة نبواً من باب قتل ونبوا على فعول بضم الفاء رجع من غير قطع – ساخ – ذهب فى الأرض .
(٤) نبهت أى أيقظت قال بشار :
إذا أيقظتك صعاب الأمور فنبه لها عمرا ثم نم
(٥) هتك الستر هتكا من باب ضرب خرقه – ويفرى يقطع .
(٦) خدش جرح وينعى بالشىء يفخر به .
(٧) الجدب المحل وزناً ومعنى وهو انقطاع المطر ويبس الأرض – وعفا الشىء درس وبلى .
(٨) ماذق فى الود لم يخلصه من مذق اللبن إذا مزجه بالماء .
(٩) القطوب ضد البشر – أى يلقاك بوجه ضاحك مستبشر وهو يطوى دونك قلباً عابساً نغلا بالعداوة .
(١٠) ترقرق الماء جرى جرياً سهلا فهو رقراق – وترقرق السراب . قال ذو الرمة :
يدوم رقراق السراب برأسه كما دومت فى الخيط فلكة مغزل

عاجز الرأى والمروءة والنفـ ـس ضئيل الآمال والأهـواء

ألِف الذلَّ فاستنام إليـه وتباهى به على الشرفـاء

ينسج الزور والأباطيل نسجاً والأكاذيب ملجأ الضعفـاء

و تراه بالليل يخطر عجباً فى مسوك الفرنجة السوداء(١)

فلت قردٌ من آل(دروين) ناشٍ أخذت منه سورة الصهبـاء(٢)

مستميت إلى المكاسب والربـ ـح دنئ الأسفاف والكبرياء(٣)

فاسق يظهر العفاف ويخفى تحته الخزى ياله من مراء

مظلم الحسِّ والبصيرة كالتمـ ـثال خلو من الحجا والذكاء(٤)

قد زهاه الشموخُ فاختال تيهاً ولوى شدقه على الخلصاء (٥)

وعدا طوره فأركبه الجهل جموحاً ألقته فى عوصاء(٦)

فغدا كالحمار أوهمه الشيطا ن أمراً فصاح من خيلاء(٧)

---

(١) المسوك هى الثياب .

(٢) دروين هو صاحب المذهب المشهور فى أصل الإنسان والقائل بكثرة وجوه الشبه بينه وبين القرد – نشى سكر – والصهباء الخمر – أى كأنه قرد سكران .

(٣) أسف الطائر طار عداء الأرض دانياً منها حتى كادت رجلاه تصيبانها ومنه أسف للأمر الدنئ وإليه قال :

وسام جسيمات الأمور ولا تكن مسفا إلى ما دق منهن دانيـا

(٤) مظلم الحس أى أعمى الفؤاد بليد الذهن – والحجا بالكسر والقصر العقل .

(٥) زهاه من الزهو وهو الكبر – يقال زهى بكذا وزهاه الاعجاب والتيه . قال أبو المثلم الهذلى :

متى ما أشـأ غـير زهـو الملو ك أجعلك رهطا عـلى حيض

وشمخ الجبل يشمخ بفتحتين ارتفع فهو شامخ ومنه قيل شمخ بأنفه إذا تكبر ومنه الشموخ وهو الكبر – والشدق جانب الفم والخلصاء جمع خلص وهو الصديق الأثير الحميم .

(٦) عدا طوره أى جاوز حده – وجمح الفرس براكبه جماحاً بالكسر وجموحاً بالضم استعصى فهو جموح بالفتح وجامح يستوى فيه المذكر والمؤنث . قال :

خلعت عـذارى جامحا ما يردنى عن البيض أمثال الدمى زجر زاجر

والعوصاء الشدة .

(٧) يقال إن الشيطان يهمس فى أذن الحمار أن هذه الحمارة قد فتنها حسنك وسحرها جمالك وخلبها صوتك فيغتر بذلك ويصيح صياحه المنكر – وكذلك هذا الأبله .

هو حمّى الجليس يدفع فى الصد ... ر ثقيـــل الكلام والإيماء[1]
أعجمىُ اللسان فهٌّ عيٌّ ... يدّعى أنه من الفصحاء[2]
يملأ السمعَ والقلوب كما يز ... عم رطب اللسان عذب الأداء
يا قطيع اللسان مالك والشعر ... وصوغ الكلام جم العناء
أنت فى الأرض نقمة الله للنا ... س جميعاً قريبهم والنــائى
قد لعمرى نكبتَ عن جدد الرشـ ... ـد وأوغلتَ فى شعاب الرياء[3]
أنت فى الزهو والسفاهة واللؤ ... م عديم المثـــال دون مراء
لو على قدر بطء حسّك يوماً ... كنت كيساً ذا أربة وذكاء[4]
لبلغت السنــام من قلل المجـ ... ـد وجاوزت رتبة الأنبياء[5]
ضجّ من لؤمك الخلائقُ فى الأر ... ض وعاذوا من شرّه فى السماء
صار إبليسُ عند ربك مقبو ... لا وقد كان قبل فى الأشقياء
عشّش اللؤم فى فؤادك وارتا ... ش فيارحمة على الأحيـــاء[6]

* * *

(١) يدفع فى الصدر أى يكرب ويضجر .
(٢) الأعجمى ضد الفصيح والعيى العاجز عن الكلام والفه المفحم – ورطب اللسان أى بليغ اللسان إذا كان لسانه لتهل الجرى مستمراً على المنطق – وعذب الأداء أى حسن التحقيق والابانة والمنطق .
(٣) نكب عدل ومال والجدد جمع جدة بالضم وهى ما انشعب من الوادى وأخذ فى طريق غير طريقه .
(٤) الكيس بالتخفيف العاقل الظريف والأربة بالكسر والضم الحصافة والعقل والفطنة . قال :
رب ذى أربة مقــل من المـــا ... ل وذى عنجهيـــة مجـــدود
(٥) السنام من سنام البعير وهو أعلى ظهره والقلل جمع قلة وهى من الجبل أعلاه .
(٦) عش الطائر ما يجمعه على الشجر من حطام العيدان وعشش أى اتخذ له عشاً . قال عمر بن الخطاب لرجل : إنى باعثك إلى بلد قد عشش فيه الشيطان . . إلخ . والريش من الطائر معروف وارتاش صار له ريش .

لا أقال الأله من خانني الغيب وجازى الحفاظ شر جزاء (١)
ظن أني على التحلم ماض فمضى ضلة على الغلواء (٢)
وغلا في الضلال فاشتبه الأمر عليه وبات في عشواء (٣)
وأراه الغرور أنا سواء فتباهى وليس من نظرائي
كيف تعطو وليس عندك نوط وتسامى وأنت في البوغاء (٤)
أسفاً للعقول ضلت وزاغت عن سبيل الهدى ووضح السواء (٥)
كنت في ظلنا الوريف مقيماً آمن البال وادع الأحشاء (٦)
فاستثرت المنسى من فارط الذنب وأوغرت صدرنا بالبذاء (٧)
أنت أسخطتنا عليك فحلنا عنك لما جهلت وجه الرضاء (٨)
أنت وثبتنا عليك وقد كنت موقى في غرة ورخاء (٩)

---

(١) أقاله إذا رفعه من سقوطه — والحفاظ صون العهد وقد مر .

(٢) التحلم تكلف الحلم — والغلواء الطغيان — وضلة — ضلالا . قال ابن الرومى من همزيته المشهورة .

ضلة لامرىء يشمر في الجمع (م(لعيش مشمر في الفناء

(٣) غلا في الضلال أي جاوز الحد فيه — اشتبه الأمر عليه أي التبس — والعشواء الظلمة أي بات في حيرة من أمره ومنه قولهم خبط عشواء أي يخطىء ويصيب كالناقة التي في عينها سوء إذا خبطت بيدها . قال زهير :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

(٤) عطا يعطو إذا تطاول إلى الشيء ليتناوله . قال :

تحك بقرنيها برير أراكة وتعطو بظلفيها إذا الغصن طاف

والنوط بالفتح كل ما علق من شيء — أي كيف تفتخر وليس عندك شيء وتتناول وليس هناك شيء معلق وتسامينا وأنت في البوغاء وهم سقاطة الناس ورعاعهم .

(٥) زاغ مال .

(٦) وادع أي مستريح .

(٧) استثار هاج وأخرج — والفارط السابق — وأوغرت صدرنا أي احقدتنا عليك — والبذاء — السفه وفحش المنطق .

(٨) حال عنه أي مال وأعرض .

(٩) وثبه بالتشديد أي جعله يثب أي احقدتنا عليك فوثبنا — موقى اسم مفعول من وقى بالتشديد أي صان وحفظ .

أنت ضاغنتنا وخشّنت صدراً ... كان يحنو عليك فى البأساء (١)
أنت قطّعت حبل خلّك بالغد ... ر وأيبستَ ثدىَ هذا الأخاء (٢)
أنت ناوأتنا وعلمتنا الثلب ... فرشنا لكم سهام الهجـــاء (٣)
حزت ذمى وللرياح السوافى ... مثل ذم التّراب والحصباء (٤)
لا يغرّنك ما ترى من أناتى ... واحتبائى بالحلم والأغضاء (٥)
ربما استُنزلَ الحليم عن الرفق ... وثارت سكينة الحكماء (٦)
قد أذقناك حين أصفيتنا الودّ ... وفاءً أعذبْ به من وفاء (٧)
كان ودّى مصفّقاً لم أعكّره ... برنقٍ من القلى والرياء (٨)
ولقد أينع الودادُ على الأيا ... واستحْصفت حبالُ الأخاء (٩)

---

(١) ضاغنة أى حاقدة من الضغينة وهى الحقد والبأساء – الشدة .

(٢) قطعت بالتشديد حبل خلك أى أفسدت ما بينك وبينه من الود وأخلقت العهد – يقال بين القوم ثدى أيبس كناية عن انقطاع الصلة واليابس هو الجاف الذى ذهب نداه – قال العباس بن مرداس :

تدعو (هوازن) بالأخاء وبيننـــا ... ثـــدى تمد به (هوازن) أيبس

(٣) ناوأه عاداه – والثلب الطعن – راش السهم أصلح ريشه . قال :

وإن انتقم منـــــه أكن مثـــل رائش ... سهام عدو يستهاض بهـــا العظم

(٤) السوافى هى الرياح اللواتى يسفين التّراب ويحملنه على وجه الأرض يهجمنه على الناس – والحصباء الحصا – كبارها وصغارها – واحدتها حصبة كقصبة وقصباء – وعند بعضهم اسم للجمع – والمعنى أن الرياح إذا ثارت حملت التّراب والحصا وسفتها فى وجوه الناس والناس تذم التّراب المسفى فى وجوههم وكذلك الرياح التى حملته مذمومة وأنت قد أطلت علينا لسانك فجاءتنا منك قوارص ولواسع نذمها ونذمك إذ كنت الرامى بها .

(٥) الأناة الحلم والرفق – واحتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ويستعمل الاحتباء كناية عن الحلم ونقضه كناية عن الطيش .

(٦) استنزل عن الرفق أى حفز عن دعته وركانته وحلمه واستخفه الغضب – أى لا يغرك ما ترى من حلمنا وسكون ريحنا فقد يحل الغضب حبوة الحليم وتذهب عن الحكيم رزانته وتثور ريحه .

(٧) أصفاه الود أى أخلصه له وجعله صافياً .

(٨) مصفقاً من تصفيق الشراب وهو تصفيته – الرنق ضد الصافى – والقلى البغض والكراهية والأعراض .

(٩) ينع الثمر وأينع أدرك وطاب ومنه قول الحجاج بن يوسف من خطبة له : أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها : واستحصفت استحكمت .

كم ركضنا إلى المسرة واللهو برغم الهمـــوم والبرحاء [1]
واغتبقنا الشراب حتى اصطبحنا لم نشعشع صراحه بالمـــاء [2]
لم أطع فيك واشياً يزرع الحقد ويجنى ثمـــاره فى الخفـــاء
ضمّنا عاطفُ المودة دهراً وافترقنا على القلى والجفـــاء
فلك اليوم فى المحافل ذمى ولماضيـــك عُنفوانُ الثنـــاء
لستُ أبكى على فراقك ماعشت فان البكا على الأوفيـــاء
لن ترى البين فاجعى أبد الدهر فمـــا كل خـــلة بسواء [3]
كان شأنى الحفاظُ والرعىُ فالآ ن أرى الرعىَ أعظم الأرزاء [4]
فيك أبصرتُ كيف يكدر صفوى بصنوف الأكـــــدار والأقذاء
كنت أرجوك للزمان فأنت الـ يوم دائى فى البعد منك شفائى
ربّ قربٍ أفضى إلىّ بضرّا ءَ وبعـــدٍ أفضى إلى السرّاء
طبتُ نفساً عن ذكركم وشفا السلـ ـوانُ قلبى من لاعج العرواء [5]
كنتَ بالذكر بين عينى وقلبى فجررنا عليك ذيلَ العفاء
قد كبا بيننـــا الودادُ فلا قا م وغص الهوى بماء الهجاء [6]
خلت جهلا أنّ الفؤاد هواءٌ ليس يصميه كثرة الأيذاء [7]

---

(١) ركضت الدابة جرت وعدت والبرحاء الشدة .
(٢) اغتبق الخمر شربها مساء واصطبحها شربها صباحاً وشعشع مزج والصراح الخالصة بغير مزج .
(٣) الخلة الخليل والصاحب قال :
ألا خـــبرا خـــلّى راشـــدا قـــديماً وصنـــوى إذا ما اتصل
بأن الدقيـــق يهيـــج الجليـــل وأن العـــزيز إذا ســـاء ذل
(٤) الرعى مصدر رعى يرعى ورعى الذمام أى حفظه ولم يضعه .
(٥) اللاعج المحرق وعرواء من عرواء الحمى وهى رعدتها عند أول مسها .
(٦) كبا وقع كما يقع الجواد وغص الشارب بالماء إذا وقف فى حلقه لا يكاد يسيغه .
(٧) أصماه قتله .

لا أرتنى الأيام وجهك ماعشتُ ولا قربتك بعـد التنـائى[1]
وتنائى الدارين خيرٌ وأحـرى من تدانيهمـا على البغضـاء
قد مضينا كما مضيت وما دمت ودمنا فما لنـا من إخاء
لن ترانى بالباب بابك استغز ر فيضَ الدجنَّة الوطفاء[2]
أقرع السنَّ نادماً وأذمّ الدّ هر ذمًّا ولات حين عزاء
علّ ماء الشؤون يطفىء ناراً قد أذابت لفائف الأحشاء[3]
واقفاً أندب اعتدال زمان طال فيه بين الكرام ثوائى[4]
بين أهل اللَّيان والخلق السَّكب الشّأبيب والحجا والذكاء[5]
حيث عزّ الوقارُ والجانبُ السهلُ وذلت طيرورَةُ الضرساء[6]
ياخليلى قد صرتُ جلداً على الهجر متين العرى وسيعَ الفناء[7]

---

(١) التنائى البعد .

(٢) فاض السيل يفيض كثر وسال والدجنة السحابة الممطرة والوطفاء — الوطف فى الأصل طول الشعر واسترخاؤه وسحابة وطفاء من المجاز أى لها هيدب دان مسف . قال أبو تمام :
« وانحل خيط المزنة الوطفاء » .

(٣) لفائف جمع لفافة وهى الشحمة تلتف على القلب أو غيره أى لن ترانى أجزع لفراقك واقف ببابك أبكى وأقرع سنى نادماً وأذم الدهر بعدك وقد تداعت حصون الصبر لعل ما أسكبه من الدمع يخفف ما بى من الحزن والندم ويطفىء ناراً أذابت شحم الكلى والأحشاء .

(٤) الثواء الاقامة وزمان معتدل أى طيب أى ولن ترانى واقفاً ببابك أندب زماناً طيباً كان لنا قضيته بين الكرام — والمراد التهكم .

(٥) بين أهل الليان — الليان اللين أى بين قوم لينى الجانب لا خشونة فيهم — الشأبيب جمع شؤبوب وهو فى الأصل الدفعة من المطر — وخلق سكب الشأبيب أى سهل الشريعة منسجم رقيق الحواشى — والحجا العقل .

(٦) الطيرورة الخفة والطيش — والضراس بكسر الضاد الفظاظة والجفاء والخشونة وكل هذا تهكم .

(٧) الجلد الصبور الحمول ورجل متين العرى أى حمول للنائبات مطيق للخطوب — الفناء الساحة أى يتلقى الأمر برحب صدره .

ولئن قدّر الزمانُ اجتماعا　　فبكرهي يكون لا برضــاني
بأبي أنت . أنت أوّلُ إلفٍ　　ردّني من بلابلي للعــراء
كنتُ لا أملك الدموع فقد صر　　تُ ألاقي النوى بالاستهزاء [1]
حبّذا أنت غير أنك تبغي　　أن تداني أهل السنى والسناء
تلك أحــلام نائم وأحاديثٌ　　لمستمسك بحبــل الهبــاء[2]
وغبيٌّ الأنام من ظن أن الز　　رعَ يزكو في التربة الظماء[3]
كلّ ماضيك قد وسعت بحملي　　غير ماجئت ليلة الأربعــاء
قضي الأمرُ بيننا فســلامٌ　　وسقى الله . عهدَ ذاك الإخاء

(١) لا أملك الدموع أي لا أستطيع حبسها من الجزع فقد صرت الآن ألاقي الفراق بالاستهزاء .

(٢) الضوء الداخل من الكوة أي النافذة يرى فيها الهباء شبه حبل – وقيل هو خيط العنكبوت والهباء هو دقاق التراب الساطع في الجو كالدخان وما ينبث في ضوء الشمس .

(٣) زكا النبت نما وأثمر والظماء الشديدة العطش – والزروع لا يثمر في الأرض الظامئة .

الذكرى

تقبس النارَ وإن طال القدمْ ... من ينابيع الزمان المنصرم (١)
كم لنا من ليلةٍ مطوية ... نشرتهــا فكأنّا فى حلم (٢)
ربما عاد بها اليــومُ وفى ... وجهه الطلق من الأمس غمم (٣)
ربمــا اهتزّ بهــا ذاوى المنى ... ولقد توقظ شيطانَ النّدم (٤)
ربَّ صــوتٍ نبهت نائمه ... يسمع السامعُ منــه كالنغم (٥)
بذل الماضى لهــا طاعتــه ... وابتنت داراً لها بين الرمم (٦)

---

(١) قبس النار يقبسها من باب ضرب أخذها من معظمها والمنصرم الماضى – والينابيع جمع ينبوع العين التى يخرج منها الماء .

(٢) النشر ضد الطى ونشر الميت أحياه . قال الشريف :

« وليس لما يطوى الجديدان من نشر » – الجديدان الليل والنهار .

(٣) الغم سيل شعر الرأس حتى تضيق الجبهة والقفا والطلق البشوش المشرق والمعنى ربما سودت الذكرى المؤلمة وجه اليوم المتهلل .

(٤) اهتز النبات أى تحرك وطال والذاوى الذابل – والمعنى أن الذكرى قد تحيى الأمل على أنها أحياناً قد تورث المرء الندم .

(٥) نبهت أى أيقظت وقد مر .

(٦) أى أن الزمان الماضى يطيع الذكرى فتحيى منه ما مات وفات – والذكرى لا عمل له لا بالحاضر ولا بالمستقبل فكأن دارها مبنية بين رمم الليالى الماضية وعظام الحوادث البالية .

مناجاة حسناء

لا أنسَ منظــرها وقد طلعتْ   للعــين بين خمائل الورد

*

والمـــاء يرقصه تدفقـــه

والبـــدر أشحبــه تأرّقه

والليل طفلٌ شاب مفرقه (١)

والغصن ميّادٌ وقد عبقت   حـــللُ النسيم بنفحـــة الرند

العين تناجيهـــا

هل تعرف الحسناءُ واعجبي

لشحوب لون الورد من سبب

وذبول جفن النرجس العجب

وصدودها عنّي وقد علمت   أنى ليطرفنى قذى الصدّ (٢)

* * *

---

(١) مفرق الرأس مثال مسجد حيث يفرقُ فيه الشعر والمراد منه مقمر .

(٢) قذيت العين قذى من باب تعب صار فيها الوسخ التراب وغيره .

القلب يناجيها

لون الربيع بوجنة الزهر[1]
والرَّوض مشرق صفحة البشر
وبحبّتي يا أنفس الذخر[2]

برد الشتاء فهل ترى سمعت عصفَ الهوى وتهزّم الوجد[3]

---

(١) الوجنة من الإنسان ما ارتفع من لحم خده .
(٢) حبة القلب سوداؤه والصميم منه .
(٣) عصفت الريح عصفا اشتدت وتهزم الرعد صوته – لما قال أن فى حبة قلبه برد الشتاء جعل للهوى عصفا كعصف الريح وللوجد تهزما كتهزم الرعد .

قبر الشعر

ليت ديـــوانى يكونُ له   من بديع الزهر تيجـــان
فكأنَّ الشعرَ فى جـــدثٍ   فوقه وردٌ وريحــــان (١)
يا لها من حفـــرة عجب   كلُّ ما تطويه أشجـــان (٢)
كل بيتٍ فى قـــرارته   جثـــةٌ خـــرساء مرنان (٣)
خارجـــاً من قلب قائـــله   مثـــل ما يزفر بركان

---

(١) الجدث القبر – والقبر يوضع عليه الورد وغيره من الأزهار كما هو معلوم .

(٢) الحفرة ما يحفر للميت ليدفن فيه – أى أن هذا القبر ليس فيه عظام ولا رمم وإنما كل ما فيه أشجان وأنفاس – وتطوى أى تغيب .

(٣) والقرارة هى الحفرة والجثة الجسم الميت والخرساء التى لا صوت لها والمرنان التى لها صوت أى أن كل بيت من الشعر كأنه جثة وهو وإن يكن صامتاً إلا أنه ناطق المعنى .

عِتابٌ

ذهب الوفاءُ فما أحسّ وفاء　　وأرى الحفاظ تكلفاً ورياءَ
الذنب لى أنى وثقتُ وأننى　　أصفى الوداد وأتبع الغلواء
أحبابىَ الأدنين مهلاً واعلموا　　أن الوشـاةَ تفرّق القرباء
إلا يكن عطف فردوا ودنا　　ردا يكون على المصاب عزاء
إلاّ يكن عطفٌ فربّ مقالة　　تسلى المشوقَ وتكشف الغمّاء(1)
إلاّ يكن عطفٌ فلا تحقرجوًى　　بين الضلوع يمزق الأحشاء
هب لى وحسبى منك ان تلكفرقةٌ　　لفظاً يخفف فى النوى البرحاء (2)
فإذا ذكرتُ لياليًا سلفت لنا　　جنّ الفؤاد ونفّس الصعداء
دعنى أقول إذا النوى عصفت بنا　　وأجدّ لى ذكرُ الهوى أهواء(3)
ما كان أسلسَ عهده وأرقّه　　ولّى وألهج بالثنـا الشعراء
لا تبخلوا بالبشر وهو سجيّةٌ　　فيكم كما حبس السحابُ الماء
لا يُحسن التعبيس أبلجُ واضحٌ　　ضحك الجمال بوجهه وأضاء(4)
قد كنتُ آمل منك أن سيكون لى　　قلبٌ يشاطرنى الوفاءَ سواء
فإذا بكم كالشمس يأبى نورها　　أبد الزمان تلبّثا وبقاء (5)

(1) تكشف الغماء أى تخلى من الهم والغم .
(2) النوى الفراق والبرحاء الشدة .
(3) عصفت بهم النوى فرقتهم . قال عدى :
ثم أضحوا عصف الدهـــر بهم　　وكذاك الدهـــر حالا بعد حال
وأجد أى جدد قال :
أجـد لنا طيب المكان وحسنــه　　منى فتمنينـا فكنت الأمانيـا
(4) المعنى أن الجميل الذى يضحك الحسن فى وجهه لا يحسن التعبيس – ومهما قطب من وجهه فان الحسن ضاحك فيه والأبلج المشرق الوجه . قال :
أبلج بـــين حاجبيـــه نـــوره　　إذا تغـــدى رفعت ستـــوره
(5) تلبث أى أقام .

مناجاة ملاح

يا قرَّة العينين يا سكنى بلِّلْ غليلَ الموجع الضمن (١)
بينى وبينك زاخـــرٌ هزجٌ تمشى به الأجبال فى قرن (٢)
لو شئتَ ادنتنا وإن بعدت طرقُ الفراق طوائرُ السفن
تجوى وقد لزَّت بما ركبت فكأنها رأسٌ على بدن (٣)
لا تخش أشجانى إذا اعتلجت أو لستَ تركب هائل الشجن (٤)
القلب يمٌّ لا قـــرار له جمّ العواصف مزبد القنن (٥)
لكنّ فى أغـــواره درراً ولآلئـــاً أبقى من الزمن (٦)

---

(١) ضمن ضمناً فهو ضمن مثل زمن زمناً فهو زمن وزناً ومعنى .

(٢) الهزج الذى له صوت . قال عنترة :

وخلا الذباب بها فليس ببـــارح هزجاً كفعل الشارب المـــترنم

والمراد هنا أن البحر له صوت من تدافع الأمواج — والأجبال جمع جبل وفى قرن — فالقرن الحبل يجمع بين البعيرين والمراد أن هذه الأمواج تشبه الجبال الماشية لعظمها .

(٣) لزت أى لصقت أى أن السفينة تجرى على الماء وهى لاصقة به فكأنها رأس على بدن .

(٤) اعتلجت التطمت كالأمواج أى لا تخش أشجانى إذا ثارت فانك تركب البحر وهو مخوف الشجن .

(٥) القنة رأس الطود والمعنى أن القلب كالبحر بعيد الغور كثير العواصف مزبد رؤوس الأمواج التى تشبه الأطواد .

(٦) الأغوار جمع غورو هو العمق .

السُّلُوّ

أبليت فيك العمرَ وهو جديدُ — وعرفت فيك الصبر كيف يبيدُ
وغدوتُ أجلك فى الحياة محسداً — تغلى علىّ ضغائنٌ وحقود
وتركتنى مثلاً شروداً فى الهوى — يُومى إلى الأصبعُ الممدود (١)
لى كلّ يوم منك موقفُ ذلة — صعبٌ على الطبع الحمىّ شديدُ (٢)
وأراك تلقـــانى ووجهك عابس — وبناظريك بوارقٌ ورعود
مهلاً حبيبى إنّ فىّ لعزّةً — أبداً علىّ لواؤها معقود
لا يخدعنَّك ما ترى من حبنا — فكأنه مع يومه ملحود (٣)
ان الهوى كالنار يخمد جمره — والحسن ليس له كذاك خلود
ولقد تكون غداً وما فى قربكم — رىّ ولا فى بعدكم تصريد (٤)
ولسوف يطوى اليأس صفحة ذكركم — ويصدّ نثرٌ عنكمُ وقصيد
ما أنت أول من سلوتُ وردّنى — عن حبه شممٌ بنـــا محمود

---

(١) الشرود السائر . قال :

خـــذها شروداً فى البـــلاد مقيمـــة — سمرا لـــذى سمر وزاد رفـــاق

(٢) الحمى الذى يأنف من الذلة .

(٣) أى لا يغرك حبنا فربما ذهب ودفن مع يومه والملحود المقبور .

(٤) روى من الماء رياً بالفتح والاسم الرى بالكسر — وصرد السقى قطعه دون الرى وصردت الشارب عن الماء قطعت عليه شربه . قال النابغة :

وتسقى إذا ما شئت غـــير مصرد — بصهباء فى حافاتها المسك كارع

إنّ الشتاء وإن تطاول عهده　　للأرض بعد ذهابه تجديد [1]
يمضى بأدمعه التى ما إنْ تنى　　تهمى ويحلو بعده التغريد [2]
فابسط غضوناً فى جبينك إننى　　قد ذدت عنك القلب قبل تذود [3]

(١) لأن الربيع يأتى بعد الشتاء فتلبس الرياض أفواف الخضرة بعد أن جففها الشتاء .
(٢) هنى الدمع سال ويحلو بعده التغريد لأن الطيور والبلابل تنقطع عن الغناء فى الشتاء فإذ جاء الربيع انطلقت تغرد .
(٣) الغضون هى الجلد المتقبض فى الجبهة – ذاد الراعى الابل عن الماء منعها .

حالة
ثورة النفس في سكونها

فؤادى من الآمال فى العيش مجدبُ وجوىَ مسودّ الحواشى مقطّب
تمر بىَ الأيام وهى كأنها صحائف بيضٌ للعيون تقلّب
كأن لم يخط الدهرُ فيهنّ أسطرا يبيت لها الانسان يطفو ويرسب[(1)]
شغلت بماضى العيش عن كل حاضرٍ كأنى أدركت الذى كنت أطلب
وما كلت الأيام من فرط عدوها ولا عطّل الافلاك خطبٌ عصبصب[(2)]
وما فتئ المقدار يمضى قضاءه وما أنفكّ صرف الدهر يعطى ويسلب
وما زال ظهرُ الأرض فى جنباته مراحٌ لمن يبغى المراحَ وملعب[(3)]
ولكنّ قلباً خالجته همومه ترى أى ملهى طيب ليس يجنب[(4)]
وكيف يسرى عنه ملهى ومطرب وما يطبيه غير ما بات يندب[(5)]
لقد كان للدنيا بنفسى حلاوةٌ فأضجرنى منها الأذى والتقلب

---

(١) طفا الجسم على الماء يطفو إذا عام على وجهه ورسب إذا انحدر إلى قاعه . قال :
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتطفو فوقه جيفه

(٢) العصبصب الشديد يقال يوم عصيب وعصبصب واعصوصب القوم . قال : « ومبرك الحامل حيث أعصوصبا » .

(٣) المرح الفرح وزناً ومعنى والمراح بفتح الميم المكان تمرح فيه .

(٤) خالجته همومه أى نازعته ويجنب يجتنب – والمعنى انى وإن كانت الأيام فى عينى كالصحائف البيض إلا أن الدهر على ذلك لا يزال يمضى قضاءه ويجرى بالسعد والنحس وما زال فى الأرض ملعب لمن شاء ذلك ولكن قلبى الذى استضافته الهموم لا يلهيه شىء .

(٥) يسرى بتشديد الراء أى يذهب عنه الهم ويطبى بتشديد الطاء أى يستميل أى وكيف يذهب عنه الهم ملهى وليس يستميله ويستولى على هواه إلا ما يندبه من عيشه الماضى .

وقد كان يصبيني النسيمُ إذا هفا ويعجبني سجع الحمام ويطرب[1]
ويفتنني نوم الضيــاء عشيّةً على صفحة الغدران وهي تسبسب[2]
فمالي سقى اللهُ الشبابَ وجهله أراني كأني من دمائي أشرب
ومالي كأني طلّلتني سـحابة لها من مخوفات الأساود هيدب[3]
وليل كأن الريح فيه نوائحٌ على أنجم قد غالها منه غيهب[4]
تجاوبها من جانب اليمّ لجةٌ تزآءر فيهـا موجها المتوثّب
كأنّ شياطين الدجى في اهابه تغنّ على رمز الرياح وتغرب
لقيتُ به ذا جنةٍ وتدلّهٍ له مقلةٌ عبرى وقلب معذب[5]
فقلت له ويلي عليك ولهفتي ترى أين يرميك السرى والتغرّب[6]
ركبتَ الدجى والليل أخشن مركبٍ فهل لك عند الليل ويبك مطلب[7]
فقال وفي عينيــه لمعٌ مروع وفي شفتيه رجفة وتذبذب[8]
ليهنَ تراب ضم حسنك أنه سيرويه منه عارض متصبب[9]
سقاها وروّاني من المزن سمحة فإني في ملحودها سأغيّب[10]

---

(١) هفت الريح تحركت .

(٢) إذا زحف الليل وطلع القمر وأشرق ضياؤه على مترقرق الغدران رأيت ضياءه كأنه نائم على مائها وتسبسب الماء جرى وترقرق .

(٣) الأساود الحيات وهيدب السحاب ما تراه كأنه خيوط عند انصباب ودقه . قال :
دان مسف فويق الأرض هيـــدبه يكاد يدفعـــه مـــن قام بالراح

(٤) الغيهب الظلمة الشديدة ومن قولهم أحسن من بياض الكوكب في سواد الغيهب .

(٥) الجنة الجنون ودلهه العشق حيره وذهب بفؤاده والعبرى الكثيرة الدموع .

(٦) السرى سير الليل .

(٧) ويبك أي ويلك .

(٨) التذبذب الاختلاج والحيرة وعدم الثبات .

(٩) المتصبب الممطر .

(١٠) المزن جمع مزنة بضم الميم فيهما السحب والسمحة الكثيرة الماء . قال أبو تمام :
ديمـــة سمحة القيـــاد سكوب مستغيث بهـــا الثرى المكروب
والملحود القبر وقد مر .

كفانى إذا ماضم صدرىَ صدرها تحيةُ سحب قلبها يتلهب(١)
أأنت معينى إن قضيتُ بدمعة تحدّرها عطف علينا ويسكب(٢)
فقلت له مالى لدى الخطب عبرة تراق ولا قلب يرقّ ويحدب(٣)
سكنت فما أدرى الفتى كيف يغتدى تجد به الأشجان طوراً وتلعب
ولكننى إن لم تعنك مدامعى سأستهول الموت الذى بت تخطب(٤)
سأصرخ أمَّا هاجت الريح صرخةً تقول لها الموتى ألا أين نهرب

---

(١) يتلهب لأن البرق يضىء فيها .
(٢) قضيت أى مت — العطف الرحمة .
(٣) يحدب أى يرق ويرحم .
(٤) استهول الأمر أى رأى فيه ما يهوله ويفزعه .

ليلة

أشيع أني غرقت فجاءني صديق قديم يبكي ويستفسر عن صحة الخبر .
زارنا واصلا على غير وعد وانثنى هاجراً على غير ذنب

*

من عذيرى من الذى يبكينى قبل يوم الردى بدمع هتون
لعب ما أرقتَ من ذلك الدمع ودلّ أم أنت جدّ حزين
كم بكينا كما بكيت فلم تر ث ولم تكترث لدمعى السخين
لم تكن عبرتى أفيكة أفّا كِ ولا وجه حبنا بظنين(١)
يا أخا الحسن والملاحة بالله ترفّق بجفنك المحزون
أزجر العينَ عن بكاها ففيما ا نهلّ منها وفاءُ دين العيون
حسنت ليلةُ الخميس وطابت فهى حسبى من الزمان الضنين
صرّحت رغوة البعاد عن القر ب وباحت بودك المكنون
فوجدنا بك السرورَ كما يفر ح بالزاد ناظرُ المسكين
كم معزّ عنى ولو كان يدرى ما أفاد النعاةُ هنّى لحينى(٢)
عاد نعيُ النعاة بالفرح الشا مل والوصل من خليل أمين
أتراك الغداةَ ترجع للصد وتغضى عن لوعتى وحنينى

---

(١) أفيكة أفاك أى كذب كاذب والظنين المتهم .

(٢) هنى أى هنأ – والحين الموت – أى لو كان يدرى الذين يعزون عنى ما استفدت من نعيهم إياى لهنأوا بدل التعزية .

ابقَ أنسى فليس يحلو لى العيش إذا لم تكن علیـــه قرينى

دع مؤاخاةَ معشرٍ وسعوا حسـ ـنك جهلاً وعدْ هذا الفطين

إننى عائذٌ بعطفك فاخفض لى جناحاً من رحمةٍ يُؤويني

عم مساءً ؟ لا بل تمهل قليلاً تعست ســاعةُ الفراق الطحون

لشجينــا بمــن يحيي ويمضى فارغ القلب لا يحس شجونى

زدتنى فتنةً وليس جميلاً منك هجــرانُ والهٍ مفتونِ

حاجةُ النفس كلها ومنى النفس جميعاً فى سحر هــذى الجفون

أتــرانى ألذُّ شيئــاً إذا ما غبتَ عن ناظرى وقلبى الحزين

إنما يحسن المساءُ ويحــــلو بك فاقعد — أولا وهذى يمينى !

قد ظفرنا من اللقاء بحــظٍّ فاقض حظى من الفراق الشطون

حسبى الله فى كفاية ما يعــ تادنى منك وهو خــير معين

هيهات بابل من نجد

هل من معين على نجوى ووسواس — أو من سبيلٍ إلى تبريد أنفاسي
أكرّ طرفىَ فى الماضى فيبسم لى — وأنثنى وأمامى جدّ عباس
ليس الذى فات أياماً أعددها — لكنه العمرُ والهفى ويا ياسى
والدهر لا فلتاتُ السعد يرجعها — ولا يجدّد ما يبلى من الناس
لو كان فى مقبلٍ من مدبرٍ عوضٌ — لم أودع الذمّ للأيام أطراسى (١)
قضى لىَ الدهر بلوى فى تصرّفه — لأبرءَ منها وعاف غير ذى باس
قد كنت أمرح فى روضٍ مطارفه — مطرزٌ طرفها بالورد والآس
أرضى مفضّضة ربّا مذهبةٌ — وفى سمائى نجومٌ هنَّ إيناسى
إن شئت غنّتنىَ الأطيار ساجعةً — أو شئت كانت ثغور الورد أكواس
أو شئت فى ظل أغصان مهدّلة — تحنو علىّ بألوانٍ وأجناس
ملأت عينىَ حسناً لا مخالسةً — لكنْ مرامقة ملآى باحساسى
فالآن قد ذهب العيش الرقيق وما — بُدّلت منه سوى جدب وإيباس
وأصبح الوردُ يخفى حر وجنته — عن العيون ويبدى شوكه القاسى
عهدٌ تصرّم لم أظفر بمأربتى — منه ولا أورقت أعوادُ أغراسى
ما للحمام يغنّينى على فننٍ — غض التثنى منير النور ميّاس
والروض كيف اكتسى بالوشى محتفلا — وراح فيه وقلبى واجدٌ آس

---

(١) أطراس جمع طرس — الورقة التى يكتب عليها — والمقبل الآتى والمدبر الذاهب .

دنيا تغيّض من بشرى وتبسم لى	كالعضب موتلقاً يهوى إلى الراس[1]
هيهاتَ ما تحفل الدنيا بملتهفٍ	ولا تبالى بأسعادٍ وإنحاس
لن يخلع الروض أبرادَ الحيا جزعاً	ويكتسى دارسَ الأفواف للناس
أو يعبس النوْر من شجوٍ يهضمنى	أو يخرس الطيرَ بلبالى ووسواسى
إن يسلب الدهرُ ما أولاه من هبة	فشيمة الدهر أعراء الفتى الكاسى
أو يشعب الصبرُ أكباداً فيذهلها	عن ذكرنا ففؤادى ليس بالناسى
وكيف أنساهمُ والقلب يتبعهم	على جديد لبانات وأدراس



(١) غاض الماء ذهب فى الأرض والعضب السيف والمؤتلق المشرق .

استقبال صديق

كيف به والجفاءُ يبعد به ... وفرقةُ الصب منتهى أربه
تالله ما أن يني يباعدنا ... بالغدر فى جده وفى لعبه
أن يصغ للشوق بعد ذاك فقد ... أسرف فى كبره وفى غضبه
وكيف يرجو البقاء من رجلٍ ... لم يبق من وصلةٍ إلى سببه
إن مرّ لم يكترث لخطرته ... أو قال لم يلتفت إلى خطبه
قد قلَّ من يصدق الودادَ فما ... أحسّ من ودهم سوى كذبه
أعطشنى الناسُ بعد أن (رويوا) ... من مستّهلّ الوفاء منسكبه (١)
جفّوا كما جفّت الحياةُ فما ... أعرف من عودهم سوى حطبه
مالى وما للزمان واعجبى ... وأعجب أن يكفَّ عن عجبه
غاض غديرُ الوفاء فى زمنٍ ... فاض بما لا يجفُّ من نوبه
ما جوُّ هذا الزمان من أربى ... رجالُ هذا الزمان أخلق به
أصحب من لا أودّ صحبته ... ومن أذوق البعادَ فى قربه
لم يبق عندى من الرجاء سوى الـ ... قنوط من برقه ومن صببه
وزفرةٍ تحطم الضلوعُ لها ... على زمان عريت من قشبه (٢)
وحسرةٍ أثرَ غلمةٍ ذهبوا ... عنّى فلجّ الزمانُ فى حربه (٣)

---

(١) استهلت السماء بالمطر أى أمطرت ولها صوت .
(٢) تحطم أى تكسر والقشب الجديد الزاهى .
(٣) لج أى تمادى .

يسرع دمعي إذا ذكرتهمُ أسراعَ فيض الغمام في صببه

أما فتىً صادق الهوى كأخي (شكرى) يردّ الزمان عن نوبه[1]

أوثقُ من تصطفي وأكرم من تأخـذ من عقله ومن أدبه

خـلائقٌ سهـلةٌ موطّأة كالبارد العذب غب منسكبه

كم مجلسٍ والودادُ ثالثنـا والراحُ تجلى كالحقّ من حجبه[2]

ذاك قريبي وليس من رحمي وهو نسيبي ولستُ من نسبـه

أن ضرب الدهر بيننا فلقـد لُفّ كما كان قبل شمليَ به



(١) شكرى هو صديقنا الشاعر الجليل عبد الرحمن أفندى شكرى وهو الذى كتبنا هذه القصيدة نستقبله بها عند عودته من سفر طال عمره .

(٢) أى كم مجلس لنا لم يكن لنا ثالث فيه غير الوداد – والراح الخمر تجلى لنا كما يجلى الحق من حجبه المسدلة عليه .

حلم اليقظة
الحياة حلم

وسم الربيعُ الأرض فهى كأختها قبل العيون وأختها كالتوأم (١)
بأبى جلالٌ راعنى فنشدته وأصبت معنًى فيه يخطئه العمى
فطفقت أرمق وردةً فتانةً ضحك الندى فى ثغرها المتكمم
فرأيت أنى ناظرٌ حسانة يقظى اللحاظ جليلة المتوسم
رفعت يداً فاذا الغصون كواعبٌ يرشقننى بنواظر المتهكم(١)
وإذا بساط الروض لجٌّ زاخر لله روعة موجه المتحطم
وكأنما الورق النضير حمائم كخواطر طافت برأس مهوّم
ووجدت صوتاً مثل أنفاس الصبا عذب الورود كأنه من مغرم
صوت من البحر العميق كأنه همس النسيم أو الحيا المترنم
عجبا لمعنى فى مطاوى لفظه يذر الخلىَّ رهين شجو مضرم
« يا من تأوبه الهموم حياته والهول يغشى كلَّ كهف مظلم
قد طال ماقطَّبت وجهك للدّنا حتى نسيت بشاشة المتبسم
لاتحسب الزمن النضير براجع إن السعادة فذّةٌ لم تتئم(٣)
هل كنت دهرك غير طيف حائر أوكان عيشك غير حلم مبهم

---

(١) أى كأن الأرض من حسنها أخت السماء والتوأمان الأخوان يولدان معاً .
(٢) الكواعب جمع كاعب وهى المرأة البارزة الثديين .
(٣) الفذ الواحد ولم تتئم أى ليس لها ثان كالتوأم .

ولهذه الآن التى تزهى بها   من طيبها حلمٌ بحـــلم أدوم

*

ولّى الظلام وأجفلت أحلامه   فرجعت أرمق غضة المتنسم[1]

فاذا مكان الطل دودٌ فاتك   يا للحيـــاة من الأذى المتحكم



(٢) أى رجعت أرمق الوردة التى كنت أنظر إليها قبل أن أرى هذا الحلم .

الكتمان

يا وردة عرفها جزيلُ — وبثُّ عشاقها طويل
يستوقد الصدرَ مجتلاها — والنفس يهتاجها الجميل
آهِ على حسنها وآه — لو ينفع الواجدَ الغليل
وكيف يجدى الاعجابُ صبًّا — واليأس فى قلبه دخيل
لكنْ حرام على عيون — تشهد حسناً ولا تميل
ألم يخبّرك ياحبيبى — تهضّم الوجه والنحول
بأننى عاشقٌ كتوم — يبطن غير الذى يقول
أم تبتغى أن يضيق ذرعى — فيشتكى قلبىَ الحمول
وليس بدعا إن استجار الـ — طعين واستوصف العليل
لكنّ فى مقولى إباءً — والناس أخلاقهم شكول(١)
لم يخلق الله (فى) لغير الز — فير فليفرح العذول.(٢)

---

(١) المقول هو اللسان .

(٢) الفو هو الفم .

النظر

غضّ عنى بالله طرفك أنى ليس لى طاقة بسحر فتوره
كيف لى أن أقص أمرى إذا أنـ ـت عقلت اللسان عن تحريره
والقوافى إلى الشرود سريعا تٌ وللنظم ناثرٌ من مثيره
وقليلٌ أن أكبرتك القوافى يا جميلا بحورها من مطيره
أنَّ للبدر دولةً يخضع البحر ويعنو لحكمها فى أموره
ما عسى طاقة الجليد على الشمـ ـس إذا مسه اللظى بسعيره



إلى صَديق

(وهي أبيات قافيتها غريبه)

لاتزر إن قضيتُ قبرى ولاتبك　　عليـه كسـائر الأصحـاب
خلّ عنك الوفاءَ واسمع لداعى الـ　　غدر فينا فلات حيـن وفاء
وقبيحٌ أن تسحب الذيل مختا　　لاً وتمشى على رقاب الصحاب
مزعجـا بالسلام روحَ كريم　　أنت غيبته بجوف العـراء
قد قضت منكم الليالى هوانا　　ونفضنا أكفنا من غرامك
فدع السحب تسحب الذيلَ فينا　　وتروّى ثراىَ وامض لشـانك



الخمر والحب

لا تذرها فانى غير صاح   رب راح شربت من غير راحِ
كم صَريعٍ لم يرشف الكأس يوما   صرعته كأس الهوى السفاح
فأجزها عن مغرم مستهام   تبلت قلبه عيونُ الملاح
ما صدفنا عن ودها علم الله   ولسنا لهجرها فى ارتياح
غير أنى لثمت ثغرَ مليح   أين منه مراشفُ الأقداح
ذا كذوب النضار والتبر لكن   ذاك أروى لغلة الملتاح



وصيّة

كفّنونى إن متُ فى ورق الزهر   ورشـــوا ثراىَ بالصهبـــاء
واذكرونى والوجه منطلق البشر   كأنى ما زلت فى الأحيـــاء
وإذا ما أديرت الكأس يوماً   فأشربوا لى من صرف مافى الأناء
إنما يهرب الرجال من الذكر   لمـــا قد يثير فى الأحشـــاء

الخمر والحبّ

طاف بالراح علينا   واضحٌ سبط القوام
فسقانا من سلاف   وسقانا من غـــرام
وتمشّى الحب قبل الـْ   خمر مشياً فى العظام
فشفى منـــا سَقاما   ورمانا بسقـــــام

إلى عاتب

ما أضعت الهوى ولا خنتك الغيبَ	وحاشا لمثلنا أنْ يخونا
حاربتني الأقدار فاعتب عليها	ودهتني وما وجدت معينا
ما حمدنا ما كان قبل ذميما	أو رضينا ما كانَ لا يرضينا
ليس برحُ الهموم ما رحت تبديه	ولكن ما بات فيك دفينا

الإسكندرية

لى نفس موصولة بك ما عشتُ	وكالنجم أنت منّيَ بعدا
هل تعيد الأيام فيك ليالىّ	وعيشاً قضيته كان رغداً
بين نور الربيع والنرجس الغضّ	وبحرٍ يروع جزراً ومدّا
ومدامٍ لم نقذها بمزاج	ونديم يسبيك لعباً وجدّاً
ما حننّا إلاّ إليها ولا ها	ج سواها لنا ادّكاراً ووجداً
أن تعد أغتفر لدهرىَ ما فا	ت وإلا فقد ترى الحرّ جلداً

حلم اليقظة

الحروب

سيل همومى قد طغى عبابا
وجُنّ حتى ملأ الشعابا
ياليتنى لو تدفع المصابا
ليت وتحلى الصبرَ المذابا
أدرى لداء منهكى طبابا
يبلّد الإحســاس والألبابا
يفلّ حدّ الخطب إن أصابا
ويذهب الأشجان والأوصابا

* * *

إنى سمعت فى الدجى اصطخابا
كأن فى إهابه ذئابــا
سيمتْ أذى فطلبت وثابا
مستهولا ينتزع الصــوابــا
يهتك من فــؤادك الحجابا
مثل الصدى قد عمر الخرابا
كان حولى رمما أســلابا
تفصل فى مســامعى خطابــا

وخلت انى ناظرٌ شبـــابا
تخالهم على الثرى ثيـــابا
بيضاً وطوراً تجتلى ضبـــابا
منهم يغطّى الأفق والرحابا
ويحجب الأطواد والسحابا
تنكره إذا بدا أو غابـــا
فقمت أسعى نحوهم مرتابا
منجفـــلا ومرة وثّابـــا
يا ليتنى لم أبتـــغ اقـــترابا
وليتنى جانبتهم جنـــــابا
أى قضاء قد مضى غلاّبا
وأى خطب قد رمى فصـــابا
وبزّ هذى الأنفس الصعابا
أرواحهـــــا وأولغ الذئابا
فى دمعها ووسّد الترابا
خـــدودها النواضرَ الرّطابا
وبذر الرؤوس والرقابا
ونثل الكبود والعيـــابا[1]
وفرّق الخلاّن والأحبـــابا
وجمع الوحوش والعقابا
يا ويحَ أيدٍ جنت المصابا

(١) العرب تكنى عن الصدور والقلوب بالعياب .

وهاجت السيوف والحرابا
وتخذت من الردى أسبابا
يا ممطراً على الورى عذابا
وراعيا جاجماً صـــلابا
ومجريا دماءَها عبـــابا
وظالمـــا لا يتّقي حسابا
أجلك يبكي الحضّرُ الغيابا
وتألف الوجوه الاكتئابا
وتركب الأراملُ الصعابا
وتحمل الكواهلُ الهضابا
ليتَ الذي سنّ لنا القرضابا
يسمع لو يستطيع ذا الخطابا
من ذاهبٍ لا يرتجي ايابا
وسائل لا يحفل الجوابا
يلبس من دمائه جلبابا
متخذا جراحـــه أكوابا
بكرهـــه ودمَه شرابـــا
« يا ملكا أجبتُ إذ أهابا
خال الدّماء ذهباً مذابـــا
فساقنا إلى الردى أغصابـــا
أجرْ وليدي واحتقب ثوابا
وكن معيناً لأب قد شابـــا

يبكي ويستبكي لىَ السحابـا
وزوجةٍ ألبستَها المِصابـا
تسفي على واضحها الترابـا
لا تجلعنْ ظلم العبـاد دابـا
بل أنت لا تسمع لى خطابـا
هل يرحم الضعيف والمصابـا
ملك يرى الرحمة فيه عابـا
أدعو الذى إن أدعه أجابا »
ثم ارتمى وافترش الصحابـا



مناجاة الهاجر

غذائىَ الحبُّ يا من فيه حرمانُ ... منّى له ابدا ما عشتُ نشدان (١)
وهل غذائىَ إلا أن أراك وأن ... يمر بالسمع لفظٌ منك فتان
وما أقلَّ الذى أبغى وأيسره ... لو كنتَ تنصف إن الحق عُريان
ذنبى إليك هوى ينفك يعلنه ... شعرى وإحسانكم صدٌّ وحرمان
يا ليت أن ذنوبَ الناس قاطبةً ... شعرٌ عفيف وأشواق وتحنـــان
عجبت ممن براه الحب كيف غدا ... يقلى الهوى والهوى والحسن أخدان (٢)
لأى أمرٍ طويتَ الكشح عن رجل ... عفَّ الأديم لفضل فيه برهان (٣)
أخفتَ أن تأخذ العينان منقصةً ... فى حسنك الغض والأنسان إنسان
فقلتَ أعشى مآقيه بأدمعها ... حتى أبيت وكل النقص رجحان
كذلك الشمسُ يعشى طرفها أبداً ... والكون جهمٌ ووجه الجو غيمان (٤)
كلا لعمرى لقد جلّت محاسنه ... عن أن يكون بها عيبٌ ونقصان
أرقَّ من دمعة التوديع طلعته ... وقد تحمّل للتوديع خلصان (٥)
وما ابتســـامة ولهانين لفّهما ... بعد النوى وانصداع الشمل لقيان (٦)

---

(١) نشدان من نشد الشىء إذا طلبه .
(٢) براه أى برأه أى خلقه أى كيف يكره الحب والحب هو خالق حسنه يشير إلى الخرافات القديمة .
(٣) طوى الكشح أى أعرض وصد وعف الأديم أى عفيف .
(٤) غيمان أى متلبد بالغيوم وهى السحب .
(٥) الخلصان الأحباب والخلان .
(٦) لقيان أى لقاء وانصداع الشمل أى الفراق .

يوماً بأعذبَ من حسن تسربله ... عليه منه على الأيام ريعان[1]
عبدتُ فيه آلها كنتُ أكفره ... دهراً فأعقب نكرانيه عرفان[2]
هذا نبيٌّ ولم يُبعث وليس له ... إلا الجمالَ وآىَ الحسن قرآن
آمنت بالعين عن طوعٍ وفى سعة ... وآمنت من نفوس الناس آذان
لو أنه كان فى وسعى ومقدرتى ... أن ترسم اللحظَ ألفاظٌ لها شان
وأن أصوّر فى القرطاسِ فتنته ... لقالت الناسُ هذا منك بهتان
سحرٌ لعمرك لم يمنحه من أحدٍ ... إلا الملائكُ لا أنسٌ ولا جان
وشاعرٌ لبقٌ التّصوير يحكمه ... أحكامه وخيالُ الفحل معوان
يكسوه من شعره ثوباً يخلده ... وليس يبلى جديدَ الشعر أزمان
فما يعطل شيءٌ من محاسنه ... الاّ غدا وهو بالأشعار حليان[3]
وربّ مسودِّ سطرٍ أنت تحقره ... تألّق الحسنُ فيه فهو ضحيان[4]
وعاش فيه جمالٌ طاح لابسه ... وماس فيه وربُّ الحسن ذبلان
والشعر حصنٌ عزيز ليس تقهره ... هذى الليالى وغيرُ الشعر وهنان[5]
كم قلت لمّا رأيت الدهر أيديَه ... مطاعناتٍ وللأيام تطعان
مقوّضاتٍ حصوناً وهى من ضرعٍ ... لها على ذلة التقويض إذعان
يذوى تعاقبها الغصنَ الرطيب ولا ... يبقى على الغصن أنّ الغصن فينان
وجائعَ اليمّ لا ينفكّ من سغبٍ ... له على الأرض عدوان وطغيان[6]
كلاهما أبداً ربحٌ لصاحبه ... لا غنمَ فيه وبعضُ الربح خسران

---

(١) تسربله أى لبسه .
(٢) المقصود هنا آله الحب .
(٣) حليان أى حال متزين .
(٤) ضحيان أى منير مشرق .
(٥) الوهنان الضعيف .
(٦) اليم البحر والسغب الجوع .

يا ليت شعرى ألا شىءٌ نصون به هذا الجمالَ فلايعروه نقصان
أما يثقّل هذا الدهرُ أرجله أليس فى الدهر إروادٌ وإمعان
وكيف نصرف عنه لحظَ طالبه أنّى – ونائمُ هذا الدهر يقظان
وهل تغالب هوج الريح نرجسةٌ ما إنْ لها غيرَ فرط الحسن إمكان
إلاّ تكن هذه الأشعار خالدةً فلن يدومَ لهذا الحسن ريعان
يبلى مع الحسن عشقُ العاشقيه ولا يبلى جمالُ فتًى بالشعر يزدان
لا بدّ من هرمٍ للمرء غير فتى يصونه الشعرُ إن الشعر صوّان
وإنما الناس كالأمواج بعضهمُ فى بعضهم غائبٌ والعيش ميدان
إذا الفتى ائتلفت ألوانُ رونقه وراح وهْو بماء الحسن ريّان
عدتْ على حسنه الأيام فاختلفت بعد التناسب أصباغٌ وألوان
ما يسمن الدهرُ إنساناً ليشبعه لكنْ ليعجفه والدهرُ سغبان
وكلّ ما يزرع الأيامُ تحصده وللجمال كما للزّرع إبّـــان
أظافرَ الذئب أحرى أن يقلّمها لو كان فى الدهر إنصافٌ وعرفان
لكنّ شعرى برغم الدهر يكلؤهُ وهل لذى الحسن غير الشعر أكنان
ما ضرّ ذا الحسن أنّ الحسن عاريةٌ تبقى له الرّوحُ إمّا رثّ جثمان
كالورد إمّا ذوت يوماً غلائله ذكى فصار به عنهنّ غُنيان

* * *

أراه فى الزّهر مخضلاً وأسمعه فى هادل الطير هاجتهنّ أشجان
واجتلى نفسه فى الماء حفّ به على الجوانب ريحانٌ وحوذان
لكنّنى كسجينٍ مرهقٍ تعبٍ تسكّ مسمَعه فى السجن ألحان
تضيئه الشمسُ من قضبانِ محبسه ودونَ أن يجتليها الدهرَ قضبان
يا ليت شعرى وهل فى ليت من فرجٍ من أزمٍ ما أنا عانٍ منه أسوان

ماذا أراد بنا حتّى نأى ودنى ... طيفٌ يخادع طرفى وهو وسنان
إخال أنّى إذا استوحشت آنسنى ... على النوى منه أشباهٌ وأقران
يبدى ودادى ويحمى العينَ رؤيته ... لو كان ينصف ساوى ذاك ميزان
عجبتُ من مائل عنّا وإنّ لنا ... شعراً كما سجعت فى الروض مرنان
لكلّ روضٍ نضيرٍ طائرٌ غرد ... كذاك نحن حماماتٌ وبستان
أما يرى غايتى فى الشعر واحدةً ... وإن تباين أوزانٌ وأوزان
فما أحوك على الأيام قافيةً ... إلاّ وفيها على حبّيه عنوان
أكسو قديمىَ أفوافاً تجدده ... وبعضُ ما تكتسى الأشعارُ أكفان
كالشمس غاربةً طوراً وطالعة ... عوداً لبدء وما للشمس إيهان
مسبّحاً باسمه فى كل آونة ... كما يسبح باسم الله رهبان
كأنّ ذكريه آياتٌ أرتلها ... كما يُرتل إنجيلٌ وفرقان
لى من ملاحته وحىٌ يساعفنى ... إذا أعان على الأشعار شيطان
قليل ذكريه فى شعرى يزينّه ... كأنمـا ذكره درّ ومرجان
أراك تجرحنى باللفظ تبعثـه ... يا ليتنى جرحتنى منك أجفـان
قتلتَ بعضى فأتمم ما بدأت به ... فالقتل إمّا استحال البرءُ إحسان
وكن كما أنت قاسٍ كيّساً فطناً ... فللجفاء كما للرفق أحيـان
أذقتنى النارَ فى الدنيا فأحرِ بأن ... يذيقنى منك طعمَ الخلد رضوان (١)
آمنتُ بالحب فاجزِ المؤمنين كما ... يجزى على طاعة المخلوق ديّان
ضننتُ باسمك حتّى لا تدنسه ... أفواهُ ذى الناس إن الناس ديدان
من ذا كرهتَ فلم أنبذ مودته ... حتّى كأن لم يكن ودّ وتحنان

---

(١) الخلد الجنة . قال :
ولو أنى حبيت الخـلد فـردا ... لما أحببت بالخـلد انفـرادا

أما تراني إذا هاجرتَ من غضب ... يقتصّ مني لكم وجدٌ وأشجان
إني أعيذك من ظلمي وأنت فتى ... يحميه أن يفعل الأسواءَ وجدان
لا تحسب البعد يسيلني فتهجرني ... فليس في البعد للمشغوف سلوان
هل ينفع الصبرُ ملتاحاً تدافعه ... عن الورود فيروى وهو غلاّن(١)
ما لذة القلب خلواً من دخيل هوًى ... ما الليل إن لم يكن بالصبح إيقان
هل تمرع الأرض لم تنسج مناسجَها ... فيها سوارٍ لها سحّ وتهتان
مالي بغير الهوى في العيش من أرب ... ولا بقلبيَ أحقاد وأضغان
محا الهوى من فؤادي كلّ مقلية ... فاعجب لقلبٍ خليّ وهو ملآن
كأنما ليس في الدنيا سواه فتى ... أحبهُ وكأن الناس ما كانوا
أنسانيَ الحب ما قد كنت أحمله ... على الليالي فلي بالذكر نسيان
فعدت أطلب أن أحيا له أبدا ... وكان للموت مني الدهرَ نشدان
أحيا وأزهق آمالاً شقيتُ بها ... فالحال واحدةٌ والطعم ألوان

* * *

يا ليت لي والأماني ان تكن خدعا ... لكنهن على الأشجان أعوان
غاراً على جبلٍ تجري الرياحُ به ... حيرى يزافرها حيرانُ لهفان
والبحرُ مصطفق الأمواج تحسبه ... يهيجه طربٌ مثلي وأشجان
إذا تلفتّ في خضرائه اعتلجت ... آذيُّه فلسرّي منه إعلان
خلّ القصور لخالي الذرع يسكنها ... وخير ماسكن المعمودُ غيران
حسبي إذا استوحشت نفسي لبعدكُم ... بالبحر أنسٌ وبالأرواح جيران
لا كالرياح سميرٌ حين ثورتها ... إذ ما لأسرارها في الصدر إجنان(٢)

(١) الملتاح الظامىء والغلان العطش كذلك .
(٢) أجن الشيء أخفاه والأجنان الكتمان .

تفضى إليك بنجواها زمازمها … نمٌّ الصبــاح بما يطويه أدجان
إذا الفتى كان ذا شجوٍ يميد به … معذَّباً بالمنى من معشر خانوا
فنعم مسكنه غارٌ له أبداً … من السحاب قلاداتٌ وتيجان
ونعم أقرانه بحرٌ له زجلٌ … وساقياتٌ لها سجعٌ وإرنان
وما أبالى وقد أصبحتُ مطَّرحاً … إذا خلت لى من الإنسان أوطان
ما بى إلى الناس أطرابٌ فأفقدهم … إذا اعتزلت وهل للدّاء فقدان
بينى وبين الورى بونٌ فأحجِ بأن … يكون بينى وبين الناس وديان
إنّى شغلتُ بمعراضٍ أخى مللٍ … فلست أدرى أفوقَ الأرض سكان
سيّان عندى إذا ما ازوَرَّ عن نظرى … وأظلم الجوُّ — إنسانٌ وعيران
وما علىّ وليس الناسُ من أربى … إن قطّعت بيننا بيدٌ وغدران
هيهات آنسُ بالإنسان ثانيةً … من يألفِ الكأس يألمْ وهو صديان
خلِّ الرياحَ تناجينى وتعزف لى … فلرِّياح كما للناس ألحــان
إنْ يستخفَّ بما ألقى أخو عُنفٍ … لا رفق فيه فان البحر حنَّان
تسليك منه وإن أشجتك روعته … وقد تسرّى من الأشجان أشجان
والبحر للنفس مرآةٌ ترى صوراً … منها بها ولعجم الموج تبيان
يا حبذا الغارُ والأرواحُ نائحةٌ … والبحر مصطخب والليل طخيان
ومرحباً بهمومٍ لا ارتحالَ لها … وجون ليلٍ له كالهم إيطان
وأنت بين أبابيلٍ مغــردة … كأنهن على الأغصان قنوان[1]
حمائم فى نواحى الروض هادلة … وأقحوانٌ على الحافات نعسان
ونرجس كاسف والعين ضاحكة … يا حبذا نرجس لهفانُ جذلان
والماءُ كالفضة البيضاء سائلةً … طوراً وطوراً تراه وهو عقيان

(١) أى كأنهن أى الطيور على الأغصان أثمار

بمعزل عن هموم أنت موقدها ... أرعى وأنت على الأيام غفلان
لك الرياض عليها الدهرَ أوشيةٌ ... خضر يضاحك فيها الوردَ ريحان
إن شئتَ حياك فيها النورُ مبتسما ... أو شئت ألهاك مسجاع ومرنان
أو شئتَ فى ظل أغصان موسوسة ... تنأى وتدنو كما يختال نشوان
جريت فى حلْبة السرّاء منتصفاً ... من الزمان كمن ضرّته أزمان[1]
ولى الجبال عرايا غير كاسية ... والبحر والريح سمّار وندمان
إن فاتنى من ذكىّ الورد نفحته ... فلى بذكرك ريحان وسوسان
وإنمــا حبب الأجبال أنكمْ ... كنتم تحبونها والوصل فينان
هل أنس ليلتنا والغيث منسكبٌ ... وللبروق بقلب السحب أثخان
وقوله لىَ من لى أن تظللنى ... من السحاب على الأطواد غيران[2]
ريح تهب لنا من كل ناحية ... ودمة كحلها نور ونيران
يلفنا الليلُ فى طيات حندسه ... كما يغيب سرٌّ المرء كتمان[3]
نكاد نلمس بالأيدى السماء ونجـ ... تلى بها الرعد يطغى وهو غضبان
وللصّدى حولنا حال مروّعة ... كأنما تسكن الغيران جنّان[4]
لكل صوت صدى من كل منعطف ... كما تجاوب عسّاسٌ وأعيان[5]
يطير كل صدى عن كل شاهقة ... كما تطير عن العقبان عقبان[6]

(١) أى منتقما من الزمان كأن الزمان أذاك .
(٢) الغيران الكهوف .
(٣) الحندس الظلمة .
(٤) الجنان الجن والشياطين .
(٥) العساس حراس الليل والأعيان جمع عين وهو الجاسوس والحارس .
(٦) العقبان الأولى الأماكن المرتفعة والثانية جمع عقاب وهو طير كاسر معروف .

تبدو لأعيننا البلدان كالحةً ... كالوجه غضّنه سنٌّ وحدثان

* * *

حاشا لمثلىَ أن ينسى وإن بعدت ... مسافة الذكر إن الذكر ديدان

هيهات ما تطفئُ الأيام حرَّ جوى ... وقد يسعّر نارَ الذكر هجران

كالنهر عمّق مجراه تحدّره ... والنار ألعجها ريح وعيدان

لنا بما قد مضى عن غيره شغلٌ ... كأنما عطّل الأفلاكَ خطبان

وصرتُ لا أنا من ضرّاءَ مبتئسٌ ... يوماً ولا أنا بالسرّاء فرحان

أعطيتك العهدَ أن أحيا لكم أبدا ... فهل ترى أننى للعهد خوّان

مالى سوى طيفِ أيامى التى غبرت ... خِدنٌ إذا شئتُ وافى وهو مِذعان

كأننى حين أدعوه وأنشره ... عيسى بن مريمَ يحيي معشراً حانوا (١)

هــذا نديمى أناجيه ويترع لى ... كؤوس ذكرٍ لمن لى منه نسيان

كم ليلةٍ بات يحييها معى سهراً ... يا حبذا هو سمّيرٌ ومِلسان

يطوف بى بين أطلالى ويطرفنى ... فيها بأيامنا والعيشُ زهــــران

* * *

عاد الربيعُ فهل فى ظل بردته ... ألفى مَقيلا لقلبى وهو حرّان

واخضرت الأرض واستحيا الموات فهل ... يخضرّ لى بربيع الوصل موتان

حتى الطيور لَضمّ الله ألفتهـــا ... فهل لنا بعد طول النأى لُقيان (٢)

وهل أقول له والسنُّ ضاحكةٌ ... والعين باكيةٌ والقلب هيمان

يا مرحباً بربيعىْ جنّةٍ وهوى ... وحبذا من شهور الحول نيسان

قد كانت السحب تبكى عند فرقتنا ... فالآن تبسم للقيـــان قيعــان

---

(١) حانوا أى ماتوا والنشر البعث .

(٢) اللقيان هو اللقاء .

وكان يؤنسني ريحٌ مزّفزفةٌ فالآن لى بالنسيم الغضّ قنعان[1]
أرمى بظنى وأخلق أن يطيش وفى عينى ضبابٌ وفى الآفاق إدجان
طامنْ رجاءَك لا الآمال نافعة يوماً ولا لربيع الحب غشيان
وقل لمسودّ يأسٍ كنت تألفه عمرَ الزمان لنحن العمرَ إخوان
إنّا عشيرا مصـافاةٍ مصفّقة قد وشّجتْ بيننا قربى وألبـان
لو أنّ ما بيننا رثّت مرائره لكان خيرا وبعضُ الغوث خذلان
لكننى سأردّ النفسَ مكرهةً على الذى تتّقى والله معوان
يا يأس فاجعل بساط الروض مرقدنا والسروَ كلّتنا فالسروُ محزان[2]
واجعل ذراعىّ إمّا نمتَ أوسدة واعذرْ إذا لام فقرَ الحرِّ ضيفان
(إلاّ يكن وجدُ حرٍّ ملءَ همته فقد يمد وعاءٌ وهو نصفان)[3]
يا من به اصفرّ لون العيش وانفصمت عرى الرجاء ودكت منه أحصان
ومن توسط مجلى الأفق فاحتجبت به البدور وضلت ثمّ شهبان
ومن أسالمه والنفسُ عالمـة بأنه حربهـا إن طاش حسبان
ومن بكرهى جعلت القلبَ مسكنه كما توارى نصالَ البيض غمدان
انى لأهوى على ذا أن تلابسنى عسى تبرّد قلبى وهو هيمان
عسى إذا ما تلابسنـا تغيبنى بعض الظلال لها فى البعض إجنان[4]
عسى ترنّق فى قلبى فتقصده فطالما نام جفنى وهو سهران
انى اجتويت مذاق العيش وانتفخت مساحرى منه انّ العيش ذيفان

---

(١) قنعان أى قناعة ورضى .

(٢) السرو ضرب من الشجر والكلة ما يجعل فوق السرير .

(٣) البيت لابن الرومى .

(٤) أى بعض الظلال تغيب فى البعض .

وحنَّ قلبي إلى نومٍ تخادعني أضغاثُ أحلامه والليل نعسان
حتَّى إخال بأني في بَلَهنيةٍ وأنَّ عينيَ لم يدمع لها شان
وأنني لستُ من ليعت جوانحُه وبات فيها من الأشجان جولان(١)
حتَّى إذا دبَّ بعد النوم صاحبُه فالجفن من سكرات الموت سكران
وشارف الحينُ واستروحتُ نشقته والعينُ شاخصة والوجه بردان
وكلَّ ذهنيَ حتَّى ما يحركه شيءٌ وأعيا لساني وهو سحبان
والتفَّ حولي خلاَّني وآصرتي وكلهم شرقٌ بالدمع غصّان(٢)
مصغين حتَّى كأن الموت يخطبهم فالكلُّ حوليَ آذان وأعيان(٣)
طوراً وطورا يهي بالخطب صبرُهم فيعولون كأنَّ القوم غيلان
وأضمرتنيَ أرضٌ لست أعذرها إنْ عاودتنيَ تحت الترب أديان(٤)
وغيّبوني بملحودٍ ينادمني به من السحب هطّال وهتّان
نضوت عني هموماً كنت ألبسها مع الحياة فلي بالموت سلوان(٥)
واستروح القلبُ من شوق يلدّده ومن دموعٍ لها في العين عينان(٦)
في ظلمة القبر للثاوي به فرجٌ وفي التراب توافي الهمَّ أحيان(٧)
من لم تسع نفسه الدنيا بما رحبت فلن تضيق بها في القبر أعطان
دينٌ عليَّ سأقضيه إلى زمن في دينه ليَ تسويفٌ وليّان
يا ليت شعري اذا بُوِّئْتُ في جدثي هل يرهق القلب ضراً منه عدوان

---

(١) الجولان الجائل .
(٢) الأصرة الأقارب .
(٣) أعيان جمع عين .
(٤) أديان أي أدواء وأشجان .
(٥) نضوت أي خلعت وألقيت .
(٦) عينان أي سح .
(٧) أحيان جمع حين وهو الموت أي إذا مات المرء ماتت همومه .

لسوف أسخر منه وهو يطلبني ودون ذلك صفّاحٌ وكثبان



ما كان ذلك ظني بالحيـاة ولا قدّرت أن تجلبَ الآفاتِ أذهان
ولا تخيَّلتُ أن الناس كلهم في السر والجهر غيلان وذؤبان
ولا توهّمت أن الكون واحرَ بي حلمٌ يراه من الأرباب سكران[1]
وأنني موجةٌ في زاخرٍ لجبٍ من الورى ماله كالبحر شطآن
بحرٌ كما شاءت الأقدارُ مصطخبٌ أصمُّ ليس له باللـين إيذان
ما كنت آمل أن أحيا بمنتزح عن الهموم وهل عنهنّ حَيدان
أعددت للدهر درعاً كنت أحسبها متينةً فاذا بالدّرع كتّـان
وكنت أنظر في قلبي وأحسب في بطنانه لقلوب النـاس ظهران
فشدّ ما موّهتْ نفسي وجوههمُ حتّى تشـابه عقيان وصيدان[2]
وأنما النفس مرآة إذا كرمت فكل ما تبصر العينـان حسّان



بين الرجاء وبين اليأس يا أسفي عليك يا قلبُ أنت الدهرَ حيران
لا بل عليّ وصدري مَوْكِنٌ خرع كبرت يا طيرُ عنه فهو تعبان[3]
إني وإن أطلقت نفسي معتّقةٌ حيناً وسرّي من الأشجان إخوان
ففي فؤادي ظلامٌ لا يزحزحه فجرٌ يزوّره كـأسٌ وخـلان
هيهات يؤنسني قومٌ نكرتهمُ لا هم عداةٌ ولا صحبٌ وخلصان

---

(١) هذا المعنى لهيني الشاعر الألماني .
(٢) الصيدان النحاس .
(٣) الموكن الوكر والخرع الضعيف .

تضمّنا صدفٌ قد كنت أحمدها لو فرقتنا وبعض المنع إحسان
مخاوفُ القلب شتّى غير واحدةٍ كأنما مالها إلا الآهُ إيوان
حتّى السحاب وحتّى الريح تفزعني والنبت أن مرحت منه أغيْصان
قسا عليّ رفيق القلب ليتّنُه فكل شيء تراه العين صوّان
رفقاً بنا إننا طيف سيخلجنا عنكم وإن طالت الأيام موتان (١)
ما طال عمري ولكن طال ما حملت نفسي فسنى وإن لم تعلُ أسنان
كأنني عشتُ أدهاراً وأزمنة ولم أعش غير أيامٍ لها شان
وأكبر الظنّ أنّ الحين يعجلني فإنّ مرّ الرياح الموج عجلان
طول البقاء لكم إنّا على سفر يريغنا آكلٌ للناس مبطان
أصاب حبّك منا شبعه أبدا وسوف تأكل ما أبقاه ديدان
أعززْ علينا بأن يشجيك مصرعنا وأن تروح بجفن وهو عبران
قد كنت أشفق حيّاً إن يصيبكم سوءٌ وأحذر أن يهمى لكم شان

---

(١) الموتان الموت .

العِتابُ

خليليَّ ما يغنى العتابُ إذا انطوى　　على البغض قلب كالزمان حؤول
إذا لم يكن صدق الودادَ بنافعى　　فكل مقالات العتاب فضول

الملل من الحيـاة

أكلما عشـــتُ يومــاً أحسستُ أنىَ مُتُّــــه
وكـــلما خلـــت أنى وجدت خلصاً فقــدته
لا أعرف الأمن عمرى كأنـــنى قد رُزِئتـــه
ما تأخذ العـــينُ إلا ما ملـــنى وملالتــــــه
كأن عيـــــنى مدلو لةٌ عـــلى ماكرهتـــه
تضيئـــنى الشمس لكن لاجتلى ما أجمتــــــه
ثوب الحيـــاة بغيضٌ يا ليتـــــنى ما لبســته

إلى صَديق

دعني خليلي إذا استوفيتُ أيامي — وقرّ ثائرُ أشجـاني وآلامي
وصرتُ لا الصيفُ يؤذيني بوقدته — ولا الشتـاءُ بتوكافٍ وإرزام
ولا يحركني بغضٌ ولا مِقةٌ — ولا تريق هوى دمعَ أقلامي
ولا يسهدني ضيمٌ يراد بنـا — ولا أبالي بأرزاقٍ وأقسـام
أحيا بقلبك إن ضاق الزمانُ بنا — وطأطأ الموتُ من إشراف أحلامي
وإن تقدّمني في الشعر قالتُه — وفاتني كلُّ عنّـان وأمّام (١)
فاحفظ قصيدهم من أجل جودته — واحفظ قصيدي لحبي لا لأحكامي

---

(١) العنان الذي يسبق غيره .

الجزء الثاني

سبق طبع هذا الجزء في حياة الشاعر
رحمه الله وهو مشروح بقلمه

الإهداء

ذهنيَ محرابُ حسنكم وبه صورتكم دون سائر البشر
وخاطرى لاينى يرتّل كالرا هب آياتِ حسنك العطر
لأبنين مذبحاً وأجعـــل قر بانى فؤادى وما انقضى وطرى
إذا خبَتْ نارُه وقَصّتُ لها عودَ المُنى فهو غير ذى ثمر
فاقبل فؤادى لحسن وجهك قر بانا فقد كان خير مدّخرى

ابراهيم عبد القادر المازنى

المقدمة

بقلم صاحب الديوان

الشعر فى أصله فن ذاتى يحاول الشاعر أن يرضى نفسه به ويتعلل ويتلهى ، إلا أن هذه الحال التى ليس للشعر فيها إلا غرض ذاتى ولا غاية إلا الترفيه عن أعصاب الشاعر وإراحته من ثقل الفكرة التى تتحول إليها العاطفة — هذه الحال لا وجود لها إلا فى العصور الأولى من تاريخ الإنسان ، أيام كان يأوى إلى الكهوف والغيران ، وينقش على جدرانها صور الحيوان الماثلة فى الذهن المتشبثة بأهداب الذاكرة والوجدان — أولئك المستوحشون الذين كانوا يزينون كهوفهم بصور الحيوان والأعداء والنساء ، ويوقظون الصدى فى مخارم الجبال ومنعطفات الأودية بأنغامهم الشاكية الهافية ، ويطفئون وقدة الوجد بالرقص فى ليالى الربيع على ضوء القمر ، ويترجمون عن إحساسهم بظواهر الكون فى أغانيهم وأساطيرهم . هؤلاء هم أول — وآخر — من عالج فناً لذاته .

ثم لم يلبث الشاعر أن أحس فرق ما بينه وبين سائر الناس ، وأدرك أن إحساساته أدق . وأداءه عنها أبلغ وأوقع ، وأنه فى الجملة أبعد منهم مرمى ، وأرفع مصعداً وأرقى قدراً . وأن له شأناً غير شأنهم ، وأنهم يلتذون كلامه ويشجعونه على امتاعهم بمثله ويزفون إليه ثناء لا يلبث أن يصير إعجاباً . وخليق أن تحدث هذه الحال الجديدة الناشئة عن شعوره الجديد تطوراً فى أغراضه وبواعثه . فيصبح ما كان ضرورة جسمية ذاتية — كالطعام — فناً

عملياً يزاول ويعالج ويتعهد بالتهذيب والتنقيح والتجويد ، ويصبح ما كان فى أصله وحياً لا حيلة له فيه عادة وأسلوباً ؛ وبسرعان ما يصبح الشاعر يقلد نفسه !

فاذا كرت الأيام ودار الزمن وجاء وقت التفكير الهادىء والعمل المرتب المنظم ذكر الشاعر ساعة تملكته حمى الوحى والألهام ودفعته قسراً فى طريق الأدب — وإن غريزته ما زالت تلهمه وتوحى إليه ، ولكن عمله فى الواقع قد صار صناعة تقسره عليها الإرادة الذكية والرغبة الملتهبة ، وما زال يطلب إرضاء نفسه وهو يعالج عمله ، ويبغى الترفيه عنها من ضغط عواطفه ، ولكنه قد أصبح طماح المعين كثير المراغب يفكر فى جمهور قرائه وعشاقه ويحلم بما يمنى به نفسه من النجاح .

وواضح من ذلك أن الشعر كان يعالج لذاته أو بعبارة أخرى ليريح المرء نفسه من ثقل الحاجات الجسمية ثم صار الشاعر يطلب أن يرضى غيره فضلا عن نفسه ، وامتزجت فكرة النجاح والتأثير بعواطفه المنتجة ، ولكن الشعر الذى يقع من قلوب الناس ويبتعثهم لا يمكن أن يكون تقليدياً مكذوباً فان القلب لا يخطىء فى التمييز بين الشعر الكاذب والشعر الصادق ، والنفوس معايير حساسة لا يجوز عليها التزييف والتمويه والتزوير .

بيد أنى لست أنكر أنك قد تبلغ بالكذب ما لا يبلغه الصدق ، وتنال بالتمويه والخديعة ما لا تنال بالحق ، غير أن الأديب أكبر من ذلك وأرفع ، وغايته أسمى وأبعد ، وللشعراء ضمائر شاهدة غير نائمة ، والحق أحق أن يستولى على هوى النفس ، وينال الحظ الأوفر من ميل القلب ؛ وكيف يطبيك رجل يمسك على ما فى نفسه ويستر ما يناله حسه ويفر من شخصيته أو رجل لا ينظر بقلبه ولا يستعين بفكره ولا يستنجد فهمه ، أو آخر يأبى أن يبرز معانيه من ضميره ، وأن تدين لتبيينه وتصويره ، وأن ترى سافرة بغير نقاب ، بادية دون حجاب ؟

لقدْ طال استخفاف المتأدبين بضرورة الصدق والاخلاص حتى استخف بهم الناس ، واشتد غلوهم فى إنكار مكان الحاجة إليهما حتى أنكرنا عليهم ما تكلفوه من فضول القول ونفاية الكلام وما تجشموه من ضروب الأغراب الذى لا يغنى من الأدب شيئاً ، وأنواع المعاياة التى لا تعود بطائل ولا ترجع بفائدة ؛ ولعمرى لست أعرف شيئاً هو أحلى جنى وأعذب ورداً من الشعر إذا صدقنا أهله المقال وترفعوا عن التقليد الذى لا حاجة بنا إليه ولا ضرورة تحملنا عليه ، وتنزهوا عن مجاراة الناس ومشايعة العامة وتوخى مرضاتهم ؛ فأن لنا أعينا كأسلافنا وقوة حاسة كقواهم ، ومادة الشعر لا تفنى ولا تذهب لأنه ليس شيئاً محدوداً معلوماً .

ولكنه صوب العقول إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب .

وما الشعر إلا معان لا يزال الإنسان ينشئها فى نفسه ويصرفها فى فكره ويناجى بها قلبه ويراجع فيها عقله ، والمعانى لها فى كل ساعة تجديد ، وفى كل لحظة تردد وتوليد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً . وكلما اتسع الناس فى الدنيا اتسعت المعانى كذلك ، والصدق فى الترجمة عن النفس والكشف عن دخيلتها أبلغ فى التأثير وأنجح ؛ والأصل فى الشعر وسائر الفنون الأدبية على اختلافها وتباين مرامها وغاياتها ، النظر بمعناه الشامل المحيط ، وإذا كان هذا كذلك أفليس من العبث تقليد السلف والاقتصار على احتذائهم والاقتباس بهم فان وصفوا النياق والحمير وصفنا القاطرة والعربات ؟ ألا ترى أن العرب الذين وصفوا النياق والحمير والخيول وأشباههما قد أضاعوا أعمارهم ؟ لا ريب أن وصفهم ذلك طبيعى ، ولكن هذه اللفظة غامضة كل الغموض فان الحمير طبيعية ، والعواطف والأنفعالات النفسية طبيعية ، بيد أنه لا يجوز الخلط بينها لأنها جميعاً مختلفات ، والحقائق الطبيعية : فيها الضئيل والعظيم والحقير والجليل ، وفيها ماهو أخشن من أن يحتمله نسج الشعر الرقيق وهناك حقائق يخطئها الأحصاء عدا النياق والحمير ، وللحياة غايات وآمال أكبر مما يشغل النظر ويستغرقه من ذاك . وقد يدل وصفها على براعة وإبداع ولكنه

حقيق أن يدل على عجز عن التفطن للحقائق الفنية الجليلة التى ينبغى أن تكون العناية بها أشد من العناية بالحمير والنياق .

إن الشعر ديوان يقيد فيه أهل العقول الراجحة ما يجيش فى خواطرهم فى أسعد الساعات . وهو الذى ينقذ من الفناء والعدم خواطر الألهام ؛ وهو يحلق بالمرء فوق الحياة ويرغمه أن يحس ما يرى وأن يرى ما يحس وأن يتخيل ما يعلم وأن يعلم ما يتخيل ، وهو يجعل القبح جمالا ويزيد الجمال نضرة وجلالا ، ويفجر فى النفس ينابيع الأمن والفزع والسرور والألم ، ويذهب مياه الموت المسمومة المتدفقة فى عروق الحياة . فلا جرم كان الشاعر أحس الناس وأعمقهم حكمة وأجمعهم لخلال الخير وخصال الفضل — نقول الفضيلة والخير ولا نخشى أن يهز القراء رءوسهم إنكاراً ، فان الشعر أساسه صحة الإدراك الأخلاقى والأدبى ولست بواجد شعراً إلا وفى مطاويه مبدأ أخلاقى أدبى صحيح ، وعلى قدر نصيب الشاعر من صحة هذا الإدراك الأدبى تكون قيمة شعره .

ولا يتعجل القارىء فيحسب أنا نقصد إلى إظهار الإحساس الدينى فى الشعر ، فليس كلامنا على مادة الشعر بل على مصادره وينابيعه ، ولا ينبغى كذلك أن يستخلص أن الشاعر يجب أن يكون صاحب مبدأ عملى لا يتحول عنه ، فقد كان بيرنز الشاعر الانجليزى وأبو نواس وامرؤ القيس متقلبى وجوه الحياة ومظاهرها ، ولكن نصيبهم مع ذلك من صحة الإدراك الأخلاقى والأدبى عظيم ، .

ولئن كان لهم معايب نؤاخذهم بها فقد أحالها الزمن هباء لا قيمة له ولا وزن . وأنت خليق أن تنظر إلى ما وراء ذلك فان أبا نواس أصح مبادى وأنقى ضميراً من البحترى على كثرة ما تقرؤه للأول مما يروع ويخجل ، وكذلك امرؤ القيس أفطن إلى معانى الفضيلة وأعظم رجولة من أبى تمام وابن المعتز ولم يكن الأعشى على حبه الخمر واستهتاره بها وتخلعه فيها بالرجل الناضب الفضيلة .

وكأنى بهذه المعايب والمظاهر الخادعة من لوازم الحياة ، والشر بعد لا ينفى الخير ، بل قد ينتج هذا ذاك ، فان مما لا شبهة فيه ولا ريب ، أن النفس الإنسانية ليست كخزانة الكتب ترى فيها الفضائل والرذائل مرصوفة مرتبة لا تعدو واحدة مكانها ولا تتجاوزه إلى سواه ، وإنما هى ميدان لتلاقيها وتلاحمها ، وعالم صغير تتصادم فيه الغرائز والملكات وتقتتل على الحياة والبقاء كما يحترب الناس فى هذا العالم الكبير ويتنازعون البقاء فيما بينهم ، وبحر تتسرب فيه الطبائع بعضها فى خلال بعض كما تتسرب الموجة فى خلال الموجة وتغيب .

ولكن جمهور الناس وعامتهم لا يفقهون شيئاً من ذلك وهم إنما يقدرون الرجل بما يبدو لهم منه فى فعاله أو كلامه ، إذ كانوا لا يستطيعون أن يوفقوا بين مظاهر الشر والخير ولا يعلمون أن السكير مثلا قد يكون أصح مبادىء ممن لا يعاقر الخمر ولا ينى عن التسبيح فى السر والعلانية ، ولست أريد أن أدفع عمن يتنزى إلى المقابح ويتسور إلى المعايب ، وإنما أريد أن أقول أن القارىء ينبغى أن ينظر من شعر الشاعر إلى نفسه وأن يتلمس من معاريض كلامه ويستشف من وراء لفظه ، نصيبه من صحة الإدراك الأخلاقى . وأن يجعل ما يستبين له من ذلك مقياساً للشاعر لا ما يقروه من ذكر الخمر والتشبيب وغير ذلك .

*

وبعد فان القراء لا ريب ينتظرون منا كلمة فيما قيل عنا من انتحال معانى شعراء الغرب ، والأغارة على قصائدهم وادعائها . ولقد كنا نحب أن نغضى عن هذه التهم اكتفاء بأظهار الجزء الثانى من ديواننا ، فأنه وحده خير رد على ما رمينا به ، ولكن الضجة التى قامت حول هذا الموضوع والشماتة الحقيرة التى لم يخفها قتلى المذهب العتيق . لا تجعلان السكوت من الحزامة فى شىء . ولقد كان الأنصاف ألا يلام غيرى إذا صح ما نسب إلى . ولكن الناس تجاوزونى إلى غيرى . واتهموا سواى قياساً على ! وإن كنت لم أرم أحداً ممن

نقدوا شعرى ، بالسرقة ! وهذا عنت ظاهر يريك مبلغ الناس من الفهم والعدل .

أما ما قيل إلى سرقته فقصائد ؛ بعضها ؛ وهو الأقل ؛ مطبوع فى الجزء الأول ؛ والبعض لم يكن قد نشر بعد . ولست أدرى كيف استحل الناس لأنفسهم أن يجزموا أنى إذا طبعت الجزء الثانى لا محالة منتحل هذه القصائد ؟ وهى « الراعى المعبود » و « الوردة الرسول و « الغزال الأعمى » و « إكليل الشوك » وخمسة أبيات من قصيدة « الشاعر المحتضر » وكلها منشورة فى هذا الجزء منسوبة إلى أصحابها .

أما ما اتهمنا بسرقته مما ورد فى الجزء الأول من ديواننا ، فقصيدة « فتى فى سباق الموت » وهى ثمانية أبيات ، ولقد راجعنا قصيدة الشاعر « هود » فوجدنا فى قصيدتنا أبياتاً ليست له ونحن ننزل عن القصيدة كلها راضين ونبرأ إلى الله من تعمد أخذها والأغارة عليها ، وقصيدة « قبر الشعر » وهى خمسة أبيات نكلها إلى حظ أختها .

ويقد راجعنا الجزء الأول قصيدة قصيدة لنميط عنه هذا الأذى ، وراجعنا دواوين الشعراء التى عندنا زهادة منا فيما عسى أن يكون قد علق بخاطرنا من شعرهم ونحن لا نعلم ، فلم نعثر على شىء يجوز من أجله اتهامنا بالسرقة إلا أبيات فى « رقية حسناء » وهى « لشلى » ، والجزء الأخير من قصيدة « أمانى وذكر » وهو « لبيرنز » وأول هذا الجزء « يا ليت حبى وردة » .

ولو أن ما أخذ علينا فى الجزء الأول وما نبهنا القراء إليه من تلقاء أنفسنا ، حذف ، لما أنقص ذلك من قيمة شعرنا فإن فى ديواننا الأول نحو ألف بيت وليس ما أخذ علينا خيرها .

ولئن كان هذا دليلا على شىء ، فهو دليل على سعة الاطلاع وسرعة النسيان وهو ما يعرفه عنا إخواننا جميعاً .

هذا ولا يسعنا إلا أن نشكر لصديقنا شكرى أن نبهنا إلى مآخذ شعرنا والسلام .

الرّاعى المعبود (١)

هى قصة قديمة . (وجيمس رسل لويل) قصيدة فيها وقد نظمتها بتصرف كثير ما بين حذف وزيادة .

* غشى الأرض فى شباب الزمان   رائعُ الحسن من بنى الإنسان
وجهه كالربيع روّضه القطر   وكفّــاه كالنســيم الوانى
* ما له بالطعان والحرث والزرع   ولا السعى والدّءوب يدان
يقطع العمرَ بالغنــاء فتعطو   مصغيــاتٍ سوانحُ الغزلان
وتحطّ العقبانُ بين قمار   آمناتٍ من وثبة العقبان
وترى الأفعوان ينصت للصوت   وتصغى الذؤبان فى الوديان
* كل عين من حسنه تتلقّاه   بوبلٍ من دمعهــا هتــان
* وله روعة تبيت لها النفس   تَــنزّى كألســن النيران

* * *

زعموا أنه اصطفــاه مليكٌ   أخذت منــه روعةُ الألحان
فهو ندمانه إذا الكأس دارت   ومغنّيــه والعشــير الدانى
وأمين على خزائنــه طرا   وراعيــه ســيد الرعيــان
نعمة أرمضت قلوب أعاديه   وأورت حزازة الإخــوان
فمضوا يسخرون منه وينحون   عليــــه بألسن الأضغان

---

(١) كل بيت أمامه هذه العلامة * فهو للمترجم عنه والباقى لصاحب الديوان . وكذلك فى بقية القصائد المترجمة .

« لا رعاه الإله من باهلٍ كلٌ ... يتزجّى الزمـان بالإرنان
« يرسل الصوت ضاجعاً فيميد السَّا ... معـوه تمـايد النشـوان
«كيف لا يحسن الغناء وقد فاز ... بعيش النـوامة المبطـان
« مسمع معجب ولكنه الآل ... تراءى للاّغب الظمـآن
« عبث كله وإن سحر القلب ... بروعات حسنه الفتان »

كلهم فيه حائرٌ ليس يدرى ... أمن الانس أم من الجنّان
يسمع الناس صوته فيخرون ... سـجوداً لفاتنـات الأغانى
فإذا ما رأوه عادوا فقالوا ... إنهـا خدعة من الآذان
يكتسى منه كلُّ لفظ جمالا ... بارعَ الأخذ مونق الألوان
قصدوا قصده على الرغم منهم ... وجروا خلفه بغير عنان
فلهم قول كافرٍ ذى كنود ... ولهم فعـل راسخ الإيمـان
وهو عنهم فى غفلة معرض الوجه ... كأن ليس من بنى الإنسان
يلحظ الأرض والسموات والناس ... بعـين جِنّيةِ الإنسـان
وكأن الوجود يوحى إليه ... تمعـانى الجمال والإحسـان
ثم وافاه حينه فقضى غير ... مروع من المنـايا الدوانى
ترك الأرض ذات حسن جديد ... وشبـاب مخلـد الريعـان
وغدت بعده مواطىء نعليه ... حراما يزورهـا المشرقان
أكبرت شأنه الخلائق حتى ... عبـدوه فى غابر الأزمان
ليتهم أنصـفوه حيًّا فلما ... أنْ قضى شيعوه بالنكران

الوردة الرسول

مترجمة عن « ولر » بتصرف

تضحك عن طلها غلائلها ودمعها فى الخدود مزدحم
تهزها نشوة الجمال وللحسن حميا كالخمر تحتكم
تحسبها لافترارها أبداً قد سرّها فى منامها حلم
أهديتها شبهها وقلت لها قولى له لو تساعف الكلم
« أما ترى رونقى وزهرته كأننى بالنجوم ألتثم
« فكيف تجفو إن شبهوك بنا وثوب حسنى على منسجم
« يا مانع اللحظ أن يجول به كأنما حسن وجهه حرم
يعجبنى المرء ذو الحزامة والفهم ومن لا يغره الوهم
« ولا أحب الجمال متهما فى رأيه تستخفه النعم
« « هبنى ببعض القفار نابتة فى حيث لا تهتدى لى القدم
إذاً لما حس رونقى أحد ولا بكى إن دهانى العدم
« « يا ظالما حسنه رويدك ما أرخص حسنا تجنه الظلم
« «فاسمح بأن تشتهى ويطمع فى ودك قلب عليك مضطرم »

* * *

« ثم إذ بلى كى تريه مصرعه فكل حسن بالترب يلتطم

نهر الحياة

مترجمة بالحرف عن قصيدة « لموريس » اسمها النهر المتعب .

ماض على غُلوائه يجرى أبداً إلى بحر بلا عبر (١)
مترقرق لاشيء يحبسه متزاحم كتزاحم الشعـــر
متضاحك سلس وآونة متوثب عن نزوة الشر
زَجِل له لحن يذكرنا همس المنى فى رونق العمر
ومزمجر طوراً كأن له رعد الجحيم تثور بالجمر
كم قد أقل عبابه سفنا وأجن من غرق ومن كسر
ورمى بكل غـــير متئد فى قعر بحر هائل القعر
سيظل هذا النهر منجردا يهوى براكبه إلى البحر
حتى يمـــل الدهر دورته وتنام عين الشمس والبدر
ويلى عليه وويل راكبه منه ومن بحر الردى القفر !

---

(١) العبر الشاطىء .

لشاكسبير

أبعدوا عنىَ الشفاه اللــواتى ... كن يطفئن من أوار الصادى

أغمضوا دونى الجفون اللواتى ... هن فجر يضل صبح العباد

واستردوا إن استطعتم مردا ... لثمــاتى من الخدود النوادى

كن للحب خاتمــاً وأراها ... عبثــاً ما طبعن فى الأجيــاد

حوّاء والمرآة

من الفردوس المفقود (لملتون)

وما أنسَ ذاك اليوم لا أنس طيبه وقد بعثتنى من منامى المقادر
فألفيتنى وسنانة تحت وارف من الظل فى أكنافه الزهر يبسم
أسائل نفسى أين كنت ومن أنا وأعجب مما أجتلى وأشاهد
وغارٍ برود الريح جاشت ضمائره وفاضت برقراق المياه سرائره
ندىّ رنين الصوت فى أذن سامع وفتان تلماع الحبــاب لناظر
تحدر حتى قلت ليس بمنته وأقصر حتى قلت جفت مصادره
جرى ما جرى ثم استقر أتيّه وشن جمالا بارعاً وجــلالا
فلله ما أصفى وأصقل ماءه كأن سماءً رُكبت بثراه
رميت بلحظى فى صقال أديمه فأفصح عن قد نقى المحاسر
يصد ويدنو ما دنوت ويلتنى يصوب مثلى طرفه ويصعد
ومن عجب أنى بعينيه اجتلى نظــائر ما أبدى له وأعالن
فلولا رحيم لم أجد غير صوته لقد ظل هذا القد قيد عيانى
يقول رويداً ربة الحسن والصبا فما ذاك إلا صورة من جمالك
تعالىْ إلى من لا يعنّى طلابه ومن لا يحول الماء دون عناقه
ومن أنت منه صورة هو أصلها وهل كنت إلا بعض ما ضم جنبه

من رُباعيّات عمر الخيّام

مترجمة عن "فتزجرالد"

— ١ —

يا أسفا للربيع يذهب بالورد فلا تجتليـــه أعيننـــا
وللصبـــا تنطوى صحـــائفه ولم يزل نشرها يفاوحنا
وأين لا أين بلبل غرد كان يغنى على الغصون لنا
غاب فهل عند بعضكم خبر وهل ترى ينقضى تســاؤلنا

— ٢ —

يا رب باب لم أجد مفتاحَهْ
ورب سترٍ رمت أن أباحه
فذاد لحظى وثنى طماحه
قد خضن فينا ألسن جراحه
إذا غد راح بنا مراحه
كسر كل طاعن رماحه

— ٣ —

أترع الكأس يا حبيبى ودعنى   من أمور يشقى بها الفطن
ليس يغنى ياقرة العين شيئاً   علمنا كيف ينطوى الزمن
لم تلد هذه الليالى الحبالى الـ   ـغدَ والأمسُ لفه الكفن
فاسقنيها وحسبنا اليومُ ما دا   م غريراً ووجهه حسن

كلّ يوم لى شكاة

كل يوم لى شكاة　　بكلام العـــبرات
أطمع القلب ومازوّد　　غـــير الحسرات
من ذوى الحسن غريرٌ　　متناهى الغفـــلات
غرس الوجدَ وأجنى الشو　　قَ ممـــرور الجنـــاة
معرضاً فى غير صد　　دانيا غـــير موات
نافـــراً وهو قريب　　وهو جم اللفتـــات
أتمنـــــــاه ولكن　　كيف لى بالأهُبات
ضعف الصائد عن ظبى　　كثـــير الوثبـــــات
لقطفناه لو انّ الحـ　　ـسن دانى الثمرات
آهِ من قلبٍ إلى الحسـ　　ـن كثـــير الصبوات
يا صحابا أقصدتهم　　أعينٌ غـــير ثقـــاة
يتشـــاكون غـــراما　　غير كابى الجمرات
فى زمانٍ يقظ الآ　　لام موفور الأذاة
أنا بالشكوى خليق　　فدعـــونى وشـــكاتى
واهنأوا أنتم بقـــرب　　من غزال أو مهاة

وَإلاّ

ألا ليت شعرى فيك هل أنت ذاكرى — فذكراك فى الدنيا إلىّ حبيب
ويا ليت شعرى هل تزورن مرة — فتعفو كلوم للهوى وندوب
لقد طال تحنانى إليك ولهفتى — وأنت ضحوك لا تحس ؛ طروب
بلى كل حب ليس يخلو من الجوى — ولكن جرحى من هواك رغيب
لقد كنت أدرى أن للحب أسهما — ولكننى لم أدر كيف تصيب
نشـــدتكِ يا طير القلوب تجنبى — شراك الهوى ؛ إن الفضاء رحيب
فإنك إنْ تحدقْ بكن شراكه — يَطلْ بكِ عيش بالشقاء خضيب
لقد كنتُ حراً مثلكن ممتعاً — أروح ومالى فكرة وأؤوب
فلله أيامٍ إذا ما ادّكرتهـــا — جننت جنون اليمّ وهو غضوب
تحدثنى الأحلام أنك مسعدى — وتلك ظنون برقهن خلوب
وكيف وقد جفت حياتى وصوّح الر — جاء فما بين الغصون رطيب
ذبلت ذبول الزهر أخطأه الحيا — وقد ذبتُ مثل الشمع وهو ذيب
فيا نور عيشى إن فى القلب ظلمة — فلح لى فقد أدجى السماءَ مغيب
ويا نور عيشى فيم صدك والقلى — وفيم ارتداد الطرف وهو طبيب
ويا طير حبى هل تخاف ودادتى — وتكره أن يصبو إليك أديب
ويا طير حبى إن لحناً تقوله — يرد إلىّ العيش وهو خصيب
دمى فى عروقى ليس يهدا فأنجنى — فإنىَ من خطب الجنون قريب
وإلا فصب السم فى الكأس واسقنى — فإن حياة اليأس ليس تطيب

ألحان بنات البحر(١)

انظر إلى عبابي وصدره الرحيبِ
ورقصه العجــاب وشدوه الحلوب
وحوره الطراب وحسنهــا الرطيب
تدعوك للتصــابي ياغرض الخطوب
في جوفــه الرحيب

هل من فتى لبيبِ موفَّقٍ ســعيدِ
قد ضاق بالخطوب ذَرعاً وبالوجود
يفوز في شــعوبي باللؤلؤ المنضــود
هل من فتى ســعيد ؟

يمرح في الظلام مع الحسان الحورِ
محسورة اللثـــام مهــدولة الشعور
كأنهــا أحــلامي أو صورة الحرير
تشدو إلى الأفهام بالنغم النضــــير
تفرح بالغــــرام كالروص بالغدير
والبحـــــر بالصخور

البحر والظلام

بنات الدجى هذا الذى لم يزل له ... فؤادٌ يناجيكن عن كل نائم
أناخ على الدنيا الظلامُ بكلكلٍ ... وأغرقها فى زاخــر متــلاطم
وأغمض أجفان النجوم بكرهها ... وأطلق أشباحا كحيرى الأراقم[1]
لها لغط مستهوَل الوقع مُزئدٌ ... يجـاوبه يمٌ رهيب الهماهم
يغادر سوّار الخيال مرنّقـا ... يئن من الإعياء أنّ الكوالم
فيـالك من ليل بهيم كأنه ... حداد السموات على نسل آدم
ويالك من ريح كأن زفيفها ... نواقيسُ دُقت للمنايا الهواجم
ويا لك من بحر كأن ضجيجه ... صراخ اليتامى فى وجوه المـآتم
أحقّت على الأرضين لعنة ربها ... فصب عليها سخطه غير راحم ؟
والاّ فما لليـــل مرًّا كأننى ... بقبة قــبر حافل بالرمائم
فليست تحسّ العين إلاّ حنادسا ... تضىء مجــالى هوله المتفاقم
ولا الأذن إلا ما تقص رياحه ... على الموج فى هبّاتهن الغواشم[2]
فيضحك منها ســاخراً غير أنه ... إذا جلدته ثار ثورة ظالم

---

(١) إذا اشتد ظلام الليل حيل للإنسان أن فيه أشباحاً تروح وتجىء وربما توهم لها أصواتاً أيضاً – كحيرى الأراقم أى الحيات الحائرة .

(١) أى لا تسمع الأذن شيئاً إلا ما تقصه الرياح على الأمواج – يخيل إليك إذا عصفت الريح على الموج أنها تحدثه بشىء – ومعنى البيت الذى بعده أن الأمواج تضحك سخراً من حديث الرياح ولكن الريح لا تلبث أن تجلد الموج فيثور .

وورائى وقدامى وفى القلب ظلمة ... فكيف فرارى من ظلام ملازمى
ومهوى سحيق الغور من تحت أخمصى ... يحلل من بأس القوى الصُّبارم
يردّ عُرام الريح حتّى يعيدها ... تلوذ بآناف الصخور القـــدائم
وتصدمه الأمواج فى وثباتها ... فترفض عنه كالغمام السواجم(١)
لها زأرة الآساد إن هى أقلبت ... وخشخشة الاشجار عند الهزائم
جحيم من الأمواه يغلى عبابه ... ويعوى عواء الذئب بين المخارم
ويزبد كالمجهود حتّى كأنمـــا ... أشابته أحداث الليالى الظوالم

---

(١) إذا صدمت الأمواج حائطاً أو سوراً أو ما يشبه ذلك فإنها لا تلبث أن ترتد عن هذا السور وهى تشد فى ارتدادها وتبعثر ذراتها من الصدمة التى أصابتها المطر المتساقط .

في المُنَاجاة

الله فى كلف الأحشاء مفتون ... يهتاجه الشوقُ من بادٍ ومكنونِ
يقوى ويضعف كالآذىّ آونة ... يطغى وآونة يهدا إلى حين(١)
يمزق الشوق أحشاه كما فتكت ... بالغيم عجرفةُ الهوج المجانين(٢)
مقطّب فإذا ما افترّ عابسه ... فذاك سخر أسًى فى القلب مدفون
قد طارد القلقُ المضنى سكينته ... فبات نهزة خوف غير مأمون
باع الرجاء ولم يبتع به بدلا ... سوى قنوط طرير الغرب مسنون
فى صدره من زمان الصيف وقدته ... لكنه مطلخمّ جدّ مدجون
حنادس كظلام الموت باردة ... وهمس يأس كألحان الشياطين
ماضيه أسحم مرهوب وحاضره ... كظّته مثل شظيّات البراكين
يستقطر الألم الدامى مساربه ... كأن فى كل عضو نصل سكين
إن نام نغّصت الأحلام رقدته ... أو قام ناجاه همٌّ غير مظنون

* * *

هيهات يحنو على قلبى معذبهُ ... أو يحفل السهم إنْ أصمى بمطعون
وددت لو لان لى لفظ فأودعه ... ما ضاق عن بعضه شرحى وتبيينى
أستحمل الريح معناه لتنهيَه ... إلى الذى ليس يدرى ما يعنّينى

---

(١) الآذى الموج . قال المغيرة بن حبناء :
« إذا رمى آذيــــه بالطــــم ... ترى الرجــال حــوله كالصم »
(٢) المراد بهوج المجانين الرياح الثائرة .

إذاً لفاجأه من حيث يأمنه   برق يضيء له قلبي ويبديني

* * *

لا يخصب الظن في جدب الزمان ولا   يضوع في قفره عرفُ الرياحين
ولا تهش فراديس الجمال إلى   نار الجوى وجراحات المساكين
ألفتُ شجوىَ حتى صرت أحسب في   غير التلهف أخلاقاً تنافيني
قوتي همومي ، على أن الفؤاد لها   قوت . ، فدأبي أفنيها وتفنيني
أبكي حياتيَ في الدنيا وأندبها   من ذا عساه إذا ما مت يبكيني
لو كان يجرى الهوى كالنهر مطّردا   لكنه البحرُ يغريني ليرديني
أو كان في الحب هلكٌ لاغتبطت به   لكنْ لأمرٍ رهيب ما يباقيني
يكوى الفؤاد ويشفيه ليكويَه   عودا لبدء ويخليني ليشجوني
هذى الجحيم التي قد حدثوك بها   يا رحمة الله آوى كل مفتون

الماضي الحيّ

ما أنس لا أنس أياما نعمت بها في ظله وكلانا ضاحك الجذل
وقوله لىَ فى دل ومعتبة وقد رآنى عن السمار فى شغل
« يا قاتل الله وسواس الغرام وما كساك من صنعة الأشجان والغلل
أنصب حبائلك اللاتى عُرفت بها فإن شعرك سحر نافذ العمل
ماذا تريد بإطراق وقد ضحكت وجوه ليلتنـــا عن غرة الأمل
هذا الشراب وهذى الكأس مترعة فاشرب وهات اسقنيها غير محتفل
أما نهيتك عن هذا ؟ أما وأبى لأوسعنك تأديبا على الزلل ! »
نفسى فداؤك من جاف كلفت به سقانى الشهد فى أيامنا الأول

* * *

وليلة كظلام اليأس طاخية بلا نجوم ولا بدر ولا شـــعل
مضيت فيها إليه غير متئـــد يحدونى الشوق حدوا غير ذى مهل
وقلت إنى ضيف لا يريد قرى إلا الحديث وما أنتم ذوى بخل
وظلتُ أروى خرافات وأسمعه حديث قلبى منحولا إلى الأول
وسرَّنى أننى فيما رويت له عنهم أقول له فى غير ما وجل
إنى أحبك حبا طاغيــا فزعاً عفًّا ومالى بهذا الحب من قِبل
وليس قدما ولا غرا فأخدعه لكن نصيباه من فهم ومن خجل
فقال ويحك إما أنت مختبلٌ أو أنت تلهو بأصناف من الخطل

فقات لم تخط . بي خبل وبي عبث مما دهانى من الأوجاع والعلل
وفى الفؤاد ضرام لا دخان له وأخبث النار ما تخفى عن المقل
وفى العروق سموم لا طبيب لها وفى المحاجر دمع غير منهمـل
فلا يغرنّك ضحكي حين تبصرنى فذاك سخر فؤاد ضيق الحيل
والمرء يضحك من يأس ومن جذل وقد ترى الوشي فى الأكفان والحلل
كم همّ قلبي بافصاحٍ ولم يقل وهم دمعي بتسكاب ولم يسـل
صب الزمان بقلبي النار سـائلة وجف دمعي فيالهفى على البلل(١)
فان تُطق فأسل دمعا شقيت به إنّ الشفاء مسيل المدمع الخضل
فلم يطق وبكى عنى فوا حزنى ليت الذي سحّ من عينيه يُقسم لى

* * *

إنى لأذكر يوماً صالحـاً معه ما زلت من حسنه كالشارب الثمل
والشمس جانحـة حتى لتحسبها لاذت أمام جيوش الليل بالجفل
والنيل يجرى بنا نجرى لغايتنا وكل شيء من الدنيا إلى أجل
فقلت ألهو به ، والجـد متعبة وأحسن القول ما ألهى عن الملل
«لقد سبت قبلك الشمس التى غربت ربّ البحار ذوات الغارب الزجل(٢)
« ألستَ تعلم أن الشمس زوجته تبغيه تحت ستار الليل والطفل؟ »
فقال لا تهذِ يا هذا لتضحكنا لقد عرتك وربى لوثة الدخل
أما تزال فتىً العقل طائشـه كهلَ المجانة وثاباً إلى الخبـل
أما يجلُ حديث عن مهازلة ولا يردك عنها قحمة العقل

(١) هذا المعنى من مقال لهينى الشاعر الألمانى عن رواية دون كويكسوت . لصاحبها سرفنتس .

(٢) فى بعض الخرافات القديمة أن إله البحر تزوج الشمس وأنها تذهب كل ليلة إليه .

فقلت والله ما إن افترى كذبا — لكنما أنت فى ليل من الجهل
سل عنهما صادة الأسماك هل سمعوا — فى فحمة الليل مثلى رنة القبل[1]
وربما هاجه صيفا تلكؤها — فأمطر السخط شؤبوبا من العذل
وظلت أضحك منه وهو ينهرنى — حتى انقضى الليل لم يقصر ولم يطل
ليت المحبين مثل الشمس كلهم — قد زوجوا النار ماء القرب والغزل

* * *

ويوم قلت له والسن ضاحكة — والعين شاخصة والقلب فى ثكل
أزمعت عنك رحيلا لا إياب له — فقال بل أنت ظل غير منتقل
فقلت بشرى ، ولكنى على سفر — من ذا أقام كنجم القطب لم يحل
فقال ألشآم ؟ قلت الشام فاتنة — جناتها وسماء الأعين النجل
لكننى لست طياشا ولا رهقا — ولست أحسن لعن الدين والملل
فقال بئس لعمرى أنت من دعب — فى كل أمر وبئس الخلق فى الرجل
فقلت ويحى إننى لا أريد ردى — لكن حياة وإنى لست بالبطل
وفى الشآم لحاظ لا أمان لها — يحوطها كل مقدام على الأجل
لكن تأمل نجوم الليل قاطبة — وأين نجمى بين الأنجم الحلل[2]
أظنه ضل بين الشهب غايته — مثلى على الأرض بين الوهد والقلل

* * *

يامعرضاً أنت نجمى غبت عن نظرى — وما ضللت ولكن شيمة الملل
وأنت فى العين أنوار ملمعة — وأنت فى القلب برد العارض الهطل

(١) أى سل عن الشمس وإله البحر صيادى الأسماك ألم يسمعوا رنة قبلهما بالليل — هذه الخرافة قد ذكرها غير واحد من شعراء الغرب .

(٢) فى بعض الخرافات القديمة أن لكل امرىء نجماً فاذا غاب هذا النجم مات الرجل .

وأنت تاج خلود لى أتيهُ به وقد غنَيتُ عن النّسرين والنفل[1]
وأنت بالليل حلم غير منقطع وأنت فى الصبح عزم غير متصل
وأنت جبريلُ توحى لى وأنظم ما توحيه من غرر الآيات والجمل
وأنت فينا نبيُّ الحسن لا كذباً وللهوى مرسل من أفصح الرسل
إن كنت فكّرت فى هجر وفى بعد فأنتَ فى القلب ثاوٍ غير مرتحل
لا يخدعنّك حسن أنت لابسه فلابس الحلى فى الدنيا إلى عطل
يا زهرة الحسن لا يخدعْكِ رونقها إن الربيع قصير العمر والأجل
إن الندى لحياة الزهر يضربه والحب للحسن طلٌّ ليس بالوشل
فصن جمالك إمّا شئت فى كِلَلٍ وادفنه إن شئت فى قبر من الجهل
ليس اختياراً رضانا ما يكلفنا صرف الغرام فلا تكثر من العذل

(١) نوعان من الزهر .

فلسفة المُحِبّ

يا حبيبي وأنت جم الهجودِ لا تدعنى فريســـة التسهيدِ
إن داني الهـــوى وإن دوانى نظــر منك ليس بالمردود
كل شيء إلى فناءٍ حبيبي فاغتنم ظل حبنـا الموجود
إنما الحسن روضة جمة الور د وعدلٌ فى الروض شم الورود
ما ترى لذة الجمـــال إذا ما لم تجلْ فيـــه أعين المعمود
لذة الصب فى الحبيب ونعمى الـ حبِّ فى نظرة المحب الودود
أيبست وقدةُ الحياة ضلوعى فأغثنى بوبل حسنٍ بَرود
وأثر فى الفؤاد ناراً تلظّى فحياتى فى غير هذا الخمود
أنا كالموج ليس يحييـه إلا ثورة الريح وانتفـاء الركود
أنت للعين وردة بضة الحسـ ن على فرع غصنها الأملود
كلما صافحت لحاظيَ دق الـ قلب عطفاً على رقاق الخدود
وتشوَّقت أن أصـــلى لربى ويدى فوق حسـنها المعبود
داعياً أن تظل رَفافة الثغر على الدهر ذات حسنٍ جديد
فى أمان من المخاوف لو أنـ ـن خلوداً فى الأرض غير بعيد
ما أحيلى بنانك الرخص يا حبـ ـب وأحلى إيماءه فى وعيـــد
أهوه اليوم نحو قلبي وقل يا طائراً ما يقـــر كالمزؤود
قرَّ بين الضلوع واسكن — وإنى ضامن أن يموت جدَّ سعيد

الصِّدق في الكذب

« قيلت رداً على قصيدة كتب بها إلينا صديقنا الشاعر الجليل عباس أفندي محمود العقاد بعد أن اطلع على القصيدة السالفة » .

لذة العيش في مدامٍ رخـــد ياصديقي فعدْ لماضي العهد
لستُ إبليس ياصديقي ولابعض شياطينه فتنكر قصـــدي
لكنْ الحسنُ روضة وسبيلي شم وردٍ بها وتقبيـــل ورد
وقديما كانت سبيلك هذي فمتى حلتَ أو تغيرت بعدي
قد وجدتُ الحلوّ صحراء قفرا ووجدت الغرام جنّات خلد
هيّنٌ جنْب ماتفوز به النفس من السعد سورةٌ للوجـــد

*

لا تلمني أني أنقـــل قلبي ناسيا عهدَ غير ذاكر عهدي
إنّ خيراً من التصنع في القر ب بعادٌ على جفاء وصـــد
ضمّنا الود فاتصلنا وعدنا مثل ضـــدين يدنوان لرد
لم يدع بيننا الجفاء ولا البعد سوى زورة على غير ود
ضعـُف القلب عن هواه وما القلب على كل ذي جمال بجـــلد
سنّة الله لا تجيـز وقوفا يا أخي أو تمهُّلا عنـــد حد
يكمل البـــدر ليـــلة وتراه بعدها ناقصاً لطلعة ســـعد

* * *

لا لعاً للذى كبا بىَ فى الحب وأهــلا بحىَ لمستجــــد
قد تصابيت فاعذروا أو فلوموا ليس شىءٌ على الغرام بمجد
وتداويت من غــرام ملولٍ بهوى مُسعدٍ على العيش نجد
مسكرى إن شربت منه بلحظى بشهىٍّ من خمر خــديه صرد
إن أخسَّ القديمُ حظى فهــذا مجــزلٌ قسمتى ومورٍ زندى
وحديثى نفسى بأن سوف ينسينى شقائى بمـــا يؤاتى ويسدى

*

لا تصدق مقالتى يا صــديقى واغتفر كذبة على غير عمد
أنا من مصر فى فلاة وان كا نت رياضا أعالج العيش وحدى
لابساً ثوب وحشة لاأرى الأخـ ـلاق يبلى من خلقهــا المسود
دائم الصمت مفرد الرأى والفكر ة لا أتقى الهموم بجـد
مقبلا مدبرا كما حار فى الصحـ ـراء من ضل عن طريق الرشد
عالما أن كل يوم ســيأتينى بأمر خافى المعــارف نكد
وسفاهاً أرى فرارىَ ممــا هو حتمٌ ما إن له من مـرد
تلك حالى على الحقيقة لا ما أتسلّى به من الزور جهدى
عبثٌ كلها الحيــاة وزور ومحال وباطل ليس يجدى

القطيعة

تناءت على قرب الديار السرائرُ فليس لما بيني وبينك آخر
لقد كان ظني أنّ لى منك وامقا على حين حفّت بى الحقود النوائر
فلما بدت لى نفرةُ الغدر منكُم رضيتُ بما تقضى به وهو جائر
فلا تعذلونى فى الجفاء فإننى أنزّه قلبى أن يرى وهو صاغر
هويتك بالقلب البرىء من الحجا وإنىّ بالعقل السليم لهاجر
تقلّص ظل الحب بعد امتداده وجفّ هوانا بعد إذ هو ناضر
أحالته أخلاقُ العقوق وغدره عهودا تبكّيها القلوب الذواكر
كأن الجوى واليأس والسهد والضنى ديونٌ على من ضاعه منك ناظر
على أنه سيان كربٌ وفرحة فكلٌّ تعفّيه الليالى الدوائر
ستعلم أن الحسن ليس بدائم وأنّ العيون الزهر يوماً غوائر
ويصرف عنك الشيقون قلوبهم وتغضى غداً عنك اللحاظ الغوادر
كأنى بهذا الحسن قد جف ماؤه وباخ ضياءٌ فى المحاجر باهر
يحاول أن يسبى القلوبَ كعهده ويطلب أن تصبو وهن نوافر
ستبصرنى جلدا على الدهر عارفا فليتك مثلى إن تقاضاك صابر[1]
وليتك إذ هُنّا على القلب لم يهن علينا ولكنى على ذاك شاكر

---

(١) عارفاً أى صبوراً والمعنى أنك ستجدنى صابراً على هجرك وغدرك فليتك تستطيع مثل الصبر أن تقاضاك الدهر حسنك وبزك جمالك .

فإن تنحرف فالحسن جمٌّ وجوده ... وأهون بما منه لدينا نظائر
طوى الدهر ما بيني وبينك من هوى ... وليس لما يطوى زمانك ناشر
وما ندمى إلا على كلفى بكم ... فهل لىَ من تلك الجناية عاذر
نبذتك نبذ النعل رثَّ أديمها ... وإنى على أمثال ذاك لقادر
إذا ما أراد الله بالمرء رحمة ... فسهم الأذى عن مرشق الحظ جائر
لقد حاطت الأقدار نفسى من الذى ... تكيد وقد دارت عليك الدوائر
رويدك لا يهلكَ جهلك إننى ... رضىٌّ ولكنّى علىَ الشر قادر
وإنى لصلٌّ لينَ مسٍّ وإن لى ... لأنياب سوء ساندتها أظافر
وحسبك إمّا شئتُ ضرك شرّدٌ ... يباديك منها حيثما كنتَ ناحر
ولكننى أغضيتُ عنك تكرما ... وإن كثرت أوزاركم والجرائر
فرح غانما بالصفح ممن إذا رمى ... فلا تجبر الأيام ما هو كاسر
ومن عجب تأبى النسيب ضلالة ... وما ذاك للأحرار غيرك ضائر
فيا ليت شعرى والعجائب جمة ... أيرضيك أن يُغرى بذمك شاعر ؟
أغرّك منى أننى آظهر الهوى ؟ ... أبى الزهوُ أن يبقى بعشك طائر ؟
فرُحت تبثّ الناس أخبار صبوتى ... وتزعم أنى عاشق وتفاخر
رويدك لا تجعل هواى ذريعة ... لشىء ترجّيه كأنك تاجر
فجرتَ عيونَ الدمع فابلك بأربع ... على حين يفترّ العدو المناكر
أدرتَ رحى حرب عليك – طحينها ... عفافك – فانظرْ أى خطب تحاذر
وقل يرحم الله السكينة والمنى ... وخفضا وريفا أعجلته المقادر

الربح والخسارة

أهواك والحب داءٌ أيّما داءِ ... يا مسبلا حـــوله أذيالَ لألاءِ
خلقتُ للحسن عبّاداً أواجهــــه ... كعابد الشمس فى صبح وإمساء
يا ليت أنىَ أعمى لا دليل له ... أو ليت مافى الورى ما يفتن الرائى
عينىَ عيـــنىَ لا بوركتما أبدا ... أطفتما بالحشا أنيـــابَ رقشاء
ولوعميتُ إذا لاشـــتقت نوركما ... بقلب راع وفىٍّ غـــير نسّاء

* * *

أهبتُ وهناً بذكراكم فما عبأت ... شيئا بصبٍ بجنح الليل دعاء
وســـلمتنى إلى الآمال قائلة ... عنى إلى أمل للروح غذاء (١)
« مالى وللزمن الآتى وأقـــربه ... منى إذا استثبتت عيناى كالّلاء
« سلنى إذا شئت عن ماضيك مبتدئا ... أروِّ قلبـــك منه أى إرواء
« عند الأمانىّ ما تبغى فإنّ لها ... عينا موكّلة بالمقبل النـــائى
« قداستوت فوق عرش الوهم حاكمة ... مثل المقادير فى منح وإكداء
« وما لها دون راجى عرفها حجب ... ولا مطال ولا إعراض أبّاء
« من لا تكلفه شيئا عوارفه ... فليس يبخل عن بذل وإيتـــاء
« وخلّفتنى على الأجداث أحرسها ... كالكلب يحرس ليلا عزَّ أحياء(٢)

---

(١) أى الذكرى أسلمتنى إلى الأمل وقالت . إلخ والذكرى كما لا يخفى عملها فى الماضى والآمال المستقبل .

(٢) أحياء جمع حى كما تقول مررت بحى من أحياء العرب .

« فليس يذكرنى الا أخو عـــدم قد صار من ظنه فى جدب صحراء
« والمرء ما بيننا حيران مضطرب من لهو وهم إلى أشـــباح جوفاء
« هذى تضاحكه طوراً وتخدعه وتلك تبكيه فى صبح إمساء
« قد أوسعتكم بنى حوّاء عيشتكم وطول غفلتكم من كل إزراء »

* * *

أين الحقيقة ؟ ألأرماس موطنها ؟ فذاك قلبىَ رمس بين أحنائى
ماضى حياتىَ أحلام ومقبلها غيبٌ ، وحاضرها فى كف خرقاء
كم حدثتنىَ نفسى وهى باكية عن الشباب وبسّامين أكفاء
وأذكـــرتنىَ أياما مسلسلة فى ظل وارفة الأظلال لفّـــاء
حيث الزمان ربيع والهوى أنفٌ والأرض صادحة بالعود والنّاىِ
تُجنى الكرومُ إذا آنتْ مقاطفها سمرَ العناقيد فى لفاء خضراء
يجرى النسيم بأنفاس الورود كما يجرى الرسول ببشرى القرب للنائى
يا حبذا عرفها والريح ساجية والنجم يلحظنا لحظات هوجاء
والنيل أجـــراه مجريه للذتنا من حولنا فلنا عرشٌ على الماء(١)
مطرزٌ بنجوم الليـــل قاطبة ومزبدٍ فى سماءِ الليل وضّاء(٢)
أطنابه حُفلٍ الأثمار يانعـــة جلّت عن الوصف فى حسن واغراء
خمرى الحسان ولا حسنٌ كحسنهم ونقلىَ اللحظُ يشفى علة الداء (٣)
غبوقنا بين أغصـــان مهدّلة ومن صبوحىَ تقبيل الأحباء(٤)

---

(١) كان فى ذهنى لما كتبت هذه القصيدة جزيرة صغيرة بالنيل قضيت فيها أياماً .
(٢) مطرز وصف لعرش فى البيت الذى قبله ومزبد معطوف على نجوم ووضاء وصف لمزبد.
(٣) النقل ما يتفكه به على الشراب .
(٤) الغبوق شراب المساء والصبوح شراب الصباح .

إذا نشاء احتسيناها مصفّقة ... تُسْنى لشاربها من كل سرّاء
أو لم نشأ لم نبــع بالسكر لذتنا ... فى الصحو ما بين بيضاء وحمراء
فأين أين ليالىّ التى سلفت ... صارت حديثا كأخبار ابن دحاء
لا تدرك النفس منها حين تطابها ... الا التفجعَ أو لدغا بأحشاء
أضحت حياتىَ ربعاً مقفرا خربا ... من بعد ما عُمرت للفرح أفنانى
يا سوء منقلب عن حسن مختبر ... كالصبح يعقبه إدجان ظلماء

* * *

بقيتَ يا كوكب الأيام مؤتلقا ... يزيدك الدهر ضوءاً فوق أضواء
ويا ربيع الهوى لا زلت فى حلل ... خضرٍ تباكرها سحبٌ بأنداء
تنضو وتلبس أفوافا محبّرة ... مستبدلا جُدداً من بعد أنضاء
فأنت لى ولآمالى وإن بعدت ... قوس الغمائم فى آفاق غمّائى
إقرأ كلامىَ وابسم حين تقروءه ... وإن يكن لك تحبيرى وإنشائى
ولا تُرع للدموع بتُّ أنظمها ... وإن تكن عن ضرام بين أحنائى
ولستُ فاعلم أرجّى منك مرحمة ... يندى لها القلب فى أعقاب رمضاء
أحبكم ولو انى أستطيع إذاً ... بدّلتكم بالهوى والحب بغضائى
كما تبدّلنى من صحتى ألمـاً ... مرًّا وتوسعنى من كل ضراء
قد كنتُ أطرب للدنيا ويعجبنى ... فى رونق الحسن ماءٌ ليس كالماء
وكان يفتننى تهديلُ ورقاء ... تسمو إلى الغصن أو تهزيج حسناء
فالآن قد صوّح الغصنُ الذى صدحت ... عليه أطيارُ نفسى يوم نعمائى
وصرتُ لا شيء فى الدنيا أسرّ به ... ولا يفزّعنى دهرى بأرزاء
وصرت أنكر أيامى وينكرنى ... صفو اللذاذات من قصف وإصباء
إذا سمعتُ لريح الليل زمزمةً ... حسبتها نادباً ألحـــان سرّائى

كالبحر نفسيَ لا مأوى ولا سكنٌ ولا قرار لها من فرط ضوضاء
أقول فى الصيف ويلى من سمائمه وفى الشتاء ألا بعداً لمشتائى
تمضى الليالى ولكن لا أحسّ لها ما كنت أعهد من نور وظلماء
فلا ندًى فوق خدّ الزهر يلثمه ولا يفوح له مسكىّ بوغاء
قد مات مثلىَ إلاّ صورة ثبتت نفسٌ قضت وهى فى جثمان أحياء
خطٌّ اسمَها الدهرُ فى قيد الردى فغدت لا تنفع الناس إلا يوم إحصاء
كأنما الشجر المخضرّ فى نظرى إذا دلفت له عيدان قصباء
وللنجــــوم بريق لا أفرّقه عن لحظ ميتة حسناء عذراء
فى أبحر من زجاج لا بهاء لها ما بين سوداء أو خضراء زرقاء(١)
حتّى النهار وحتّى الشمس أنكرها كأن فى نورها ديدانَ غبراءِ
طُردت فى الأرض من فردوس نعمائى طرد التى غرَّرت قدماً بحواء(٢)
فما أطيق نعيما إن ظفرت به بعد الذى بُزَّ عنى يوم إثرائى
أخاف حسنك يوماً أن يذكرنى عهداً مضى فيهيج الذكر سودائى
تغلغل السهم فى قلبى فإنْ نزعت كفٌّ قضيتُ فدع سهمى بأحشائى
هذى حياتى فقل لى كيف أندبها قد جلّ ما بىَ عن سلوى وتأساء

* * *

لكل شيء سكونٌ بعد فورته وكل عين إلى غمض وإغفـــاءِ
ألا ترى اليم تطغى فيه موجته تَقطّـــع القلب من هم وبأساء
حتّى إذا بلغتْ مجهودَها فنيت من بعد جلجلة منها وضوضاء
كذاك للنفس فى بحر الردى سكن تلفى به راحة من بعد إعياء

(١) أبحر الزجاج المراد بها السماء .
(٢) فى الأساطير أن أبليس جاء حواء فى صورة حية وأغراها بالشجرة المحرمة — وكانت النتيجة أن طردت الحية وأنزلت حواء وآدم إلى الأرض .

ظمأ النفس إلى المعرفة

أحس كأن الدهرَ عمرى وأننى ... أخو مغرق الأرضين بالفيضان
أقلّب طرفى فى السماء كطرفه ... وأرصد ما راعاه قبل زمانى
كلانا على بعد المسافة بيننا ... تلاقى على ألحاظه القمران
وأقرأ فى صحف السموات أسطرا ... بهن دناً خفاقة اللمعان
تخذتُ فضاء الله مثوى لخاطرى ... ليشرد فى الدنيا بغير عنان
يمر به مرّ البروق وينثنى ... وقد جهدته حدّةُ الطيران
أعالج سرا لا يماط حجابه ... ومأربُ قلبى ذلكم وجنانى
وسعتُ لغات الريح والبحر خبرة ... وكل شهاب لامع الخفقان
ولكنه ما خير علمى وكلها ... ضموم على السرّ المغيّب حانى
سئمت شرودَ الفكر فى غامض الفضا ... وهيض جناحاه من النّهضان
وعادت إلىّ النفس مهدودة القوى ... تئن من الإسناف والشوّلان
تحن إلى ظلٍّ من الرخو وارف ... وطول جمام رافه وليان
ومن لى بأن لا ترفع العينُ لحظها ... ولا تجتلى فى الناس أى هوان
غرضتُ بملك واسع لا يحده ... سوى أفق دان وليس بدان
أرونىَ قيدا يعرقُ الجسمَ مسّه ... ويُضوى كأضلاعٍ علىّ حوان

على لسان الأقدار

بأيدينـــا قلوبكم لنـــا منها ألاعيبُ
وفينا الخير موجود ومنا الشر مجلوب
وما عن صرفنا معدى ولا في الأرض محجوب
نصرّف أمر دنيـاكم بما فيـه الأعاجيب
ولو شئنا لكان النصف لكن فيـه تصعيب

الأقدار

دعوت بنات الليل فى أخرياته فلبّتنيَ الأقدار وهى غضاب
وإنى لأدرى أنكن ظوالم وأنك ظفر للزمان وناب
وأنّ الورى عبدانكن جزاؤهم على الصبر والشكر الجزيل عذاب
ألا ربّ مُلكٍ قد أقمتن ضلة وللظلم فيه زخرة وعباب
وكم وادع وثّبته وتركته حشاشته للحادثات نهاب
ومنتصف أندمتهِ بعد حفزه وذى أربة قد ضاع منه صواب
وفدم غبيّ قد رفعت على الورى فسالت عليهم بالبلاء شعاب
وألجمتِ أفواه الأباة لأنهم لهم فى فكاك المرهقين طلاب
فعنى فإنى قد وسعتك خبرةً وما دوننا لو تعلمين حجاب
ولكنه ما ينفع المرء علمه وعلم الفتى بالحادثات عقاب
عفا الله عن جدٍّ شقينا بذنبه ولم يغن منه عندكن متاب
* يقولون فى الأقدار عدل ورحمة ومن أين علمى أنّ ذاك صواب
* أمن أجل أن المرء أقدر قادر يكون رحيما ؟ طاش ثم حساب
بنى آدم ذوقوا النكال لأنكم بنو من أتى ما ليس فيه معاب
ولا تفتأوا تثنون بالمين والهوى على رحمة الأقدار وهى كذاب

---

* البيتان للشاعر بيرون .

شفاعة الحب

ألا ليت شعرى هل لما فات مرجع ألا زورة تروى الغليل وتنقع
ألا سلوة تشفى الفؤاد من الجوى وتبرئه إنى من الوجد موجع
ألا لبّ لى إلاّ تجلد برهة الا حال لى الا الأسى والتفجع
نشدتك بالحسن الذى راع سحرُه فؤادى وبالعقل الذى ليس يرجع
يمين يطير اللب عند سماعها ويثنى إلى الطرف بالدم يدمع
وبالدم يغلى فى عروقى وبالجوى وباليأس والنفس التى ليس تطمع
وبالشجن المضنى وبالسهد والأسى وبالأمل الذاوى الذى ليس ينفع
وبالحب إلاّ ما كبتَ حواسدى وأخرستَ عذّالا لهم فيك مطمع
وعدت إلى العهد الحميد ، لو انه إذا ما دعاك الشيّقُ الصب تسمع
ولا تك مبكّى للفؤاد ومجزعاً وأنت له حال من الروض ممرع
أرى ورق الآمال يذوى فروّه بقربك إنّ القرب لليأس مصرع
ومرنى إذا ما شئت أحيا وإن تشأ فمرنى أمت إنى لما اخترت طيع
ألا واسقنى خمراً بعينك إنها وإن أسقمت أشفى لدائى وأنجع
وإلا فقبّل كأس خمر وعاطنى لأشرب فيها قبلةً حين أكرع

مراجعة الحب

لا اليأس مجد ولا الآمال نافعة
أخبثٌ بعيش على الحالين مذموم

يا درة غصت فى لج الحياة لها
أأنفض اليوم منها كف محروم ؟

ما لى على الحب مسئوماً ألا رحموا
دون الضلوع وجيبا غير مسئوم

ما لى كأنىَ أعمى لا دليل له
إلاّ عصاه وسمع غير معصوم

نفسى تأبّى لكم إلاّ طواعية
وأنت تأبى سوى ظلم وتجذيم

أحبكم (وتحبونى) فما لكُم
تجفون حتّى يثير الظلم منظومى

إن كنت ذا عنف فالدهر ذو عنف
لا رفق فيه ولا يصغى لمظلوم

يأتى الزملان على حبى وحسنكم
وهل على الدهر ناج غير محطوم

كن كيف شئت وفيا أو أخا ملل
لابد لى منك مثل الماء للهيم

فعد إلىّ يعد للعيش رونقه
وتشرق الشمس فى أحناء حيزومى

أنت الطبيب لداء قد بُليت به
فداوه باقتراب غير مفصوم

وذاك أحسن من ليل لبثت به
شرابىَ المهل فى بستان زقّوم

لا ملامَ ولا عِتابْ

ألومك لو أرى لوميك يجدى ولكن لا ملام ولا عتابا
وإن مزايل الصحب اختصارا لصنو للذى صبر احتسابا
دعوتك لا إلى الرعيا ولكن الى نأيٍ يماطلنا الأيابا
وإنى من يرد عليك ودى إذا أركبته الشوس الصعابا
فقم صافق على التوديع كفى كما صافقتنى تبغى اقترابا
وإن هزتك عاطفة إلينا وجاذبك الحنين لنا جذابا
فلا تأكل على ودى بنانا ولا تقرع على ما فات نابا
وإن شعب الزمان لنا انصداعا على كرهى وكرهك الانشعابا
وقدرت المقادير اجتماعاً على إيثار كل الاغترابا
فلا تظهر لهذا الناس أنا قديماً قد تلابسنا صحابا
ولا تدع العيون إذا تلاقت تمزق عن تجاهلنا الحجابا
ومد إلى كفك فى فتور كأنك حامل فيها هضابا
ولا تعبس ولا تبسم للقيا سألقاها وأحتقب الثوابا
لقد أودى الهوى أو كاد منا ولا عطفا ولا رفقا أصابا
وجاد بنفسه أو كاد لولا وفاء لا يحب له الترابا
فان تدركه لا يهلك ويحيا وإلا لا ملام ولا عتابا

العاشق المعشوق

أعيذك أن تمنى بتبريح لوعة — وأن تعرف الوسواس كيف يكون
ويحزنني أن تسند القلب راحة — كأنك بالقلب الشجي ضنين
ويؤلمني أن تقطع الليل ساهرا — تسهدك الاشجان وهي جنون
اذا هزك الشوق اضطربت ولم تفه — ونهنهت غرب الدمع وهو خؤون
وليل سهرناه سميرين تشتكي — هواك وأصغي والحديث شجون
تمر بنا الساعات تعدو كما عدا — على الصخر سيل ما حواه وجين
فيا لك من ليل قصير وليته — تطاول لو أن الزمان يعين
ويا ليتني الشاكي وليتك سامعي — ولكن همي في الفؤاد دفين
أذعت لنا سراً شقينا بمثله — زمانا وفي غصن الشبيبه لين
فيا ليتني لما ذوى العود وانحنى — برئت ولكن الشقاء فنون
إذا شئت رويت المسامع بالذي — لقيت ولكن الفؤاد ضمين
وكنتُ ،وقد بتنا سميرين في الدجى ، — أرقهما لكن أخاف أبين
ولو شئت أطربت الصحاب عشية — ولكن قلبي يا سمير طعين
ومن لي بأن تشتاق ما أنا كاتم — ولكن سري في الضلوع حصين
وما كل أيام الشباب حميدة — ولا كل جرح إن نكأت يهون
إذا ما تحدى الشوق يوماً لما مضى — فؤادي استهلت بالدموع شؤون
أساكت هذا الناس والقول حاضر — ولي من غليلي زفرة وأنين

أنام على سرى ووجدى ساهر　　فما لشجونى الثائرات سكون
كلانا إذاً يا خل ضامن لوعة　　وكل على سر الفؤاد أمين
كلانا محب ليس يدرى حبيبه　　هواه وكل يا سمير غبين
كلانا له داء يداويه بالمنى　　وهل تنفع الآمال وهى ظنون
كلانا احتسى كأس الغرام بكرهه　　وكل عراه من هواه جنون
ولكننى شر الرفيقين قسمة　　وأشقاهما لولا تقول يمين[1]
شبابك ريَّان وروضك ضاحك　　وأنت بتحقيق الرجاء قمين
ولكننى ماذا أرجى ولم يدع　　لى الدهر الا مهجة ستحين
ثقلت بأعباء الهموم وهضنى　　مسالك عيش كلهن حزون
وما نظمى الأشعار إلا علالة　　لو ان سلوا بالقريض يكون
وما هى إلا برهة ثم ينثنى　　يكر مضيض فى الحشا وحنين
فصبراً طويلا انما هى رقدة　　وتذهلنى عما لقيت منون
وصبراً جميلا يا سمير ففى غد　　تسليك عن سحر الجفون جفون
تهيم بهذى ثم تسلو بغيرها　　ويصبيك من بعد الجبين جبين
فوطن على السلوان نفسك إننى　　خبير بأدواء القلوب طبين
ستعلم أن العيش حلم وأننا　　نيام ولو مد الرقاد سنون
وأنا كأهل الكهف نصحو ومانعى　　فتيلا ولو أن الرقاد قرون
كأن لم يمر السعد والنحس بالفتى　　ولا كر بيض فى الزمان وجون
ويركد صرف الدهر حتى كأنما　　له أجل تعدو عليه منون

---

(١) يمين أى يكذب .

الإنسانُ وَالغرُور

أقم وادعاً واصبر على الضيم والأذى ... فانك إنسان وجـــدك آدم
وهبك على الدنيا سخطت وظلمها ... أتملك دفع الظلم والظلم لازم ؟
بنى آدم ما للغرور رمى بكم ... مراميه حتّى غدا وهو حاكم
تظنون أن الأرض قد بسطت لكم ... ومن أجلكم تجرى الغمام الروائم
وأن النجوم الزهر علّقنَ زينة ... تقرُّ بها الألحاظ وهى هوائم
فما لكم لا تنظمون نثـــيرها ... فيصبح منها حليكم والتمائم ؟

أشباحُ الماضي على جثةِ الأمسْ

— ١ —

أوشك الأصباح أن يمحو الدجى ورفاتُ الأمس لمَّا تدفن
فاركبوا الريح اركبوها ما عسى صبرنا على النهــــار البيّن ! !
إننا كالليل يُفنينا الضحى ثم نحيا في الظلام المدجــن

— ٢ —

أمطروا الدمع عليه لا النــدى وانثروا الشعر عليه لاالزهوْر
وأجنُّوه وإن كان صــدى فسحة الآباد لا ضيق القبور

— ٣ —

ألوحى قد كان مولود الصباح ينسخ الليل بآيات فصــاح
فاحملوا النعش وشقوا بالرياح كبدَ الليل إلى قــبر الأبد

سحر الحب

أيا ساعة مُلّيت فيها بحسنه ... نشدتك إلا كرّ منك نظائر
وإنى لأدرى أن فى البعد راحة ... لمن تتصبّاه العيون السواحر
ولكننى جربت قربك والنوى ... فما قر لى بال ولا جف حاجر
ولا التذ طعمَ القرب قلبى ولا النوى ... ولا رقدت فى الحالتين الخواطر
وما أنا إلا كالمخادع نفسه ... وقد يخدع النفسَ الفتى وهو شاعر
تمر بنا كالحلم قصر طوله ... لذاذته حتى كأنك طائر
أأهواك أم أقلاك والله إننى ... لأجهل ما تطوى عليه الضمائر
وإنى لتعرونى لمرآك رجفة ... كما انتفض المذعور والخطب فاغر
وإنى لتعرونى لذكرك حنة ... كما حنّ للأهل الغريب المسافر
فأنت جحيمى فى الحياة وجنّتى ... وأنت عدوى والحبيب المؤازر
وأول شىء أنت يجرى بخاطرى ... وآخر شىء أنت يُجريه خاطر
ملأتَ شعابَ النفس حتى كظظتها ... وأخليتها فالنفس صحراء غامر
فواها على عهد السلو وطيبه ... وواها له ما أنّ أو حن ذاكر
حقيبةُ شر ذلك الحب بئس ما ... تحمّلنيه فى الحياة المقادر
أراه على لذاته ونعيمه ... يفاجئنا منه رميض وناعر
وهل تُشتَرى اللذات إلا بضعفها ... من الألم الدامى ومما نحاذر
وما مطلبى سحرُ العيون كأنها ... — إذا لامحت عينى — النجوم الزواهر

ولا نضرة الخد الأسيل كأنما غذته على الدهر الورود النواضر
ولا الثغر إمّا يستدير كأنما تهيّا للتقبيل والشوق ثائر
فقد يحرق اللحظ المضيء ويخنق الأ ريج وترديك الثغور الدوائر
ولكنما أبغي إذا ثار ثائرى فؤاداً أناجيه وعقلا أسامر
وقلباً إليهِ أستريح بدُخلتى وأفضى إليــه بالأسى وأشاور
كما خفقت يوماً على الزهر نحلة وظلت تشاكيه الهوى وتسارر[1]
قضيتُ حياتى بين آثار من مضوا ففى حيثما سرّحت طرفى مقابر[2]
أولئك إخوانى الذين اصطفيتهم وآثرتهم بالود والقلب حائر
فيا بؤس للحى الذى لا يروقه من الناس إلا من تضم الحفائر
أخادع نفسى فيهمُ وأغشها ويخدعنى منهم نصيح وماكر
وما لىَ شغلٌ فيهم غير أنه تُشابه حالى حالهم وتناظر
فيا زائراً أفديه بالنفس لو درى أغثنى وكن عونى إذا خان ناصر
وأدت حيــاتى فى شبابى مكرها وما امتلأت ممـا تحب النواظر
ولكنما بيــنى وبين مواردى حجاز وقد سُدّت علىّ المصادر
فعد لى فإنى لست أملك مذهبى وكن لى فإنى صادق العهد شاكر
وهبنى إذا ما شئت ميتا تزوره أليس لمن يقضى من الناس زائر ؟

---

(١) هذا البيت لشاعر انجليزى لا يحضرنى اسمه .
(٢) يريد الكتب .

الشوكة الجديدة

ياوردة الحسن القديم وشوكة القبح الجديد
كنا وكنتِ فما عدلت ولا ظلمتك بالصدود
قد كنت أهوى أن أراك وأن أشمك كالورود
فيذودنى شوك شرعت شباته دون الخدود
ظلما كما قتل الحسين على ظمًى جند اليزيد
فالآن إذ ذهب الجمال وصوح الزمن الحميد
وسلا الفؤاد فلا حنين ولا بكاء ولا هجود
وارتد طرفى عن ذراك وأقصر الأمل المديد
أُدعى (العزيز المازنى) ولا الُالام على القصيد[1]
ذهب الغرام مع الجمال برغم قولى لا يبيد
ليس الخلود لذى الحياة بل الفناء هو الخلود
ويل لذى الحسن النضير من الزمان وما يكيد
إما استزاد من الجمال أصاب فى القبح المزيد
كاد الزمان لكم كما كدتم لذى القلب العميد
فاهنأ بشعرٍ فى الخدود كأنه السهم السديد
ياجاحداً فضل الإله عليه ويحك من كنود
أشكر له أن صرت ليثاً ساكنا غاب الخدود

١) لهينى بيت شبيه بالشطر الأول ولست أذكره لأرويه .

مخلوق الخيال

توددت لا أنى اليـــك فقــير ... ولا أن بعــداً عن ذراك عسيرُ
ولا تحسبن منحيــك ودى لحاجة ... ولا أن سحراً فى العيون يمور
رويدك ليس الحسن وقفاً عليكم ... وأكثر ما تملى الظنون غرور
وما كل حسن يشعف القلب سحره ... ولا كل ماء نافع وطهور
ولست بمعدوم النظير فتنثنى ... تدل بما منه النظير كثير
كذلك ليس البدر فى الكون واحدا ... فثم شموس غيره وبدور
ولــكننى مثلت للحسن صورة ... وأنت لها دون الأنام نظير
فلا تحسبن أنى لبعــدك موجع ... ولا أن قربى منك فيه سرور
بحسبى حسن صورته خواطرى ... له دون أحناء الضلوع سفور
إذا استوحش القلب الــكليم فإنه ... أنيس إذا عز الأنيس سمير
فان كنت قد فكرت فى الهجر والقلى ... فإنى على غدر الصحاب صبور
ستبقى لــكم منى يد الدهر حنة ... وذلك إفك لو علمت وزور
فــكل نضِ فى الحياة إلى ذوى ... وكل عليــه الدائرات تدور
ستنسينى الأيام ما أنا واجد ... وتعفو كلوم للهوى وبثور
وأنساه حتى لست أذكر ما اسمه ... ويقفر من نور الوداد ضمير
بلى ربما حن الفؤاد اليــكم ... وهاجت بصدرى أنة وزفير
ولــكنها ذكرى تمر وتنقضى ... وتذهلنى عما تثير دهور
كذلك تنسانا وتنسى غرامنا ... إذا ما استرد العاريات معير
ولــكن حسناً بزّ عنك نضير ... وأبدلت منه القبح وهو سطور
ستذكر هذا ما حييت وفى الحشا ... مضيض وفى القلب الكسير سعير

الشاعر المحتضر

فتى مزّق الحب المبرح قلبه ... كما مزّق الظلّ الضياءُ أياديا
قضى نحبه كالمزن فضن مدامعاً ... وخلّفن آثاراً لهن بواديا
ولما دنا منه الحمام ورنّقت ... منيتُه نادى الصفى المصافيا
وكاشفه والعين ينهل ماؤها ... بما كان يخفى من هوى ليس خافيا
وقال وضم الراحتين على يد ... كساها شآبيب الدموع الجواريا
« بقيتَ وبلغت الذى بت راجيا ... وإن كنتُ ما أعطيت منك مراديا
سيسقى الردى قلبي عن الحسن سلوةً ... فلا بتَّ حران الجوانح صاديا
ولاعجبٌ أن يطفئ الموت غلّتى ... ويصبح داءُ العالمين دوائيا
كتمتك حبى خشية الصد والقلى ... وحصّنته حتى رمى بى المراميا
بعدت كماضى الأمس عنى غاية ... وأقرب شيءٍ أنت مثوًى وثاويا
أضرَّ بىَ الكتمان حتى عددتنى ... خليلا من التبريح والوجدِ خاليا
كأنىَ لم أحمل هواك ولم أبت ... أخا شغل يغرى بصدرى القوافيا
كأن قريضى لم تكن أنت سرّه ... وموحى معانيه العذاب البواقيا
مضى ما مضى لم أدر ما لذة الهوى ... ولا ذقتها الا بطرف خياليا
إذا لج بى شوقى قنيت حياتيا ... وظلت تباريح النزاع كما هيا
نجيى الصخورُ الصمّ أركب ظهرها ... وأفرغ فى أذن الظلام شكاتيا
وما بىَ حب الصخر والريح والدجى ... ولكنّ حالات لهن كحاليا
أرى فى أديم الطود عاث برأسه ال ... خرابُ وواراه الضبابٌ مثاليا

وفى الظلمة الطخياء من ظلمة الأسى مشابه تدريها القلوب صواليـــا
إذا الليل واراني اطّرحت الأمانيا وكاد جمود الموت يصبى فؤاديا
وما كنت آبى الموت سهلا مذاقه لو انى إذا استأويته كان آويا
أرى الموتَ ظلّ العيش يبسط تحته فيغشى أدانيه ويخطى الأعاليـــا
ألم تر الأشجار تمتد تحتها الـ ظلال وتكسوالشمس منها النواصيا
فان تحتطب يوما تولِّ ظلالها وما إن يزيل الموت إلا الدياجيا
كذاك حياة الأفضلين فلا تلح إلى الظل وانظر نورها المترّاميا
فيا مرحبا بالموت يثلج بردُه فؤادى وينسينى طويل عنائيا
تموت مع المرء الهموم ولن ترى ككأس الردى من علةالعيش شافيا
ولست على شيء بآسٍ وإننى لأهجرظهر الأرض جذلان راضيا
وما طال عمرى غير أن لواعجا أطلن عنائى فاجتويت مقاميا
أهاب بنا داعى الردى فترحموا وقولوا سقى الله القلوب الظواميا
وقم ودِّع الأرضين عنى فاننى بقيد الردى المحتوم إلا لسانيا
وقل لجبـــال عاريات مخـــوفة تخال مواميهنّ للجـــن واديا
الا أطلقى لى صوته والأغانيا وغذّى بذكراها الشجونَ النواميا
ألم تعِ عنه جنـــةٌ عبقرية فقد كان يغشى مثلهن الفيافيـــا
وكيف تؤدى ما وعاه سماعها وما تحسن الجنان إلا التعاويا
وقل ياعيون الزهر غضى وأطرقى قضى عاشقٌ ، أجلى، العيون الروانيا
لقد كان فى روض الجمال خميلة سقتها دموع الحب لاالطل ساريا
فأعطشتُهـــا حتى تصوّح عودها وألوى بها عصف الرياح سوافيا
لقد أفردته نفسه بين قومه فعاش خيـــالا بينهم مترائيـــا
وما كان إلا قوة أحدقت بها حوائل ضعف أمرها ليس باديا

فعاد وما يسطيع حملاً لساعة   فكيف بأيام حملن لياليـــا
وما كان الا كالسحابة أفردت   وقام بها الرعد المجلجل ناعيا
وما كان إلا موجة قد تحطمت   على ساحل للعيش كم بات راغيا
وماغاله موت ولا هاضه كرى   ولكن غدا من حلم ذا العيش صاحيا(١)
وما مات إلا الموت يا فجر فائتلق   وحول سنـــاء طلك المتلالايا
ولا غاب إلا فى الطبيعة أمه   وقدماً أعارته الضلوع الحوانيا
فقوموا اسمعوا فى هزمة الرعد صوته   وفى سجعة الغريد ما بات شاديا
وفى حيثما تبدو لنا القدرة التى   دعته فلباها ولم يك عاصيا

* * *

أرى عينك اخضلت وعهدى بدمعها   عصيا على ريب النوازل آبيـــا
لقد جل هذا الجفن عن عادة البكى   وقد قل فيض الدمع إن كنت باكيا
تعز ولا ترخص لموتى أدمعاً   أباة على سوم الغرام غواليا
سواء علينا إن طوتنى حفرتى   أبـــكيتنا أم بات قلبك ساليا
بحسبى أنى سوف ألقى حماميا   وأنت إلى جنبى تراعى فنائيا
ولا تحسبوا أنى قنعت تـــكرماً   ولـــكن لأمر ما عقرت الأمانيا »
وردد أنفاسا ترددن برهة   وحشرجن حتى راح ما كان جائياً
فخان الحبيب الصبر فانقض فوقه   ينادى مرماً لا يبالى المناديا
فلما رأى برق الأمانى خلبـــا   غدا يستجير الدمع ما كان جاريا
رأى ما جناه حسنه ودلاله   فقال أيا ويحى لقد صرت جانيا
عدتنى العوادى لم تـــكن بى غباوة   ولـــكننى كنت أمرأ متغابيا

---

(١) هذه الأبيات للشاعر شلي

سواسية من يقتل النفس عامداً ومن يدع التبريح يقتل ظاميا
لبست جمالا من قريضك خالداً ورحت وقد ألبستك الموت ضافيا
وسوغتنى من طيب ذكراك نفحة وسوغتك الآلام والدمع قانيا
لخلفتنى عارى الجمال من التى تزين وكم أمسى وأصبح كاسيا
أعض على الماضى البنان تحسرا وهل ينفعنى اليوم عض بنانيا
لقــد كنت أقسو هازلا ولربما غدا الهزل بابا للشقاء وداعيا
فبئست على طول التفرق رقة أحس بها تذكى على الدهر ناريا
ستبقى ويمضى من علقت وإن تمت فقد يحجب الغيم النجوم الدراريا
وأنك نور تستضىء به الدنا وغيرك ظل سوف يصبح فانيا
وأنك حسن ليس يبلى وغيره وديعة دهر يسترد العواريا
فيا آخذاً من دهره بنصيبه هنيئاً لك المجد الذى ليس ذاويا
وانى لأستسقيك كل دجــنة وان كنت أحرى أن تبل فؤاديا

خواطِر الظلام

أغرقتُ في بحر الأسى الأجذالا ولففت في أكفانها الآمالا
ونزلت في وادي الهوى متفيئاً للموت ظلاً ينسخ الآجالا
كسف الجوى شمسَ الحياة فأظلمت وأعاد زاخر لجّها أوشالا
عصفت بنا نوبُ الليالي عصفة تركتْ حياتي بعدها أطلالها
وتجايشت لججُ الزمان بصدره وتصوّبت سيلاً إليّ عضالا
فرعيتُ من دهري زماناً موبئاً يُجنى السمومَ ويُنبت الأهوالا

*

يا شمس من يُحيي الليالي ساهراً ما بال ضوئك بارداً جفّالا
يرخي الظلامُ سدوله فتعينه وترى العيونَ سواده القتّالا
ما أنت إلا كاللذاذات التي جرّت عليها الأعصرُ الأذيالا
لَيضيئنا الماضي ولكن لا ترى لِشعاعه حرًّا ولا إشعالا

*

خلع الحمامُ على الظلام سكونه فكأنما همد الوجودُ كلالا
وتكنّف الدنيا سكونٌ ناطق ملء الصدور مهابة وجلالا
وكأنما هذي السماء تزينها زهرُ النجوم الفاتنات جمالا
سترٌ على الأكوان أسدله الهوى لمّا غفتْ وأفاضه سربالا
خلق الإله الكونَ أروع منظراً وأجلَّ تصويراً وأبدع حالا

وكسا وجوهَ الأرض روضاً ضاحكاً ... حاك الرَّبابُ ثيــابه وأطالا
وحبا الطيورَ الصادحات وكورَها ... بين الرياض الوارفات ظلالا
وأقرَّ في قاع البحار قطينَها ... والدودَ في جوف الثرى الجوَّالا(١)
واختصَّ آدم بالشقاء ونسلَه ... وحبـــاهم الآلام والآمالا

*

يا أم ذي الدنيا ولستِ شبيهة ... بالله ربِّ المخطئين تعالى(٢)
ما تطلبين صلاتنا وصيامنـــا ... أو تنكرين جحودنا الأفضالا
سيَّان عنـــدكِ حافظٌ ومضيِّعٌ ... والمحسنون ومن أساء فعالا
كلٌّ يلوذ بظل عطفك دائباً ... بُوركت من أم تفيض كمالا
وكرمت حتى لست تدرين الهوى ... والبغـــض والأطماع والأوجالا
سبحانها عمـــا يُحس بنو الردى ... فلقـــد حماك جلالُك الأشغالا

*

ستثور عاصفـــةُ الليالي ثورة ... تجلو الشكوكَ وتدفع الإشكالا
وتدق فوق خرائب الأديان نا ... قوسَ الردى وتحيلها أغفالا(٣)
وترد للمســلوب حقاً بزّه ... إياه من منّى النفوس ضلالا
يا أم ذي الدنيا فلا تأسيْ على ... ما كان من جهل وإن يك طالا

---

(١) الجوال وصف للدود .
(٢) أم ذي الدنيا المراد بها الطبيعة .
(٣) المراد الأديان البائدة ومعنى البيت الثاني أن الأيام سترد الناس إلى الطبيعة .

عزاء الشعراء

سيعرقنى يأسى ويغلبنى ضنى يغذ بنفسى للبوار ويوجف
فلا تنفسوا شعراً على مفوفا له لو علمتم جانب متخوف
كما نظمت هذى الرياح نمائما لها من غروب الشمس وشى مطرف
يهددها مما يضم ممزق ومما يوشيها مذيب ومتلف
لنا الله من قوم نذيب نفوسنا ويجنى سوانا ما نشور ونقطف
ويصدر عنا الناس ريا قلوبهم ونحن عطاش بينهم نتلهف
نذوق شقـاء العيش دون نعيمه على أننا بالعيش أدرى وأعرف
ولـكنه ما أخطأتنا لذاذة إذا بلغ السوءل القريض المثقف
إذا هو سرى عن لهيف مفجع وآنس قلبـاً موحشاً يتشوف
فما نحفل الدنيا إذا جل ظلمها ونحن من الأيام والعيش ننصف

زهرة الشر
أو
الحب

يا زهرة النحس والشقاء ووردة الكرب والهموم
تنفح أنفاسك المنايا وطىٌّ أنداثك السموم
ترود من حولك الأفاعى مطرورة الناب للنعيم
العيش رمسٌ وأنت دودٌ يا فرحة الدود بالرميم

* * *

يصدأ منها النهار حتى نخاله ليلنا البهيم
والليل من وقعها كثيف فكيف ينجاب أو يريم
لا يخصب الظنُّ حيث تنمو فالنفس من شرّها عقيم
تترك دون الحشا عراكا كما التقت بالقنا الخصوم
فان تكسّرنَ فى فؤاد أودى الذى يُضمر الحزيم
كأنما تثار الليالى من الصبا وهو لا يدوم
توقد دون الضلوع ناراً طعامها النفس والجسوم
يا بؤس للحب كيف يُجنى من جنَّة الحسن ذى الجحيم!
يا بؤس للناس هل تغنّوا بالبغض لو يحمد الذميم!
وليس فى البغض ما يعنّى وخطبُه ليس بالجسيم!

محاسبة النفس

أضعت شبابى بين حلم وغفلة ... وأنفقت عمرى فى الأمانى الكواذب
ولم يبق لى شىء وقد فاتنى الصبا ... وأدبر مثل السهم عن قوس ضارب
تعود الغصون الصفر خضراً وريفة ... مرنحة بعد الذوى والمعاطب
وليس لما يمضى من العمر مرجع ... ولا فرصة فاتت لها كر آيب
بلى زاد فى علمى وفهمى وفطنتى ... وحلمى أن جربت بعض التجارب
ولكن فى عزمى فلولا كثيرة ... تغادرنى فى العيش طوع الجواذب
وما خير علم فى الحياة وفطنة ... إذا حال ضعف العزم دون المطالب
كان لنا عمرين ، عمراً نريقه ؛ ... وآخر مذخوراً لنا فى المغايب
ألا ليت عمر المرء يرفى كثوبه ... ويرقع منه جانب بعد جانب



لقديم الصبوات

أينعي يا زاهراتي   لقديم الصبوات
لم تزل ذكرى ليالي   العذاب السالفات
حية بالذهن قد تبعث   مسك النفحات
حين أهديت مثيلا   تلك في حسن شيات
لوضيء الصفحات   لؤلؤي البسمات
يوسفي القسمات   نرجسي اللحظات
صمد الدهر إليه   وهو وعر السطوات
ما عسى طاقة ذي الحسن   بماضي العزمات
فذوي الحسن ولما   يذو حب الذاويات
يا زهور الشعر لا خنت   زهور الوجنات
إن يكن أخلق حسن   كان وحي الحسنات
فقديماً كان غضاً   سحري النسمات
وقديماً جادك الحسن   بطل الضحكات
أينعي فوق ذواه   واحفظي عهد السقاه

عظة المحبوب

ألا عُدْ إلى العهد الذى كنت أحمدُ ... ولا تتركنّى فى العذاب أخلّدُ
هجرتك لا أنى سلوت هواكمُ ... ولكنما أخشى الذى بت أعبد
أحبك لكنى أخافك والهوى ... مخوفٌ وبعض الشر فى الخير يوجد
على أنه سيان قربك والنوى ... إذا لم يكن لى منكُم متــودد
يضاحكك الإخوان أنساً وغبطة ... فتلهو ويبكينى الأسى والتوجد
فكيف ملامى لاهياً لا يُحِسُّنا ... وأنّى على ما يوجع القلبَ مسْعِدُ
وهل نافعى أنى كتومٌ وأنّنى ... عيوف وأنّى صابرٌ متجلــد
ألا فى سبيل الله ليل سهرته ... ودمعى على الخدين سلك منضّد
سميرىَ وسواسى وصحبى خواطرٌ ... حوالك مثل الليل أو هى أسود
أخاف عليك الناس أن يلهجوا بنا ... وأكتم حتى عنك سرّى وأبعد
وهوّنَ عندى ما أعانى من الجوى ... يقينىَ أن البعد أحجى وأرشد
وكيف أرجّى منك بلاً لغلتى ... وصدرى على السر المبرح موصد
تفجّر بحرٌ بيننــا متزاخر ... تظل المنايا فيه تُرغى وتُرعد
أخاف علىَّ الهولَ إمّا ركبتُه ... وتجذبنى نفسى إليه وتورد
فأقبلُ والآمال فيك كثــيرة ... وأعرض والأهوال للنفس رُصّدُ
وأخشى الكرى إذ كل حلم مروِّع ... وأخشى الردى إذ كل شيء مهدد
خلّت بك عنى الملهياتُ وإن تكن ... عطوفاً تصافى كل من يتــودد
تصادحُ أطيار القلوب سوى الذى ... له صدحةٌ تُعيى الورى وتَغرُّدُ

ومثل نسيم الصبح أنت سماحة ... يقبّل ما يبـدو له ويبردُ
ألم تر للأزهار كيف زواؤها ... وكيف غداً يجنى عليها التورّد
يروقك منها حسنها غير أنها ... تصوّح إن أمست تقلبها اليد
كذلك تذوى بعد حين فلا تكن ... لكل طاوبٍ غايةً ليس تبعد
ولا تمنح الود امرءا ليس أهله ... فما كل ماءٍ لامع الوجه مورد



عبث الحياة وباطلها

إلى شكرى

تبغى حيـــاة لا تحس صروفها   وتذمّ طول تصوّبٍ وتصعُّدِ
لهفى عليك وقد تخالجك الأسى   وعلىَّ من خلق الهموم الأوغد
إنا كلينا واجدٌ متجـــلد   يخطو إلى الغايات خطو مقيّد
وكأنمـــا كتب الزمان حياتَنا   بدمٍ كحاشية الظلام الأربد
وكأنّ أسطرها لشدَّةِ هولِ ما   يحوين مرهوب الضلال الشرد
قد كنتُ أؤمن بالحياة وطيبها   فى ظل أيام الشباب الأبرد
فاليوم أكفر بالنعيم كأننى   أعمى يضل بمـــا به قد يهتدى
وأمدّ للدنيـــا يدا مبتورة   وأزلّ حيث ثبَتُّ عثْرَ مُصعِّد
وأروح أجنى الشوك غير مقلم   ولكم قطفتُ جَنَى الغصون الميّد
عادت لياليها خريفاً كلها   لهفى على ورق المنى المتبدد
ما خيرُ عيشٍ صوَّحَتْ أفنانه   وتساقطت أوراقهن على يدى
لكأنّ مَنْ شَمَّلَ الوجود بعدله   ما إنْ يبالينا كأنْ لم نوجد
ماذا يفيد تسخّطى وتبرّمى   بالعيش أم ماذا يفيد تجلدى
فارددْ على مكروهها النفسَ التى   ماتت وأنفاسٌ لها لم تخمد
واقْرِ الهمومَ إذا حضَرْنَ قوافيا   تنسيك ثقلَ ظلالهنّ الرُّكَّدِ
كالطفل يصرخ فى الظلام لعله   ينسى مخاوفه إذا لم تطرد

حلم الشباب(١)

لنجيّ الهم يجتاب الكرى   ملك ما طف حتى نزحا

* * *

حلم كان ولا كالحلم
يصل اللذات لى بالألم
كأغاريد الهوى المنصرم
ما رأت غرته شمس ضحى   ليته أمهل حتى يصبحا

* * *

حدثتنى النفس لما أن بدا
كنجوم الليل وضاح السنى
بربيع غرد حلو الجنى
حاكه الحظ على قد المنى   فكأنى كنت شمت البرحا

* * *

صوّحت ريحانتى الريحُ السموم
لم يقبل ثغرها خد النسيم
لا ولم تدر ابتسامات النعيم

---

(١) قيلت فى رثاء ابنة لى .

ورعاها الموت طوبى للردى ربح الصفقة منى — ربحا

* * *

إيه ياريحانة القلب الشجى
نورى فى روضة النور الوضى
وانفحينا بشذاك السرمدى
إننى أسلمت نفسى للأسى أجلكِ العمر وعفت الفرحا



الشاعر

يرى من ستور الغيب حتى كأنما يطالع فى سفر جليل المراقم
له خاطر يقظان ليس بنائم يجيش بأصداف اللآلى الكرائم
صقيل كخد الصبح سمح كنوره نقى كصوب العارض المتراكم
وروح كأن الكون من فرط رُحبها بها — قطرة فى زاخر متلاطم
ولحظ كأن البرق ريش سهامه يضىء حواشى كل أغبر قاتم
ولفظ كضوء الشمس فى مثل سيرها يسح بفيض العقل سح الغمائم
كأن رياضاً فى مثانى حروفه أرجن بأنفاس الثغور البواسم
يحمل خفاق النسيم حديثه ويركبه ظهر الرياح الهواجم
فتجريه فى أفواف كل خميلة وتنشده بين الربى والمخارم
وتلقيه أنداء على الزهر سحرة وتوحيه سجعاً فى صدور الحمائم
وترسله فى الجو صرخة آيس يجاوبها قصف الرعود الغواشم
وتطلعه فجراً على الناس واضحاً يريهم سبيل الحق بادى المعالم
وما الشعر إلا صرخة طال حبسها يرن صداها فى القلوب الكواتم
يرقرق أنداء العزاء على الأسى ويضرم طوراً خامدات العزائم

* * *

فيا روضة الحب التى طلها ندى الجمال ووشاها بنور المباسم
دعينى أنشق فى ظلالك عرفه فان حياتى ملوه للخياشم
وإن شفائى عبرة لو هرقتها ولكن جفنى كالبطون العقائم
فان لم (يغنّن) الله فيك بسجعة شقيت بجهات العيون الظوالم
وفى الشعر للمفؤود سلوى وإنه ليغنيه عن صوب الدموع السواجم

إلى العقّاد

عباس أقصتك عن خلصانك الدار ... وأذهلتك عن الأحياء آثار
أذكر فديتك عهداً دوحه خضل ... مليته زمناً إذ أنت لى جار
كنا سماء وكان الود أنجمها ... فما دجى أفق أو ثار إعصار
وكان يسرى هلال الحب فى أفق ... هالاته فيه إعظام وإكبار
فزر أخاك على بعد بقافية ... كالطل تحيا به فى الروض أزهار
إنى وإن بتت الأيام وصلتنا ... بجمحة الشوق والتحنان زوار



إلى صَدِيق

يحييك الفؤاد على التنائى ... كما يومى إلى القوم الغريق
أرقع بعدكم أثواب عيشى ... وكنت ونسجها بكم صفيق
وكنت أظننى طباً فلما ... وليت الداء أعيتنى الخروق
وكنت إذا تمطى بى ظلام ... أقول لكل غاربة شروق
فصرت أهاب ضوء الشمس حتى ... كأن عروقه الليل الغسوق
فهل لى عندكم شوق كشوقى ... كأن القلب منه به حريق
ودادى ناشىء فاحنن عليه ... كما يحنو على الطفل الشفيق
بأخلاق كعهديها رقاق ... يضيق بها الزمان ولا تضيق
ولا تسلمه للأيام إنى ... أرى الأيام ديدنها العقوق
وصنه فى حجاب القلب مثلى ... يظل له بقلبينا علوق

أنشودة الشتاء

قد ذهب الحول بالربيع وبالصحو		وجـــاء الشتاء مرهوبا
فأى أصواتك القدائم يا قلب		أناجى بهـــا الشـــآبيبا
وما انتفاعى باللحن أبعثه		وليس من يسمع التطاريبا
أين ، وهل ينفع اللهيف أسى		يزيد وجـــه الحياة تطبيبا
غلائل قد نثرتها بيـــدى		عن نور عيشى وعدت مسلوبا
أنا الذى كنت لو تصدقنى		أكون شيئاً فى الدهر محسوباً
فصيرتنى الخطوب زافرة		كما أثار الزمّار أنبوبا
أعجب للحظ هل مقسّمه		أراده ويلنـــا أعاجيبـــا
أجزل من سهمة الرجاء لنـــا		فـــكل شىء نراه مطلوبا
لـــكنه قد أخس قدرتنـــا		يا ليت ما شاء كان مقلوبا
غنى أمانٍ وفقر مقدرة		فلن ينـــال الفؤاد مرغوبا

الأسافل والأعالى

سأهدل كالحمائم فى رياض من الأحلام وارفة الظلال
وأصدح لا أبالى هل أصاخت لى الأرواح أم صم الرمال
ولست بخافض صوتى لأنى أرى الأسماع سكت عن مقالى
كفى الغريد لذة ما تغنى من الحسن المصور والجلال
ولم آسى على قوم أسفت بهم أحلامهم دون النعال
سيورق يا خليلى كل غصن سقاه الظامئون إلى الكمال
غصون بدائع من نبع صدق كريم الأصل محمود الأوالى
ستؤتى كلها يوماً وتشدو على أفنانها طير الليالى
وهل شجراتنا إلا فروع نماها خير أصل فى الخوالى
فطر فى ظلها كالنحل واجمع بها ما اسطعت من شهد حلال
وأيقن أن سيذكرنا زمان سننسيه الأسافل بالأعالى

مناجاة الحسن

حثًّا شرابهما فى ظل حسّان   رياه ريحاننا فى مجلس الحان
ريا الحبيب ولا شىء كنفحته   وهنا يهيج أطرابى وأشجانى
حثّا شرابهما حتى رأيتهما   لا يسمعان وإن كانا يقولان
هما أثيران علانى على ظمأ   وبالشراب على سرى يغوصان
ويضحكان إذا ما الخمر رنحنى   دوارها واستوى سرى وإعلانى
ويعجبان لنسجى الزور أجعله   ذريعة لطرير الحسن غيسانى
ويحسبانى مجاناً كلاهما   لم يعرفا سخر أشجان وأحزان

. . . .

. . . .

يكاد يأكله باللحظ مبصره   لو يستطيع رنوا لحظ ولهان
ولفظه السحر إلا أنه كلم   ولحظه الخلد إلا أنه جانى
وجه مضىء من الفردوس مخرجه   ملء النواظر من حسن وإحسان
وقال صف ليلتى هذى مجملها   نفسى فداؤك من راج ومنان
أهبت بالشعر فاستفتحت مغلقه   كنجمة الصبح تحدو نوره ألوانى
ولو وكلت إلى نفسى عييت بها   لكن دعوت فما أعيا بتبيان
سقيا ورعيا لها من ليلة سلفت   عادت رطابا بها أعواد أغصانى
إذ ماعبى الناس ألهو غير محتشم   بأرجل منهم طراً وأذقان

سقيتنى الحب إذ نحسو على مهل	ألذ ما يتحساه حبيبان
وظلت ترشقنى باللحظ عن عرض	فأتقيك بأغضاءات غفلان
وأصرف الفـــكر عنكم بالمزاح عسى	أفىء يوما إلى رشدى ورجحانى
وأدعى أن ضنثى سالبي رشدى	كيما ألهى الحشا عن حسن مفتان
وياسمين شممنـــاه مناقلة	نشقته ونشقت الحسن فى آن
كنا وكنت كسحب بينها قمر	فزقت شملنا أرواح غيران
أو كالضياء رمى نجم وشائعه	من بين أوراق أغصان وأفنان
راحت ليالى النوى أوتار عيدانى	يالهف نفسى على جنكى وعيدانى
يا ليلة لى منه لست ذاكرها	ألا استهلت بصوب اللدمع أجفانى
بعد السلو تعود القلب صبوته	ياليت ما عاد منها كان أخطانى
كم ليلة بعدها كابدتها سهراً	وكل هم بها لى منه زوجان
كالبحر حين تهب الريح عاصفة ،	صدرى ، وتخبط بطنانا بظهران
يا موقد النار فى قلبى وتاركها	تكوى حشاى وتوهى صرح بنيانى
حتى غدوت وألفاظى لها وقدٌ	كأنما هى من أحشاء بركان
برد بقربك نيرانى فإن لها	شباً كأن له تخبيط شيطان
عجلت بالهجر يا موفى على أملى	ويا سقامى ووسواسى وشغلانى
وليلتان هما لى منك واحدة	عفواً وأخرى على وعد ونشدان
أليلتان جزائى منك أجلهما	بعدٌ على حسرات إثر إحسان
مسافة البيت لا شهر ولا سنة	لـــكن دقائق تعدو ذات أمعان
أ إن دعوتك للرعيا فلا عجل	وإن دعوت إلى مطل فلا وانى
تحدث الناس عما فيك من حسن	هيهات ذاك لقلب الواله العانى
يا جنة العين ما للأرض ملبسة	سوابغا من سدى هم وأحزان

يا روضة من رياض الحسن فاتنة ... تموج باليانع النائى وبالدانى
فيك الشقائق للجانى تميل على ... طرائف من أقاح وسط ريحان
ونرجس فوقهـــا يسطو بلحظته ... على فؤاد طويل البث قرحان
قد كان ظنى أنى قد ملأت يدى ... هيهات ذاك حرمنا أى حرمان
أتم طيباً وحسناً منك ما نظرت ... عينى ولا سمعت فى الدهر آذانى
ولا أتم أسى منى ولا كمدا ... يا صاعقى بجمال ما له ثان
ياحسن كم من أخى حسن كلفت به ... قد سار سيرك فى صد وهجران
لما برمت به فارقته جذلا ... وكف دمعى عن سح وتهتان
لـــكن أبت ذاك أيات لحسنك لم ... تترك سوى سبل إقرار وإذعان
أهون عليك بمفتون وشقوته ... إذا لهوت بأكباد وأذهان



الأزاهير الميّتة

أجل، فى حياتى الطرف تبصر رسومها ... دوائرَ عفتّها الليالى الدوائرُ
تولت ليالى السعد وهى حميدة ... وجاءت ليالٍ بالنحوس مواقر
وأصبحت والآمال حولى ذوابلٌ ... تساقطُ أوراق لها وأزاهر
يشاهقها البرق المضىء عشية ... وتهفو بها الأرواح وهى ثوائر
وعُرِّيَتِ الأفنان من ورق الصبا ... وعافت ذَرَاها الصادحات الطوائر
فما ينتحيها غير غربان شقوة ... لهن نعيقٌ فوقها متطاير
فأين زهور الحب يا طول حسرتى ؟ ... وأين أزاهير الشباب النواضرُ
وأين أزاهير السرور كأنها ... تحيى الفتى والعمر قينان ناضر
وأين أزهير القناعة والرضى ؟ ... دهتها صروف بالسموم قواطر
وأين زهور الصبر والأمن والمنى ؟ ... زوتها عن العين الهموم الزواخر
طواها زمان ليس ينشر ماطوى ... فلن تجتليها يالهيف النواظر
وعابت فغاب الأمن والخير كله ... ودارت على رَوْق الحياة الدوائر
ثوت حيث لا شمسٌ ترد حياتها ... إليها ولا صوب الغمائم ناصر
أفى كل يوم زهرة لىَ غضة ... تموت فأبكيها ودهرىَ ساخر
تساقطُ أزهارُ الحياة على يدى ... وقلبىَ مقروحٌ وصدرىَ واغر
كأن وباءً عاث فيها فلم تكد ... تنوّر حتى أعجلتها المقادر
ولا خير فى عيش إذا كان مجدبا ... بواطنه مصفرة والظواهر
إذا مرَّ بى يوم حميد ، وربما ... تبسّم فى الليل النجوم الزواهر

تلفّت حولى باحثاً عن شبيبتى ... وأزهارها والدمع فى الجفن حائر
تَقطّعُ أحشائى إذا ما افتقدتّها ... ويضرم أنفاسى الحنين المخامر
وبيضاءَ من زهر العفاف فقدتّها ... وبالرغم منى أن قلبىَ ذاكر(١)
فغيّبها قبرُ الفؤاد وجادها ... بصيّبه جفنٌ على الدهر ماطر
بكينا عليها حقبة ثم ردّنا ... إلى الصبر دهرٌ بالملمّات زاجر
وما عجبٌ أنّ المنايا علقنَها ... وكرَّ عليها والدهر جائر
وكيف أرجى أن تدوم وقد مضت ... بأندادها عندى المنايا البواكر
وإن محالا أن تدوم وحيدة ... وإن سفاها ما تريق المحاجر
وإنّ ضلالا ندبُ ما ليس راجعاً ... وإنّ عناءً ما تجن الضمائر
سيمضى وان طال الزمان بى الردى ... وتذهلنى عما افتقدت المقابر



(١) المراد ببيضاء من زهر العفاف ابنة لى ماتت .

زهرة الصخر

آنستني بالأمل المغــرى ... يا مُوحشى بالنظر الشزْرِ
أعوذ من ذكريك بالصبر ... وأين منّى راحةُ الصبر
يا نجمَ أرضى يا سماء الهوى ... تُومض فيها أنجم السحر
خواطرى السوداءُ مغروسة ... فى الذهن ، كالسرحة ، والصدر
تسودّ منها الشمس رَأْدَ الضحى ... فالعيش ليلٌ سابغ السّتر
مالى أرى كفىَ مملــوءة ... من كل ما أكره من دهرى
لكنها خالية ممــا عسى ... يحــلى مذاقَ الألم المرّ
يا مُجرىَ النهــر إلى البحر ... ومُسقط الطلّ على الزهر
وجامعا بين الثرى والحيا ... عند التياح الأرض للقطر
وناظماً فى خيط هذا الدجى ... عقودَ هذى الأنجم الزهر
وواهبَ الموجة صدرَ اختها ... والأغصـــــنَ الميّس للطير
أطفئْ بماء القرب جمرَ الهوى ... وزَوّج الحسن من الشِّــعر
لا غرقَ السّاعات فى قبلة ... من خدّه الواضح والثغر
ما ذا ترى يمنعنى قربه ... لو أنّ فى العالم من يدرى
أبيننـــا بحرٌ يردّ الخُطى ... أم تقذف النيرانُ بالجمر
أم سُدّت الأرضُ فلا وجهةٌ ... أم حال ظلّ الموت أن نسرى ؟
أينقضى العمرُ وما صافحت ... عينـــاى عينيه بلا ذعر

ولا جرى فى مسمعى صوتُه ... جَرىَ نمير الماء فى الغُدر
ولا تخطَّيتُ ولو ظلَّـه ... فما انتفاعى اليومَ بالعمر ؟
حتَّى الكرى يُبديه لى مبهماً ... كالزهر فى أكمامه الخضر
أو حاجب الشمس إذا ما بدا ... بين غمامٍ ؛ دَنِف الذَّر
كأنمـــا الأحلام أستاره ... تصرف عنه نظر الفكر
أدعوه فى الأحلام حلو الجنى ... على سبيل الهزْءِ والسخر
وقد أناديه ، وما أفترى ، ... يا زهرةً صيغت من الصخر
وربمـــا سمَّيته باسمه ... كأنمـا لا شك فى الأمر
إن كنتَ حقّاً حُلُماً ساحراً ... فهـل ترى أحلم بالهجر
وبالأسى والحـــرُقات التى ... ما أطفأتهـــا عبرة تجرى
راح على عطفىَ ثوبُ الأسى ... مُحلولك المِجول والصدر
وآدنى ثِقل الهـوى إنه ... حقيبةٌ ملأى من الشر
وعمّق الأحزانَ أنى أرى ... نفسىَ فى مثل دجى القـبر
يا ليت للـزفرة روحاً إذا ... أصعدتُها تكشف عن سرى
لا غايةٌ لى أتعزّى بهـــا ... حيناً ولا أقنع بالذكر
هو المنى أو أن لى حيلةً ... آهِ عـلى ملتمسى الوعر
يا ملءَ عيـنى وفؤادى أما ... تَنَفّسُ البلجةُ فى الفجر
ذكرك نسكٌ لىَ تحت الدجى ... فأين محـــرابىَ واحرّى !
وأين لا أين بَخور الهـوى ... أنفـاسك القُطريّة النّشر
يا ربُّ إنى حافلٌ أمـرَهُ ... ولا أراه حافلا أمـــرى
لم تقض لى منه سوى حبّه ... وذا قضـاءٌ بيِّنُ الجور
فازدحم القلبُ باحبـابه ... مثـ ازدحام الرأس بالشِّعر

فليتني كان لحبي صدًى يُبيته مني على ذكر
ياشقوةَ العاشق أمسى وما يحسّه المعشوقُ أو يدرى
وهل يفيد الصب أن يشتكي في شعره طورا وفي النثر
كأنني إذ أتشكّى الهوى محدّثٌ نفسيَ في الجهر
إنْ هيَ إلاّ أسطرٌ قلما يعبرها واضيعةَ الشعر[1]
دفنت فيها كل ما مرّ بي وهل لما يُدفن من نشر
ما أضأل الآمال زاداً وما أخونَها في موقف النصر
من زاحف الأيام في جيشها فبالطلى كَرّ على البُتر
ومن أبى غيرَ المنى حيلةً أسلمه الحظّ إلى العثر



(١) يعبر أى يقرأ .

إكليل الشوك (١)

أجوب فيافى العيش سدمان حائراً ... ومالى من لفح الزمان مقيل
لقد طال بى التسيار حتى أملنى ... ولو أن ألوان السماء شكول
يسوّد شجوى كل ما أنا مبصر ... فكل سناء قد عراه ذبول
يقيدنى ثقل الهموم إلى الثرى ... فليس إلى السعى الجليل سبيل
كنسر يريد النهض لا يستطيعه ... وهيهات منه والجناح ثقيل
وليل كأن الموت أرخى ظلاله ... عليه فتامور الظلام قتيل
إذا عن فيه البرق كالخيط أبصرت ... غياهبه الألحاظ كيف تصول
وإن هبت الأرواح من رقداتها ... حسبت الدنا جذت لهن أصول
تجسم لى وهمى به فحسبتنى ... أرى حلماً تنهار منه عقول
كأن الربيع الطلق جاد بنفسه ... وغال قوى هذى الطبيعة غول
فلا الصبح مرجو ولا الليل منته ... ولا للنفوس الحائرات دليل
وأبصرت روضاً هائج النبت كظه ... وجلله شوك عليه طويل
تناولت منه شوكة ولففتها ... لرأسى إكليلا وذاك جهول
فظل يضج الناس إذ يبصروننى ... ويضحك منى عالم وجهول
ويلتف حولى صبية يعبثون بى ... ويغضى حياء صاحب وخليل
مضيت فلم أنهر صبياً مرهقاً ... ولم أحفل الشباب كيف تقول
وفى أذنى صوت ندى يحثنى ... يميد بعطفى حسنه ويميل
أشق به هذا الأنام كأنهم ... وما أطنبوا فيه الغداة فضول

(١) فكرة تكليل الرأس بالشوك فى الحلم للشاعر تنسون فيما أظن على إنى راجعت ديوانه فلم أعثر بها إما لورودها فى غضون قصائده الطويلة أو لأنى لم أستطع التدقيق فى البحث مع كثرة الشواغل . وقد أكون مخطئاً فى نسبتها إليه .

الموتُ ثمرة الحياة

في رثاء صديقنا المرحوم محمد أفندي عبد الرحيم .

أناديك لو رد النداء رميم وأبكيك لو أجدى عليك سجيم
وهل يحفل الميت الذى غاله الردى سلاه خليل أم بكاه حميم
وياليت لى دمعاً عليك أريقه ولكن جفنى يا أخىّ عقيم
سأبكى عليك الناس حتى تخالهم يتامى دهاهم يوم بنت عظيم
وماذا يفيد الميت فى القبر قد ثوى دموع على الأيام ليس تدوم
وهبها على الأيام سحت غمائما أيرجع ميتاً صوبها فيقوم
وكيف أجازى طيب عهدك بالبكى ولو أن عينى بالدماء سجوم
فبعداً لهذا العيش بعد فراقكم فليس لعيش بنت عنه نعيم
ولا مرحباً بالدار لست قطينها ولو أن آجر البناء نجوم
عرفتك والأيام بيض حميدة فصرت وأيامى لبعدك شيم
كأنا الألى متنا ، وهل يألم الردى سوى الحى لا الفانى فذاك سليم
وليس غبين القوم من غاله الردى ولكن من يخطيه فهو مقيم
ولو خير الأموات ما اختار واحد حياة ، ولا قال الحمام ذميم
يروع الفتى ذكر الحمام ووقعه ويرتاع من ذكر الحياة رميم
خلقنا وما ندرى لأية غاية ، على الموت منا هجمة وقدوم
وكل إمرىء فى العيش طالب غاية ومن خلفه هذا الحمام غريم
فيا شقوة الإنسان يجنيه سعيه ثمار الردى المنشوء وهو نعيم

ولم أر مثل العيش أزهاره الردى ولا عاصفا كالموت وهو نسيم
كذبتك لم أجزع عليك وقد رمى فؤادك من نبل القضاء ظلوم
نجوت من الدنيا نجاء نفسته عليك ولو أن الفراق أليم
تمر الليالى لا تحس صروفهـا فياليتنى فى الهالـكين قديم
كأنك ما مادت بعطفيك فرحة ولا جشأت دون الضلوع هموم
ولم تك فى الدنيا لقلبى مطربا ولا صرت خطبا ضاق عنه خريم
كأنك ما دبت بك الرجل مرة لمـأرب عيش تبتغى وتروم
كأنك ما آذاك بـــرد ولا لظى ولا كرّ من بعد النهار بهيم
ولا أطرف الخلان فى سامر لهم فصيح ولا عاطى السلاف نديم
كأنك لم تخلق سوى أن أكبدا ذواكر تفريها عليك غموم
سقيت الردى فى ميعة العمر والصبا وأوكى على مافى العياب أثيم
فيا ويح للأنسان يحيا وينقضى كأن لم تورثه الحياة رؤوم
وما نحن الا الهاجمون على الردى فنفس الفتى عون له وخصيم
وكل إمرىء يحدوه للموت حينه وللموت جذب لو فطنت وخيم
وما أحد باق وسوف يضمنا وإياك بطن الأرض وهى جسوم
وما كان ظنى أن يقدمنى الردى عليك ولـكن الزمان لئيم

وحشة الحياة

تلاقيتُ والدنيا لقــاء لفرقة — وبالرغم من أنفي اللقا والتفرقُ
وعُرِّيتُ من أهلي صبيا فلم أذق — حنان أب يَرعى عليّ ويشفق
فما مصعدٌ في شاهقات من الذرى — بأكثر مني وحشة وهو مُعنق
فصادقتُ نفسي في الحياة كما خلا — بمــزماره راع أملَّته أينق
أوازن بين الخير والشر تارة — وهيهات ! أعياني بظني التعلق
وما بيَ من ذل ولا عجرفية — ولا أنا أخشى كيف كنت وأفرق
وإني لأدرى أن للعمر نهجه — وأن حياة المرء ثوب سيخلق
ولو أنني خُيِّرتُ ما اخترت لبسه — ولا شــاقني تحبيره والتنوّق
ولو أن نفسي خُيِّرتْ في طلابها — لكان لها فوق الحياة مُحلّق
وما أزدرى أبنــاء آدم إنّ بي — حقارتهم والندّ بالنــد ألحق

الطفولة

رعى الله أيام الطفولة إنها على جهلها أحلى وأهنأ ماليا
ليالى أظن الكون إرثى وأننى أعير النجوم الزهر نور بهائياً
وأحسب بطن الأرض واليم والدجى مثاوى للجن المخوف خوافيا
أفيض على ما تأخذ العين جرمه وأفضى إليه بالشعور ، حباتنا
إذا أذيت نفسى صرخت ولم أبل وداويت نفسى فى الأسى ببكائيا
وما كنت أدرى الهم كيف مذاقه ولا كان شيء عازبا عن رجائيا
ولا كنت أكسو النفس ثوب مخاوفى وأزعجها من حيث تنشى الأمانيا
يضاحك ثغرى كل ثغر توددا ويبدى حنانا من يرانى شاكيا
ويلفى بى الناس السرور كانما برا الله من كل القلوب فؤاديا
ولى سهمة من كل لهو كأنما تبارى الورى أن يبلغونى مراديا
فيارب أوزعنى على ما سلبتنى وأبدلتنى ، صبراً يوازى مصابيا
فقد بزت الأيام عنى مطاريا وقد هدمت أيدى الخطوب بنائيا
وأغرقنى فى لجة بعد لجة من اليأس دهر لا يبالى بلائيا
ويوشك أن يخبو شهاب شبيبته إذا ما خبا لم يلف فى الدهر واريا
وأثقلنى همى وأقعدنى فما أصعد طرفى مرة فى سمائيا
بليت كما تبلى الطلول وهل ترى على عنت الأيام يا قلب ناجيا

عالم الكرى وعالم اليقظة

قد وجدت السهد أهدى للأسى　　　ووجدت النوم أشجى للحشى

شد ما يظلمنا الدهر أفى　　　يقظة دنيا وأخرى فى الـكرى

ويل هذا القلب من صرفهما　　　لا الـكرى أمن ولا السهد حمى

الردى — إن كان لا منجى — الردى　　　إنه للنفس غوث ونجـا

إن للأحلام أمًّا طرقت　　　نفساً مرا ودمعاً ولظى

كم غدا الخاطر فى يقظته　　　حاملا منها كأجبال الصفا

كم غدونا نشتكى من بعدها　　　نغرة الجرح الذى كان أوى

[illegible] طرقت عيشنا فيما مضى　　　فهى بعض ما طوى منا البلى !

أتقيها والـكرى يقذف بى　　　وأغض الطرف والقلب يرى

[illegible] عذبت أو ملحت　　　حرقة الصدر نصيبى وال[illegible]

[illegible] قلنا نسينا قدحت　　　من دماء القلب نيران الأسى

[illegible]　　　[illegible] النفس [illegible]

[illegible] النوم [illegible]　　　[illegible]

أبنات النوم تسطو [illegible]　　　[illegible]

[illegible]

إلى رجل يشتمنا

رفقاً بنفسك إنّني رجلٌ لا بغض في قلبي لمن جهلوا
حسنٌ بكراهةٍ في تبادلها لا أن يبوءَ بثقلها رجلُ
فاقلْ الذين إذا تلبّستهمُ أضنى نفوسهمُ بك الشغلُ
إنّي لآنفُ أنْ أسفّ الى أمرٍ سيعقبني له خجلُ

إلى مُدِلّ بجماله

يا قمراً لا يعرف الأفولا
كلُّ سنيّ لابدّ أن يحولا
ووردةً لم تعهدِ أن يحولا
مَلاّكِ ربّي عُمْرَكِ القليلا
أهوِنْ بخطب يَهَبُ البديلا
ما أكثر الورد كما قد قيلا

اللحظ المصروف

يا صارفاً لحظه عني على عجل
أما تراني أهلاً أن تراعيني

قسمت لحظك بين اثنين مختبل
وهائم بسواكم غير مغبون

أولاهما من أذاب الحب منطقه
وهو القدير على شرح وتبيين

أردد إليّ لحاظاً قوتها أبدا
حب بعيني باد غير مدفون

تبصر جمالك في عينيّ مرتسما
وقد ترى الدمع يخفيه إلى حين

وأجر في مسمعي صوتاً نعمت به
يكاد يذهل عن عقل وعن دين

إخاله إذ يسكّ السمع ليّنُه
ألحانَ قلبي وقد باتت تناغيني

إلى صدقي (١)

ايه عبد الرحمن أذكيت جمرا حيث قدّرت أن ستفرغ صبرا
أجد الدمع بعد نصحك أجرى فكأن التعذال للدمع أغرى
لست أبكي لفقدها علم الله وإن كانت المصيبة بكرا
وهي بعضي فان بكيتُ فعذر لأب ضاق بالرزية صدرا
غير أن الهموم يفصح عنها الدمع كالزند كلما لُزّ أورى
ليس بدعا على ترقى الرزايا أن تبيت الشؤون أعظم غزرا
حذّقتني الأيام ألحانَ حزن فنظمتُ الدموع للناس شعرا
وبرغمي سحّت سحاتب دمعي وبكرهي عصيت للصبر أمرا
أرمضتني الخطوبُ في فدفد العيـ ـش ولم ألف غير دمعيَ قطرا
ما على من راخت قواه البلايا من ملام إنْ لم تجده مُمَرّاً
خلق الجفن للدموع مجازا لا سجونا لفيضهن وقبرا
فدع اللوم يا خليلي فإني بي كبر أن أمنع الدمع كبرا
ليس هينا عليّ أن فئت فردا أشتكي وحشة وآلم بترا
وعظيم عليّ قولك إني واجد بعدها بديلا أغرا
لهفتي للفتاة في وحشة القبر تعاني فيــه السكون المرا
أبدا لا تزال تغشى ضميري حسرات تصول طردا وكرا
ودموع عليك مسفوحة الوبل تزيد الفؤاد وقدا وحرا
فاذهبي كالربيع ولي وأبقى أثراً بيننا وإن كان ذكرا

(١) هو صديقنا الشاعر الفاضل عبدالرحمن افندى صدقى وهذه القصيدة رد على قصيدة له يعزيني بها عن ابنة لى ماتت .

الشِعْـرُ وَالرّيح

صلاتى لربى الصمت فى معبد الدجى لمن عرشه نور الجلال الموطّف
ولــكننى بالشعر يهضب مقولى ويعرض منى جانبا ليس يكشف
وأسكب فى أذن الزمان مواجدى وإن كانت الأضلاع منها تقصف
فلا تلح شعرى إنه الريح مرة تقر وأخرى لاتنى تتعجرف
وتلفحنا منها السموم وتارة يباديك منها جربياء وحرجف
وتزفر أحياناً وترقد مثلهــا كذاك لشعرى سورة وتألف

فى الرثاء

قصيدة قلتها فى نفسى على لسان آخر وسألت صاحباً لى أن يرثينى بمثلها

ـصى عمر مأسوف عليه من الورى   فتى غره فى العيش نظم القصائد
فقد كان كذاباً وكان منافقا   وكان لئيم الطبع نزر المحامد
وكان جبان النفس كالناس كلهم   جباناً قليل الخير جم الحقائد
وقد كان مجنوناً تضاحكه المنى   وفى ريقها سم الصلال الشوارد
فعاش وما واساه فى العيش واحد   ومات ولم يحفل به غير واحد
و . . الدنيا على رغم أنفه   وراح على كره الأمانى الشوارد
أراد خلود الذكر فى الأرض ضلة   فأورده النسيان مر الموارد
ولم . . د مات إلا أجيرة   لها زفرة لولا اللهى لم تصاعد
فلا . . يروى يوم ولى ترابه   وكيف يروى تربه غير واجد
فلا تندبوه إنه ليس بالأسى   حقيقاً ولا أهل الهموم العوائد
وخلوه للديدان تأكل لحمه   وذاك لعمرى خطب كل البوائد
ولا تهجوا الديدان بالندب إنها   هدىً لمن تطويه سود الملاحد
وقوموا ارقصوا قدفاز بالموت موجع   بلى ربما كان الردى خير ضامد

في العتاب

أين تلك العـــهود وافقن آمالى ... وأخلفن بعد ذاك الظنونا
أين لا أين موثق ويمين ... رحم الله موثقا ويمينا
ضقت ذرعاً فإن تطق فأعنى ... أو فعنى فما أريد معينـــا
فلعل الزمان ينجـــز وعداً ... منه إن الزمان كان قمينا
أمل إن قضاه لى الله يوماً ... لا يجدنا لشكره جاحدينا
ولعل القنوط أحجى بمن لم ... ير منكم على الوفاء ضمينا
يا خليلى وآثر العذر واعلم ... أن للوجد سورة وجنونا
وعزيز علىّ لوميك لــكن ... كبر الحب أن يظل غبينا

الغزال الأعمى (١)

« جواباً على أبيات لصديقي الشاعر الجليل عبد الرحمن أفندي شكري يشكو فيها إلى هماً »

معيني على الأيام لاعت جوانحي ... شكاتك حتى ما أكاد أبين
وما أنا خير منك حالا وإنما ... أعالج ما ألقى عساه يهون
تتبع آثار الزمان نوازل ... يموت ويحيي إثرهن يقين
تغير آراء الفتى نكباته ... كأن الفتى في كفهن عجين
فيا قرب ما يعدو على الرأي غيره ... وسرعان ما تبلى الظنون شجون
وأوجع ما ألقاه في العيش حيرة ... كغزال سوء أعوزته عيون
وإني لأدري أن للخيط مذهبا ... وإن كنت لا أدريه كيف يكون
وإني لأدري أن العيش مطلبا ... ولـكن غايات الحياة فنون
ولا علم لي ما اسم الذي أنا غازل ... ولا نفعه لو أن ذاك يبين
أتاني من لم أطلع قبل طلعه ... وقال وألقى الخيط وهو ركين
عليك به فاغزله إنك أكمه ... وما لك إلا شمأل ويمين
ولـكنني قد يخطئ الخيط أصبعي ... وتطلبه كفاي وهو شطون
فأعلم أن الريح ثارت وأنني ... إذا لم يعني الله سوف أحين
ولـكنه أين المفر من الذي ... أخاف ومالي في الحياة عيون

(١) لا أذكر من أين أخذت فكرة الغزال الأعمى والأغلب أنها ليست لأحد من الشعراء الكبار .

ليلة

يا أخلاى مرحبـا وسـلاما نعم ليل يضمنا فى نظام
بين كأس وإخوة ونعمّا ليـلة بين إخوة ومدام
جاء هذا الربيع طلقا وجئتم مثله بعد طول عهـد الغمام
فسقى الأرض ريها وسقيتم مهجتى ريها على الأيام
فرياض من الربيع حوال ورياض من ودنا البسام
ولعمرى لولاكم ما عبأنا برياض مفـترة الأكمـام
ورياض الربيع خضر ولكن أنتم وردها الزكى الشمام
قد يشم الصديق من نفحة الإخـ ـوان ما لا يشم قطر الرهام
أنتم إخوتى ربيعى لا ذاك فما للزمان طول مقام
لن يفوت الربيع عيشى ما أصـ فيتم الود أو رعيتم ذمامى
جمعتنا مودة فلبسنا ثوبها ضافيا على الأجسام
ليـلتى هذه جدير سناها أن يشوق الفؤاد للإظلام
والليـالى إذا أتتك بإحسا ن وطيب أطمعن فى الإنعام
فلتـكن كرة إلى مثل هذا بعد أيام فـترة وجمام
عندى الليـل والنهار سـواء حين تبدون فى سواد الظلام
ولـئن عدت إننى لشكور أنشر الشكر فى القوافى الـكرام
فاغتنم ذلك اللسان فإن الـ ـملك للألسن الفصاح الـكلام

العقل والموت

ترى ينسخ الأصباح من ظلمة القبر ... ويكسر برد الموت محيي من الحر
أما هاتف يرثى ... سس يقيمها ... ويقعدها قولى لها الدهر لا أدرى
إذا التام بطن الأرض ...وما على الفتى ... أيخطو الحمام العقل أم هو يصرع
وكيف تواري ... مستطيلة ... على حين ما ضاقت به الأرض أجمع

الليل والهمّ

قمر يحلم فى ...ج السما ... باهت اللألاء من طول السهد(١)
ساكن يسخر منــ كلما ... قام بالقلب حنين وقعد
ما أضل القلب بالليل وما ... أضرب الوجد عليه بالسدد
ينفد الليــل وإن طال وما ... لعباب الهم ذى اللج نفد (٢)

---

(١) السهد: [illegible] النوم .
(٢) نفد: [illegible] .

الضميرُ

قد أفعل الشيء لا أبغي به أملا   ولا أبالي الورى ما ذا يقولونا
همي ضميرى فان أرضيته فعلى   رأى العباد سلام المستخفّيا

الملاّح المسحُور

أصبحت كالملاح صافح عينه   ملء النواظر من رواء باهر
سحرته من حور البحار خريدة   حرب النهى فغدا بغير مناصر
فمضى وقد ألهته عما يتقى   من صخرة تردى ويم زاخر
بيناه يرمقها تعالت حوله   لجج على لجج كطود سائر

مخاوف النفس

أقلى الدنا وأخاف فرقتها لشقيت بين المقت والزؤد
وأهاب نفسى أن تــكشف لى وأبيت من أمسى على ضمد
ويروعنى يأسى ويفزعنى أملى وأفرق من لقاء غد
ولرب جوهرة ظفرت بها فنفضت منها كف مرتعد
ورجعت أنظر هل بها أثر منها يظل يهيض من جلدى



حصاد عيش

يا حسن واحسرتا على غرر   جودتها فيك بل على سور
أبليت فيك الصبا وجدته   والعمر عهد الشباب والصغر
يا ناطق الحسن من لعاشقه   بمنطق كالجمال مختصر
يا ضاحك الثغر من لعابسه   بمثل سح الغمائم الهمر
ياناعم البال إن كاسفه   موصول خيط الرجاء بالذكر
يا ساكن النفس إن ثائرها   مضناك قد صار ميت الخبر
أقعده الهم عن مراغبه   كالنسر هاضته رعشة الكبر
أنفاسه زفرة مقطعة   كأنما لد أصيب بالبهر
يظل فى فحمة الدجى أبدا   يرسل حيران رائد الفكر
كيف سعت بى إليكم قدمى   لو نال ردا مسائل القدر
ترى تريه الأحلام عاشقه   مزدهف الـ بين الصور
يا ليتنى فى الكرى أخوض له الغيب   وأطوى مسافة الهجر
يطلع طيفى كالفجر ممعلتا   من الدجى فى غلائل السحر
أقول قد جاءك المعذب فى اليقظة   والنوم وفى كل مدة العمر ! !
يا زهرة الحسن ما لنفحتها   تخطئنا دون شائك الأبر
أييس للوجد والأسى أمد   فكل شىء أراه ذا عمر
يا ثانى العطف بعض زهوك إن   العيش ورد مرنق الصدر
أهون بشىء يلفه كفن   وينطوى فى اب والمدر

أدمية أنت لا ه بها لضل باغي الحياة في الصور
لا عجب أن تكون دا عنف يا لين الحسن يا حا الحور
النفس مثل الحياة معترك تسطو بها أنعم على أخر

* *

يا سنة غالها الزمان وما غالت سوانا حوائل العصر
ليت زمانا مضى تودعنا همومه العائدات بالذكر
أوليت ينسى الفتى حوادثه جمعاء حادى الروحت والبكر
يستدبر الحول غير ذاكره مستقبلا غيره بلا حذر
حتى كأن لم يكن ولا طرق ألد هر ذراه بالصعه والكدر
خلى غبار الأسى لنا ومضى عام بغير الأ لم يدر
مهنئ بالجديد من زمنى خلفني العام عدى وطر
خلفني متعباً أئز من البر ح ولا أستقر من ضجرى
مغرورق العين غير فائضها ما أوجع الدمع غير منهمر
منتفضاً لا أزال ألتمس الشمس وهيهات لا سوى القرر
حصاد عيشى الهشيم أسفى على الرطيب الرفيف من شجرى
ذلك فهل لى فى مقبل عوض من مدبر الأذاء منحسر
ينشر لى لذتى كما ينشر الصيف بعيد شتاء والمطر
فتمرح النفس فى رياض هوى حوافل بالثمر والزهر
وتسعد القلب زهرة أنف أغنى الصبا حد عن الدرر

* * *

هات اسقنى يا . واظمأى حتى ترانى سيف مذكرى

إن أغانى الأسى وإن حسنت   أرضية يا نديم فاقتصر
أرجعننا صبية مواجدنا   منطقنا صرخة من الحور
نلتمس النور كل ملتمس   هيهات والحظ جد معتكر
هل كان ما مر من لذائذنا   كما زعمناه طيب مختبر
ينبوع صفو النهار مزدحم   رقراقه بالظلام كالخزر
لـكنما الوهم صيقل صنع   يحيل لمع الزجاج كالدرر
والمرء أعلى بما مضى نظراً ،   لبعده أو لحاضر الغير
لكنّ صدر الفتى يجيش فما   يُسعد كالشعر غير معتسر
كما احتبى بالهشيم ذو عدم   لم يُلف إلاّهُ فى الدجى الخصر

* * *

ذهنىَ محراب حسنكم وبه   صورتكم دون سائر البشر
وخاطرى لاينى يرتّل كالرا   هب آيات حسنك العطر
لأبنينْ مذبحاً واجعل قر   بانى فؤادى وما انقضى وطرى
إذا خبتْ ناره وقصتُ لها   عودَ المنى ،فهو غير ذى ثمر
فاقبل فؤادى لحسن وجهك قر   باناً فقد كان خير مُدَّخرى

محمّد وعزّوز
أوْ
الموسيان

عبّاسُ إن ابنيَ لى مفزعٌ   من وحشة العيش ومن نكره *
يؤنسنى فى وحشتى هذرُه   فلا عدمتُ الأنس من هذره
ووثبُه بين ألاعيبـــه   وكلها أكــبر من قدره
وضربه هذا وتقبيل ذا   وكلهــم ساعٍ إلى بزه
وصده طوراً وإقبــاله   وليس ما يدعو إلى غدره
يركب ظهرى غير مستغفر   حُبُبٌ به طفلا على كِبره !!
مستهتَرٌ لا يتـــقى قالةً   ولا يبالى الناس من فجره
لكنه فاعلم فتى طيـع   يبرّنى حقّىَ من شكره
يلثم كفى كل يوم ولا   يضنّ بالقبلة من ثغره
أبلغ إلى عزّوز أطرابه   وشكره المدفونَ فى صدره
وقل له إن فتى مازن   يدعوك عزّوزُ إلى مصره
أيهمـــا بالله يا صاحبى   أجمل إذ يخطو إلى عثره
ومن ترى يا صاحبى منهما   بالسامرى أشبه فى أمره

---

* عزوز ابن أخت صديقنا العقاد ومحمد ابن صاحب الديوان وهذه القصيدة رد على تحية عزوز المنشورة فى الجزء الأول من ديوان العقاد والموسيان موسى السامرى وموسى بن عمران .

رباه جبريل على دينه   وشب مطويًّا على غيره
ولم يمده طول تسبيحه   في سر طورا وفي جهره
ولم يغير ذاك من نجره   ولا أحال الفرع عن جذره
لما غدا موسى إلى ربه   أضل إسرائيل من فوره
وجاءهم بالعجل مستحقراً   أحلامهم يضحك في سره
ومن ترى موسى الكليم الذي   رباه فرعون على كفره
رباه فرعون فما راعه   إلا نبي في فتى بره
يدعو إلى الله ورضوانه   ويرعد الجبار في قصره ؟ ؟

* * *

لا مال أخشى منه إتلافه   عيش في المقبل من عمره
ولا أباليه إذا ما غدا   يزهو في عيش وفي وفره
يعدو على الناس بسوءاته   ولا يصيب الناس من خيره
ولست أخشى أن أراه فتى   قد وسع عالم من شره
لكنما أشفق يا صاحبي   من أن يجيش الشعر في صدره
من يشتري شعري على حبه   براحة الغافل عن دهره
من يشتري تغريدتي موهنا   بغطة الذاهل عن فجره
من يشتري دمعا يحس الفتى   بجولته لا الفيض من قطره
من يشتري نفساً وآلامها   بثقلة المأفوك في فكره
من يشتري هذا سوى مائق   يسعى برجليه إلى ضره ؟؟

يا أم

يا أم لا تجزعي مما يداهمنا   من الخطوب ولا تأسى لما فاتا
تمضي المقادير فينا الحكم عادلة   ويقسم الله أرزاقا وأقواتا
وكل ضائقة تعرو إلى فرج   وإن لليسر مثل العسر ميقاتاً
ضي الذي يرتجي تأخير قسمته   قد مات كالكبش اسماعيل قد ماتا[1]

(١) إفتدى اسماعيل بن ابراهيم بالكبش فتأخرت بذلك منيته و لكنها وافته مع هذا .

الميّت الحيّ

أرسلت إلى صديقنا المرحوم محمد أفندى عبد الرحيم وقد دعانى إلى الدخول فى جمعية «أنصار التمثيل» .

ما تصنعون بفنان مات أكثره وجف من عوده المنآد أنضره
إذا نظرت إلى كادى شبيبته أعطاك كنز عظات فيه منظره
كأنه جثة لم تلف دافنها أو أنه جدث يمشى وتنكره
فاعذر أخاك ولا تنكر تخلفه لا يعرف الجرحُ إلا حين تسبره
نعامَ عينٍ شقيق النفس لو نصرت أخاك حال ولكن ليس تنصره

الجزء الثالث

هذا الجزء يشمل الشعر الذى لم يسبق طبعه فى حياة الشاعر رحمه الله ، قدمه إلى لجنة الشعر أخوه المرحوم الأستاذ أحمد عبدالقادر المازنى وتولى مراجعته وضبطه وتفسيره .

محمود عماد

العضو بلجنة الشعر

معاهدة غرامية

أيها القارىء :

نحن طلاب جديد ، مبدعون حتى فى سياسة الحب ، فلست بواجد هنا ما يتغنى به الناس من الوفاء والبقاء على العهد ، لأنهما مما تأباه الطبيعة . والمرء إذا أحب يبدأ بمخادعة نفسه ، ومغالطة ...به ، ثم ينتهى بمخادعة غيره .

والوفاء فى حياة القلب ، كالثبات على رأى واحد فى حياة العقل – كلاهما ليس إلا اعترافاً بالإخفاق ، وإن فى الو... لو تدبرت لشيئاً فى شهوة الملك . وما أكثر ما نود أن نرميه لولا خوفنا أن يلتقطه سوانا ... كثيراً ما يكون الوفاء راجعاً إلى نقص الخيال أو كسل العادة .

ولقد غبر زمن ... نحسب أنفسنا فيه أوفياء ، ونتوهم مثل ذلك فيمن اتصلت أسبابنا بأسبابهم . أما الآن ... ...حنا واسترحنا ، وإليك المعاهدة وديباجتها :

غنى يا ريح حتى تغمضى ... أعين الفكر عساه أن ينامْ

وامسحى وجهى وتَغْضينَ الأسَى ... واطردى عنى شياطينَ المنامْ

* * *

إنّ فى ذنى أعاصيرَ الشتاءْ ... وبقلبى وحشة البيد القِواءْ(١)

تصِفُ العَيْنُ إذا قلبتُها ... كل شىء لىَ فى أسر الشقاء

* * *

فكأنى سامع شكوى الكلالِ ... فى خرير الماء جيّاش الضميرْ

وكأنى ناظرٌ قَيْدَ الليالى ... حول أعضاد الرواسى كالسيور

* * *

أسمعُ الزهرَ وإن كان قتيلا ... يندب الحسنَ بأشجى منطقِ

---

(٢) القواء الخالية .

وسعته الريح تنكيلا وبيلا فقضى والحسن لمـا يخلق

* * *

ولقد أسمعُ فى الليل البهيم ضجةَ الموتى وأبنـاءِ الجحيم

وكهمس الموت فى أذن الكليم خطرةُ الريح على النبت الوشيم

* * *

يا خليليّ اخبرانى واصدقا هل لليل اليأس صبح ينتظر

مرّ بى الدهر عبوساً أزرقا كاشفاً عن ناب نضناض ذكر(١)

* * *

هذه كفى على خون العهود ! لا على الرعْى — فهذا لا يكون

إنهـا دنيا كِذابٍ وجحود ولصدقُ النفس أولى لو يهون

* * *

هذه كفى على وشك الملال كل نار سوف يعلوها رماد

آهِ لو أسطيع تصديق الخيال أو يكون الجهل شيئاً يستفاد !

* * *

هذه كفى على أن أصطلى بلك ناراً دونها نار سـقر

وإذا لوّحتنى تـترع لى كأس مُهل فى عتيقات القدر

* * *

نقّلَتى السّهد عليها والضَنَى ورياحِينَ — لو تدرى — الهموم

شجّها الدهر بمحذور النوى فنوازيهـا خبّال ووجوم

* * *

(١) النضناض الثعبان .

وكأنى بهذه المعايب والمظاهر الخادعة من لوازم الحياة ، والشر بعد لا ينفى الخير ، بل قد ينتج هذا ذاك ، فان مما لا شبهة فيه ولا ريب ، أن النفس الإنسانية ليست كخزانة الكتب ترى فيها الفضائل والرذائل مرصوفة مرتبة لا تعدو واحدة مكانها ولا تتجاوزه إلى سواه ، وإنما هى ميدان لتلاقيها وتلاحمها ، وعالم صغير تتصادم فيه الغرائز والملكات وتقتتل على الحياة والبقاء كما يحترب الناس فى هذا العالم الكبير ويتنازعون البقاء فيما بينهم ، وبحر تتسرب فيه الطبائع بعضها فى خلال بعض كما تتسرب الموجة فى خلال الموجة وتغيب .

ولكن جمهور الناس وعامتهم لا يفقهون شيئاً من ذلك وهم إنما يقدرون الرجل بما يبدو لهم منه فى فعاله أو كلامه ، إذ كانوا لا يستطيعون أن يوفقوا بين مظاهر الشر والخير ولا يعلمون أن السكير مثلا قد يكون أصح مبادىء ممن لا يعاقر الخمر ولا ينى عن التسبيح فى السر والعلانية ، ولست أريد أن أدفع عمن يتنزى إلى المقابح ويتسور إلى المعايب ، وإنما أريد أن أقول أن القارىء ينبغى أن ينظر من شعر الشاعر إلى نفسه وأن يتلمس من معاريض كلامه ويستشف من وراء لفظه ، نصيبه من صحة الإدراك الأخلاقى ، وأن يجعل ما يستبين له من ذلك مقياساً للشاعر لا ما يقرؤه من ذكر الخمر والتشبيب وغير ذلك .

وبعد فان القراء لا ريب ينتظرون منا كلمة فيما قيل عنا من انتحال معانى شعراء الغرب ، والأغارة على قصائدهم وادعائها . ولقد كنا نحب أن نغضى عن هذه التهم اكتفاء بأظهار الجزء الثانى من ديواننا ؛ فأنه وحده خير رد على ما رمينا به ، ولكن الضجة التى قامت حول هذا الموضوع والشماتة الحقيرة التى لم يخفها قتلى المذهب العتيق ، لا تجعلان السكوت من الحزامة فى شىء ، ولقد كان الأنصاف ألا يلام غيرى إذا صح ما نسب إلى ، ولكن الناس تجاوزونى إلى غيرى ، واتهموا سواى قياساً على ! وإن كنت لم أرم أحداً ممن

اللِص

لمن مال تبعثره أكف   تعودن السؤال على الدهور ؟
لحاك الله من لص رقيع   يفاخر ـالعضيهة والفجور
وسبحان الذى آتاك مالا   وعلمك اـ . فى الحرير
وأسكنك البيوت وكنت قدما   مبيتك خلف ـواب القصور
ورثت خصاصة وأصبت مالا   فـــكيف ظفرت ـال الوفير ؟(١)
أتذكر حين كان أبوك يمشى   وما فى كفه شـ نقير ؟
يدلل يومه فى السوق طوراً   وطوراً فى الأزقه الـــكفور
ويوقر ظهره مولاه حتى   كأن أباك كان من الحمير !
فذا البيت الذى تبنى عليه   وأهون دائه ضعة العشير
وليس بقابل رفعا فدعه   وكن منه على يأس كبير
فما كل الأسافل ساعدتهم   سجايا اللؤم والأصل الحقير
وإن سيادة السوقىّ ـ فاعلم ـ   كمركب ثعلب ظهر النسور
وإنك كالنعامة ليس ترجى   لمنفعة وإن تلك كالعبـ
وأشبهت الطيور ولست منها   لعمرك فى قليل أو كثير
وتحسب أنها إما تعاشت   فكل الناس ذو نظر حسير

---

(١) الخصاصة الفقر .

لقد زعموك إنسانا وإنى ... أرى الذلانَ يغضب فى أمور[1]
وقد تجد الملوك لها حياءً ... تدانى فيه ربات الخدور
وقالوا لا يزايله ابتسام ... وليس المرء تمثال الصخور
فهلا علقوه على جدار ... وحفوه بأنذال العصور ؟
فكان عل صنوف الخزى رمزاً ... وعنواناً كأصبعك المشير ؟
أترجو أن تعد فتى شريفا ؟ ... فهذا حين تطوى فى القبور
لأوحشت السجون وإن فيها ... لدورا جمة من فوق دور
أتأنفها منازل كان فيها ... أخ لك ليس أضرى بالشرور ؟
نظارِ فإن حكم العدل يوماً ... مصيرك للخبيث من المصير[2]
إذاً تلقى جزاءك بعد مطل ... ويسلمك القضاء إلى الغفور
فكل رزق العباد وكن صبورا ... [illegible] المقالة والنكير
وكل ما شئت من لحم غريض ... هنيئاً [illegible] فى الصدور[3]
ألا فابعث إلى أبويك طرا ... بألوا[illegible] والقتير[4]

(١) الذلان الدليل .
(٢) نظار انتظر .
(٣) غريض [illegible]
[illegible]خة الشواء والبيت يشير إلى عقوقه أبويه .

خواطر في الموت

لا يكاد يصدق المرء أنه سيموت ، أو على الأصح أنه سيفقد إحساسه بنفسه وبما حوله ، وهو معنى الموت . وقد كنت فى صدر أيامى أكاد أجن كلما طاف بى خاطر الموت ، أو سلك سمعى لفظه ، ولكن الأيام كفيلة بتبليد النفس بما تجشمها من معاناة تصاريفها ، وبما تشعرها من دبيب الفناء شيئاً فشيئاً . والآن صرت أفكر فى الموت كما أفكر فى أكلة شهية : لا فزع ولا جنون ، وكل ما أنقمه من الحياة والموت جميعاً أنى سأموت قبل كثيرين غيرى ، وقبل أجيال عديدة ستأتى بعدى ! ! وكل ما يحيرنى هو استمرار هذه الحياة ، التى أعيانى طلاب معنى لها ، أو فائدة أو غرض ، وهى ستنتهى على أى حال ، فما ضر لو قضت « الحياة » نحبها الآن فى عهدى ؟

فى هذه الحالة النفسية ترجمت بيتين ، ونظمت قصيدتين : فليقرأها القارىء فى ضوء هذه الحالة أو فى ظلامها !

١ — ليتها .... ! !

بيتان مترجمان عن الألمانية :

أيهـــا الزائر قبرى   إتْلُ ماخُطَّ أمامَكْ !
هاهنا — فاعلم — عظامى   ليتها كانت عظامَكْ !

* * *

٢ — الذكر

يملُّ الفتى طول الحياةِ ولايُرَى   على الموت إلا ساخطاً جدَّ واجدِ
ويَطلبُ إما مات أن يَنصبوا له   معالِمَ تستجدى دُموعَ الخرائد
وتُبدِى جراحاتِ الردى وكلومَه   وتَستَمنِحُ الأحياء ذكر البوائد
وينسج بردَ الشعر مسهر جفنه   ليسبى حريم الذكر حر القصائد

بلى ذاك دأبُ الناس كل بنفسه ... يعرفنا من صادر بعد وارد
وديدنهم حتى تجفّ حياتنا ... وتخلع ديباج الربيـع المعـاود
ويسكُن نبض الأرض مثل قطينها ... وتعلق أسبابُ الرَّدى بالفراقد

٣ – النساجون الثلاثة :

ثلاثة نساجيـن ثمَّ أراهموا ... كما راءهم من قبل عهدىَ آدم(١)
تعاقبُ أيديهم على النول دهرهم ... ولستُ أراه غير أنىَ عالِمُ
ومابى إلى أن تُبصر العينُ حاجة ... أليس سوى ما أنت بالعين شائم
هنالك لو تدرى تُسدّى أكفّهم ... وتُلحم بُرْدا عهـده متقادم
هناك ؟؟ وما قولى هناك ؟ كأنما ... لحيث أقاموا حده والمعـالم ؟
وفى مسمعى منهم وإن كنت لاأرى ... وجوههم – أصواتُهم والزمازم
يحوكون ثوباً ناصعاً فيه تنطوى ... – متى عُريت – هذى الدنا والعوالم
من البردِ الخزِّىِّ بعض خيوطه ... ومن بلوَّرَاتِ القُرِّ فيـه نمانمُ
ومن نفس الريح المديد خطوطه ... ومن قطع السحب الثقال مراقم
ألا ليتنى فى الأرض آخر أهلها ... فأشهد هذا السَّحبَ يقضيه عالم (٢)

(١ و ٢) راءهم رآهم . وآدم وعالم قافيتان فتح ما قبل الآخر فيهما والوجه التزام الكسر أسوة بسائر قوافى القصيدة .

إلى صديق

تهنئة بانقضا ...

أهنئك بالعيد لا أنني ... العيد أروح من غيره
كفى فرحاً أن عاما مضى ... لقى المرء فى كره
... ت القلوب إذا ما انقضى ... ـيب وتعرض عن ذكره
... ى الدهر ما فات لا ينثنى ... الخوالج فى إثره
... ـوت الزمان ولكنما تعيش الهموم على قبره
وأقعدنى عنك أنى مريض أعاتب دهرى على سخره
فهل أنت قابل عذر أمرىء يود التبرء من عذره ؟



فى رثاء بنت لى

هى قصيدة قديمة ترجع إلى أخريات ١٩١٣ م ، وقد ضاعت نسختها ، ولا أذكر منها ، غير هذين البيتين :

فقدتك لم تعلق بذهنك صورة ورب صغير رزؤه كالأشايب
تقنصك المقدار منى غرة وأقلع عنك الموت دامى المخالب



غـدًا

غداً تطلع الشمس التي أترقب ... وينجاب ليل لم يقد فيه كوكب
وتصبح مني قيد لحظي بعد ما ... تقاذف ما بيني وبينك سبسب
فيافي زمان ظلت أشبر طولها ... ومالي سوى رمضائها متقلب
مقيلي آمالي وهن لوافح ... ونجمي ذكرى نورها ليس يلهب
إذا أقفرت الدنيا رأيت خواطري ... تسوّد ما يبدو بها وتغيب
وما أنا بالتسويد مغرى وإنما ... أطير غبار العيش عني وأسكب
ورائي أيام خلعت بياضها ... وظلت دياجيها معي حيث أذهب
لقد أخمدت جرى الحوادث وانثنت ... تذرى رمادي كل ريح توثب
وما تضحك الدنيا انبساطا وإنما ... لنحسن تقدير الأسى إذ تقطب

* * *

ألفت النوى حتى أراني إذا دنا ... أصدق قلبي تارة وأكذب
وتخدعني الآلام حتى إخالني ... سلوت — وتلهوبي الشجون وتلعب
ويغضبني حبي وأرضى احتماله ... ويا لشقائي حين أرضى وأغضب !
وأجرى لساني مفصحاً ثم أنثني ... فأعجم ما أعني وقد كدت أعرب
غرائب حالات تظل صروفها ... بنفسي تطفو تارة ثم ترسب

* * *

غداً تلتقي الألحاظ بعد شرودها ... وأنشد ما جودت فيك وتطرب
وترنو بعين يلثم السكون لحظها ... يقربها القلب المعنى المعذب

وأنشق أنفاساً بفى حاجة لها فمنه لها أهل وسهل ومرحب[1]
وتمنح كفى راحتيك موأتيا وترخى عنان الشوق طورا وتجذب

* * *

سأشدو ! ومن يدرى إذا كف صادح أيدوى بآذان الحبيب التطرب[2]
إذا ما عيينا بالقريض وصوغه أتعطفك الذكرى علينا وتحدب ؟
وياليت من يدرى أتضحك لاهيا إذا أطبق الدهر الشفاه وتغرب ؟
ويلمع فى عينيك نور عهدته إذا ضم جفنيَّ الردى المتوثب ؟

* * *

غداً تشرق الشمس التى كنت أرقب فياليت شعري فى غد كيف تغرب

---

(۱) هكذا ورد البيت فى الأصل .
(۲) الفعل دوى يدوى بتشديد الواو .

خواطر الأرق

ملل النفس

سطت على الجفن بناتُ السهادْ فاستلبتْه غُمضَه والرقادْ
فليتها إذ سلبتنى الكرى أغفت ولم تسهر لهذا الفؤاد !
يا عجباً من سارق زاهد لا يحفل الكنز الذى قد أفاد !
ليلان : ليلٌ صبحهُ يُرْتجَى وليلُ نفس ما له من نفاد
ألِفْتُ وجه الليل من طول ما أخلو بنفسى فيه دون العباد
ولم يعد للصبح من رونَق فى العين إذ يخلع عنى السواد
فى النفس جرح عزنى بروه تُخْفِى الدياجى دمه كالضماد

* * *

قد كنت حَيَّ الحِس يقظانه فالآن ما أبلد هذا الجماد ! !
تمــر بى الأيام لا آسِفا لِكرْهَا أو راغباً فى ازدياد
لو كنت ما كنتُ قديماً ؟ ؟ إذاً هشّم رأسى نطحهُ للصلاد !
عينىَ ملت كلَّ ذى نضرة يأتيه من قبلِ الحصادِ الحصادْ
وملّتْ الأذن افتراءَ المنى وضربَها الآفاق دون المراد
وملّتْ النفس أغانى الأسى ولوْبَها حول الأحاظى البعاد[1]

---

(١) اللوب حوم العطشان حول الماء .

واحسرتا أنّى تعيد الرماد ذا معمعات قَدَحاتُ الزناد !
واحسرتا أنّى يُحيل الرُّبَى إن أمْحَلَتْ خضراء نفثُ العهاد ! [1]
ترى وجوه الأرض لا ترتضى من أجْلِنا أن تكتسى بالقَتَاد ؟ ؟
حتّى متى أسمع لفظ الوفاء وهل تُرى يجمل أن يستعاد ؟
وهل تُرَى أغنى به ؟ أم له عنى معدًى واسع ذو امتداد
وهل ترى تطفو سفين المنى وترتقى بين أواذى الدآد ؟ [2]
ويغتدى عود الهوى مورقا يُجنى فؤادى ثمرات الوداد ؟

* * *

وَدِدْتُ لو تحملنى أجنح إليك لما طار عنى الرقاد !
آوى إلى ظلك فى ليلة أغرت بأجفانى بنات السهادْ !

---

(١) العهاد الأمطار .
(٢) الأوازى الأمواج .

وصيـة شاعر

على مثال وصية « هيني » الشاعر الألماني

أسأل القارىء وأعفيه من مؤونة الإجابة : ألا يحب المرء لعدوه كل سوء ؟
أليس كرهك مصادر شقوتك طبيعياً ؟

ليس هذا من كرم الخلق فى شىء ولا ريب ، ولكن خداع الألفاظ عظيم ، وما أكثر ما نموه بها حتى على أنفسنا ، وإن كان الأصلى أن يغالط المرء غيره لا نفسه ، ولكنه يألف الرياء والغش والمغالطة حتى تجوز عليه كسواه ، وكرم الخلق صفة لا وجود لها فى هذه الدنيا الدنية ، و لم يمش على ظهر الأرض رجل واحد – عدا الأنبياء والمجانين – يستطيع أن يقول بينه وبين نفسه « أنا كريم الخلق بالمعنى الصحيح » .

وخير للناس أن يتقبلوا وصيتى هذه بقبول حسن ، فأنها قطعة من القضاء وما أخلقهم أن يشكروا لى أنى تحريت العدل فى القسمة ، ولم أحرم أحداً من نصيبه ، الذى يستحقه على عكس المألوف فى الوصايا ، مذ كتبت فى هذا العالم ، ولئن شكروا لأزيدنهم ! !

ستُرخى على هذى الحياة الستائر ... وتطفأ أنوار ويقفر سـامرُ
فهل راق هذا الناس قصةُ عيشتى ... وماذا يبالى من طوته المقابرُ ؟
تركتُ لهم من قبل موتى وصية ... نظير التى أوصت بها لى المقادر(١)
وهبت لأعدائى – إذا كان لى عدى – ... همومى ومامنه أنا الدهرَ ثائر(٢)

(١) كأنما يمكن أن تكتب الوصية بعد الموت !

(٢) هذا الاحتراس فى قولى « إذا كان لى عدى » ليس سببه أنى أعتقد أن ليس لى أعداء ، فأنهم كثر بحمد الله ، وأكثر من اللازم ، ولكنى أحسبهم سيتبرأون من عداوتى متى قرأوا الوصية ، على أنى قطعت عليهم خط الرجعة ، فلم أترك أحداً دون إيصاء بشىء .

وأوصيتُ للمحبوب بالسهد والضنى ... وبالدمع لايرقا ولاهو هامر
وبالجدرى فى وجهه لِزينتَه !! ... وبالعرج المرذولِ والله قادر[1]
وبالضعف والأملاق واليأس والجوى ... وبالسقم حتّى تتقيـــه النواظر
وللشّيبِ بالأوجاع فى كل مفصل ... وبالثكل فى الأبناء والجد عاثر
وكل سقام قد تركتُ لذى الصبّا ... وما كنت منه فى الحياة أحاذر
وللناس ألوانَ الشقاءِ وإننى ... إذا متُّ لا آسَى على من يخامر



(١) جرى العرج ببالى لأنى أنا أعرج .
تنبيه : التعليق على عبارات هذه القصيدة بقلم الشاعر نفسه .

هاجس

يانفس من لى أن أحقق رغبةً جمحت بنفس الشاعر المتأمل
ليست تكلفنى المحالَ وإنها لثمارُ ذهن مخصب لا مُمْحلِ
تُورى صدورَ الكاشحين وتنثنى فتقُرّ عينَ المخلص المتهلل
أكلَ التبطُّلُ ما مضى وأخاف أن يقتات من أيام عيشى المقبل



ولهـلم الثانى

قصيدة ضاعت نسختها ولا أذكر منها غير هذه القطعة :

ملكَ الملوكِ تولت الأحلامُ   وطغتْ عليك بسيلها الأيام
نَفَستْ عليك جلالَ حِلمك قدرةٌ   فى راحتيهـا النقض والأبرام
للنـاس غايات وللمقـدار غا   يات تضل بتيههـا الأفهـام
لو كان جِرم المرء قدر جلاله   ضاقت بِجرمك هـذه الأجرام
أو كنت أضألَ من ملكتَ قيادة   لنجوت مرمياً إليك زمـام
رجل الضئيل على الصفاة وإنما   يهوى الذى تسمو به الأحلام(١)
قامرت بالدنيـا وكلفت الورى   ما لا يطيق فملّك الخُـدام
ولو اجتزأتَ بما ورثتَ لما جرت   إلا بشكر هوانك الأقـلام
هذا الورى نمل فلا تطلب به   أمـلا تنوء ببعضه الأعـلام
والنـاس ليس لهم بغير بطونهم   شغل فخير منهم الأنعـام

* * *

ملك تملكه الزوال فعرشـه   بالصدع من كف القضاء حطام
ومعصب فاز الورى من سعيه   بثماره — ومضى به الآلام

---

(١) الصفاة الصخرة .

كان لي

كان لى فى العيش ملهى كلما أظلم الهم جلا عنى الظلاما
فطوت عنى الليالى حسنه ونشرناه على الدهر نياما(1)
كلما شيخ دهرى عهده رجعته حدة الشوق غلاما
.لفنى من بعده الهم فما أجتلى فيما أرى إلا رماما

(1) هكذا ورد البيت فى الأصل .

وقفة في الحياة

وقفت على الجسر الذي يعبر الورى إلى الموت والأشباح حولى تخطر
تحدثنى نفسى بأنى هالك وتوهمنى الآمال أنى خالد
ويهمس فى أذنى العزاء أن أتئد فان بُعيد الموت حظك أوفر
فأقدمت هيابا وأحجمت حائرا يدافعنى عن نفسه ما يراود



إنشاد الشاعر شعره

ورب فتاة يملك الطرف حسنها　　تغنى بشعر مسترث فتطرب
كسته من الصوت الأنيق حلاوة　　فعاد نضير النور يصبى ويعجب
وثابت إليه روحه وتضوعت　　نسائم فى بوغائها تتقلب (١)
فكل فؤادى فى نعيم ولذة　　وقد يمكر الصوت الندى ويكذب
ولكنه مكر شهى إلى النهى　　خفيف كما شاء الجمال محبب
وأعذب منه الشعر يتلوه ربه　　ويفرغ فيه روحه وهو ينشد
يحس إذا أجرى اللسان كأنما　　لماضى شجاه كرة وتردد
كما غرت الأرواح بعد نزائها　　وما زالت الأمواج ترغى وترعد

---

(١) البوغاء رائحة الطيب .

إلى العقّاد

ردّاً على أبيات تعزية

قد تزملت فى الهموم فما أخلع   بردا إلا للبس برود
لو رمانى الزمان فى نضرة العمر   لكنت الجليد جد الجليد
ولكان المصاب كالهزم فى الصخر   ولكن قد حطم الدهر عودى
ما عليه لو أنه كان أبقاها   عزاءً لوالد مفؤود ؟ (١)

---

(٢) المفؤود الذى أصيب فؤاده .

النسر المهيض

يا نسر ما للجناح لا يثِبُ ؛ وما لعينيك فى الثرى أربُ

أخلدتَ للأرض غير مكترث للشمس تذكو والرمل يلتهب

وملتَ عن دولة السماء فما يفوتُ منك الرماةُ ما طلبوا

فالعين مفتوحة كمغمضة والريش فوق التراب مختضب

أمايَهم الجناح ؟؟ وا أسفى عليه فى الجو وهو يضطرب !

أم هاضَه خفتُه وأوحشَه ملاكُ سماءٍ تظله السحب ؟

لا عجب إن تحس وحشتَه فالقُرُّ فى الشاهقات مُرتَقَب

ويح النفوس التى تطير بها همّاتُها حين يسخر التعب !



الحمار المتأسد

النجاء النجـاء يا ابن .... من سيوف الهجاء ذات المضاء *
لا لعمرى وأين تهـرب منى ومناياى طىّ هـذا الهواء
أنا كالموت مُدرك كلّ حىّ أتحدّاه بالأذى والهجـاء
أنا كالشمس مدرك ليـلك الأسـ ـود بالنور واللظى الـكواء
أتوخاك حيث كنت من الأر ض ولو غبت فى حبال الهباء
لو تخذت الرياح خيلا لما أفلت فارضخ لرغبتى وقضائى (١)
أنا أفرى أديم عرضك بالقو ل وغيرى بالفعل يفرى فرائى
قرب الشعر مصرعا لك تقصيه وللشعر مصرع الأشقياء
ليس ينجيك من لسانى من تهد ى من الأمهـات والأبناء

. . . .

ولئن طرت فى السماء فإنى بالغ منك مأربى فى السماء
ويمينا لأجعلنك أحـــدوثة كل الركبان والأملاء (٢)
ناشراً كل سوءة لك تطويهـا دوّويا وفعـلة شنعـاء
ومعيداً من حفرة القبر أشلا ءك أنتن بهن من أشلاء
بل معيداً آباء سوء أراك أعتـ ـضت منهم أحاسن الآباء
فإذا كنت ما زعمت من الإنسان أطرقت شـدة استحياء

---

* أسقطنا من هذه القصيدة تسعة أبيات فيها نبو خادش وإن خالفنا بذلك أمانة النقل .

(١) يريد بالرضخ الإذعان وليس به .

(٢) الأملاء جمع ملأ وهم الخلق .

سيقول اللعينُ قزمٌ يلاقيكَ   بساقٍ عرجاء ذات التواء
إن أكن قزمة فأن قوافيّ   طوال جداً بغير إنتهاء
كل ذى عاهة ولا شك جبار   فحاذر من رجلى العرجاء
كان تيمور أعرج الساق فافطن   لمعانى العاهات والأدواء
وتأمل مثال ما نحن فيه   قصة سقتها عن القدماء
زعموا أن معشراً ركبوا الماء   وحثوا سفينهم بالغناء
ورآهم قزم فنادى مهيبا   أن دعونى أكن من الشركاء
أنا قزم كما ترون فلا تخشوا   زحامى مجالس العظماء
فرضوا وانبرى إليه سفيه   حسب الفضل كله فى الرياء
ذو لسانين ـــ بل بوجهين : ملّاق،   ووجه يعيب بالإيماء
يتلقاك خاشعاً باسم الثغر   ويلقى حبائل الحقراء
وإذا ما سمعته قلت سبحانك   ربى ذا أوحـــد الفضلاء
وإذا ما بلوته لم تصدق   أنه ينتمى إلى حواء
ورآه القصير يضحك منه   حاسبا أنه من الأغبياء
وإذا بالسفين جاش بها التيار   والقزم آخذ فى النماء
وأحس الرفاق بالضيق حتّى   عالجوا غمرة الردى والفناء
وأخونا القصير يكبر أضعا   فاً ولــكن عن صحة وامتلاء
وانثنى سائل يقول من العملاق   إنا من كربه فى بلاء
قال كنت القصير قدما فأما الآ   ن فالضخم هائل الأنحاء

* * *

ذا مثالى لو كنت تفهم يا غر   ولــكن حُرمت فضل الذكاء
ذا مثال العظيم يظهر فى النا   س ويمضى بأوفر الأنصباء

يحرم الناس ما ينالون لولاه فهم من وجوده فى عناء

* * *

أنت فينا ظلمت نفسك فاذهب حيثما شئت من وسيع الفضاء
أنت عار من الفضيلة لكنك كا سٍ من الخنا والغباء
أنت خال من كل فضل سوى إحـ سانِ أهل الإحسان والـكرماء
تأخذ القرش فى إباء كأن الله أعطاك ذرة من إباء
كل شئ تكلف منك حتى مشية حزتها عن الأعلياء
كذب كلها حياتك يا ملعون حتى دعواك فى الأحيـاء
لا ترد الأكف عنك ولا تحجم يوماً عن ريبة أو خفاء
أنت يا شيخ لست بالشيخ حقاً غير لفظ أريد لاستهزاء
مثلما قيل «يا عزيزة» للبغلة بغيا تهكم بالنساء !
لِم رضوا أن تكون فيهم على رأ سك هذا الطربوش كالعلماء ؟؟
أنت شيء بل أنت لا شئ يا هذا وإن كنت بادياً للرائى
قسما بالإله لو كنت فى العين قذاة ما كنت ذا إيذاء
خلق الله كل شيء لمعنى غير هذا المخنث المشاء
لمَ ربى خلقت هـذا وما أر ضـاه عبـداً لأحقر الأدنياء
لمَ ربى خلقته وهو لا يحسب إلا فى سـاعة الإحصاء
لك وجـه يذكر المرء بالعهر وبالمخزيات والفحشـــاء
وقفاً تصفع الصوافع منه ذا رنين مجلجل فى الفضاء
. . . .
. . . .
خـبرونى يا قوم من أبواه ما نصيبـاهما من الأسماء ،
. . . .

. . . .

أنت للنبل والحقيقة والعفـة والفضـل أحـقر الأعـداء

حالك الحال ليس يرضى بها الكلب فأنى غدوت ذا خيـلاء ؟

لا بل الكلب ذو وفاء وأنت الذ ئب غدراً وإن تكن كالشـاء

عجباً للزمان ألبسك الجبّةَ والفروَ بعـد طول الحفـاء

كنت مستفرداً شريداً فرقيت وأصبحت ضحكة الظرفاء

وكذاك الزمان ينعم بالخير على غير مستحق الحبـاء

قم آكل هنيئاً وكف عوّدت أن تمدّ للأعطاء

. . . .

. . . .

لابساً من شفوف أهل السخاء راتعاً فى رياض أهل الثراء

. . . .

وادعيت الذى لو اجتمع اليوم لحىّ لعدّ فى الأنبياء

أدباً بارعاً وعلـما وفهما وأباً ! ! ويلك يا قليل الحيـاء

حدث الناس أن برذون سوء طمحت عينه إلى العلياء[1]

فاكتسى جلدة الليوث فهابته وحوش الدهناء قبل الشاء[2]

فتوقفن مدة ثم أقبلن يروّثن فى طريق النجاء

واستقرت آراؤهن على أن يتقدمن نحوه بالفـداء

ثم رتّبن أمرهن : ففى الصبح أوزّ وظبيـة للغـداء

وتباشرن ثم أشرفن ينظرن خلال الشجراء والقصباء

وإذا هن راعهن نهيق لم يدع فى هوانه من مراء

أنت هذا الحمار ــ لو كنت تدرى قد أزحنا عنه ظلال الخفاء

فالتمس غيرنا ودلس على من شئت إلا معاشر الشعراء

---

(١) البرذون الدابة

(٢) الدهناء الفلاة .

كأسُ النِّسْيَان

« أدهق الكأس ! بل تمهل ! إن الماضى هو الذى يظل الابتسامات المفقودة التى ستضىء طريقنا مرة أخرى ، فأرق الكأس فلا بد لى أن أتذكر ! » .

هاتِ اسقِنِى سلوةً عن للذكَرِ ... أنسىَ بهـا ما مضى من العُمْرِ !
أنسىَ بهـا حاضرى وموتَنَفى ... كأنمـا يُدرجان فى الحُفَرِ
بها أنيم الشجونَ قاطبـةً ... وأتقى الدّهرَ كرَّةَ الفِكَرِ
هات اسقنيها وخلّ نشوتَها ... تمحو الذى فى الفؤاد من صُوَرِ
وخذْ كنوز العقول وارم بها ... من حالق للرياح والمدرِ[1]
كم غصت فى لجة الحيـاة فما فـ ... ـزت بغير الصخور والحجر
وكم نفضت اليدين من حجر ... حسبته درة من الدرر
فخل كأس العفاء تسلبنى ... كنزى وتسحو سلاسل الخبر[2]
ما ضرنى لو جهلت ما علمت ... نفسى وما قد أفادنى نظرى ؟
أو نسيت الذى شعرت به ... فى كبرى الآن أو لدن صغرى؟
أو لو سلوت الذى كلفت به ... على الذى كان فيه من شكر؟
أو لو فقدت الذى فرحت به ... وما وجدنا فى حدة الظفر ؟
أثم صوت تعيـد نبرته ... إلى ذكرى الربيع والزهر ؟
أثم عين تثير نظرتها ... أحلام نفسى فى ريّق البكر؟
وتنشر اللذة المضيئة لى ... حلما من العيش جد مبتكر؟

---

(١) المدر الحصى .
(٢) تسحو تجرف .

نعم لعمرى فى الأرض زينتها ... من زهر مونق ومن ثمر[1]
كأنهـــا لافترار بهجتها ... تخبر نطقاً لمدمن البصر
واها لقمريّها إذا اتسقت ... أسجاعه واستراح للسحر!
واها لسحر فى لحظ نرجسها ... يسطو بوقع السجوّ والفترّ[2]!
واها لأيكاتها إذا همس ... النسيم فى أذنها مع القمر!
لـــكن أغصانهن يا أسفــا ... بعيدة من منال مهتصر[3]
أصبت فى العزم لا الشعور فأن ... أدرت لحظى فى الشيء لم يدر
وإن مددت اليدين خانهما ... عزم الشباب الجرىء ذى الأشر[4]
يذعرنى الشيء كان يجذبنى ... لشد ما أستجير بالحذر!
أحمل عبئاً من من السنين فما ... عسى وراء الغايات منكدرى[5]
ولى من الذكريات حاشية ... فى حيث أمضى محشودة الزمر
فهاتها أذعر الشجون بها ... حتى أراها تطير كالشرر!
لم لا أبتّ الذى يقيدنى ... بما مضى وانقضى من العصر؟
إنى أرانى قد حلت وانتسخت ... مع الصبى سورة من السور
وصرت غيرى فليس يعرفنى ... إذا رآنى صبـــاى ذو الطرر
ولو بدالى لبت أنكره ... كأننى لم أكنه فى عمرى
كأننا اثنان ليس يجمعنا ... فى العيش إلا تشبث الذكر
مات الفتى المازنىّ ثم أتى ... من مازن آخر على الأثر
فامح ادكاريه إن ذكرته ... تعين صرف الزمان والغير
وأخلنى اليوم من شجاى به ... أستأنف العيش غير منبهر

---

(١) مونق معجب .
(٢) السجو السكون .
(٣) هصر العود أماله إليه .
(٤) الأشر البطر .
(٥) منكورى أى إسراعى .

العــزيزة

مرت عشاءً بي فتــانة يا حسنها لو أن حسناً يدوم
والجو ساج شاحب بدره كأنما أضناه طول الوجوم
فقلت يا غادة : أذكرتني أحلام عيش نسخّتها الهموم
أمثل هذا الحسن لما يزل في عالم الشر القديم العميم ؟ ؟
ألم يزل (كوبيد) ذا صولة يرمي فيدمي كل قلب سليم ؟ ؟[1]
قالت : ومن كوبيد هذا الذي تذكره مقترناً بالــكلوم ؟[2]
فقلت هذا ولــد مولع بصيد أكباد الورى كالغريم
فتمتمت عائذة باسمه من كل شيطان خبيث رجيم !

* * *

يا بدر هل أبصرتها موهنا بين ذراعيّ تعدّ النجوم ؟
أم كنتَ في ليــلة ذاك النعيم في شغل عنا بكحل الغيوم ؟
يا بدر ما أفشاك رغم الوجوم!

---

(١) كوبيد إله الحب.
(٢) الكلوم الجروح .

شهداء الغربة

بستان آمالنا لقد ذبلت　　فيك زهور من آنف الزهر
جنى الردى نورها مخالسة　　كالنحل شار الرياض فى البكر
فى غربة لم تكن مقدرة　　أن تغتدى من فواقر الفقر (١)
ورحلة قد حدت إلى سفر　　ما بعده من نوى ولا سفر
أودى بها قبل أن تجرب فى العيش　　امتزاج الصفاء والـكدر
بل قبل أن تبلو العواطف فى الصدر　　وهزم الصروف والغير
بل قبل رود الصلال جنتها　　ونفثهن السمام فى الغُدر (٢)
ما قارفوا سبّة ولا خطموا　　أنوفهم بالشنار والعرر (٣)
ما لوثوا روحهم ولا برزوا　　إلا بوجه يفى بمستتر
أبناءنا كنتمو لنا أملا　　يعمر قفر المشيب والـكبر
كنتم كقوس الغمام فى أفق　　داج مسف الركام والعكر
نبكيكم بالقلوب دامية　　من كرم النفس لا من الخور
أبى لنا الضعف أن واجبنا　　ما زال حمل الفوادح الـكبر
وأن نروض النفوس مكرهة　　على الذى تتقى من الضرر
وننفض الـكف غير زاهدة　　من الـكثير الجليل ذى الخطر

---

(١) فواقر الفقر أى كاسرات الظهور .

(٢) رود طلب والصلال الحيات والسمام السموم .

(٣) العرر الجرب .

كما نفضنا اليدين وا أسفا ... من مدر ضمكم ومن عفر[1]
كلا لعمرى لأنتمو أبداً ... فى القلب والذهن ماثلو الصور
أفواهنا لا تزال منشدة ... ما كان يصبيكوا إلى الصور
وملء كل الصدور أمتكم ... لا ملء كل القبور والحفر
أغليتموها – لا عاش مرخصها – ... فلم توكلـكمو بمنحدر
يا ليت كل البنين مثلـكمو ... حسن بلاء وطهر مختبر
تشب فى صدرهم إذا ذكروا ... بلادهم نار حبها الغمر
كأنه نغمة مؤلفة ... لـكل حر الجنان والوطر
نفوسهم معبد لصورتها ... سامى الذرى قائم على العصر
تد زلزلت كل أمة وهوى ... كل رفيع موطد الحجر
وراح يبنى الطماح هيكله ... من نقض هذى الخرائب الكثر
لكن نار الحياة صائحة ... تريد تمحيص كل ذى وضر
ستذكرون الغـداة فى زمر ... قد شيعوها بالنفس لا العشر
قد مالت الشمس صوب مغربها ... فى برد حسن فى الأفق مستطر[2]
همت بتوديعنا وقد لبست ... أفواف زين لها ومفتخر
تنأى الهوينا كأن عالمنا ... معهد لذاتها لدى الصغر
وأى جمع لنا متى انحدرت ... يخطو على دق طبلة القدر !

---

(١) المدر الحصى .
(٢) مستطر مكتوب .

أينَ أمكَ

محاورة مع ابني محمد

لم أكلمه ولكن نظرتي
ساءلته أين أمك ؟
أين أمك ؟
وهو يهذي لي على عادته
– مذ تولت– كل يوم !
كل يوم !
فانثني يبسط من وجهي الغضون!
ولعمري كيف ذاك !
كيف ذاك !
قلت لما مسحت وجهي يداه
« أترى تملك حيلة ؟
أي حيلة »
قال : « ما تعني بذا ياأبتاه ؟ »
قلت : « لا شيء أردته !
ولثمته !

إلى العقّاد

يا موقظي من غفلات الشباب   ومرشدي في حيرتي للصواب
وباعثي إن فترت همتي   ومنهضي أما كبابي الطلاب
وياعقاب الشعر يا نسره   وأقدس الصحب وأزكى اللباب
أعزز على نفسي أن تشتكي   شيئاً وأن لا أستطيع الطباب
أعزز ،، ألا ياويح أم اللغى   ضاقت بإحساسي في كل باب !
لا خير في مثلي فياليتني   دونك أشكو ظفر وعك وناب

* * *

أعداؤنا كثر وهم نبح   فانهض لهم واعصف معي بالكلاب
أو – لا فدعهم فهمو زمرة   لا ضير من نبح لهم واصطخاب
يهيجهم علمهمو أننا   أضخم من أن نتأذى السباب
وأنهم ذئبهمو أرنب   وليثهم يطلب عون الذباب

* * *

عوفيت يا قرة عين الحجى   والشعر يا أزخر موج العباب
لا يوهنن عودك ما يبتلى   به فقدماً شددتك الصعاب !
أقسمت أني واثق موقن   أنك ناج ظافر في الغلاب
وما لإيماني من علة   سوى شعور مالىء للشعاب
وقد يحس الغيب قلب الفتى   كأنما يقرؤه في كتاب

رثاء الشهيد
محمد بك فريد
زعيم الحزب الوطني

شطنَ المنون ملكتَ أيّ قياد ... من مُصعَب ما كان بالمنقاد[1]
فأناخ لا يرجى لديه على البلى ... سبق إلى الغـــايات والآماد
وثوى بمدرجة تساوى عندها ... ذل الحقير وعزة الأمجاد[2]
نجمان قد غربا : فذا لمَنية ... عجلى ، وذاك لغربة وعوادى
والهفتاه له ، يذوب كيـانه ... وجَنــانه كالكوكب الوقاد
ويشيع فيه الموت وهو مغالب ... بَردَ الردَى بحرارة القرصاد
يأبى على وقع الردى ودبيبـه ... أن لا عـدّ يدا غداة تَنادِ
ويغالط القلب القريح كأنمـا ... سهم المقادر ليس فى الأكباد
وإذا تمثل حَيْنه لضميره ... وخروجه من حلبة الأجناد
نزت الحياة به تَنَزّى ألسنٍ ... للنـار مُشفية على الأرماد
ويهون أن يَلقي الخصاصة والأذى ... والبعدَ عن أهل وعن أوداد[3]

---

(١) الشطن الحبل والمصعب الفحل الذى لم يمسه حبل .
(٢) المدرجه المسلك .
(٣) الخصاصة الفقر والأوداد المحبون .

كل يهون عليه إمّا أنجح المسعى وفكٌ موثّـق الأصفـاد
لو شاء كان على الورى مستعلياً بالمـال والألقاب والأعضاد
لكن ترفّعَ عن جدّى لا يُقتنى إلا بوسم الحُفتّ فى الأجياد

* * *

ثَبت البواسل قبل عهدك فى الوغى كالطود راسخ قُنّةٍ ووِهاد
غضبوا لحوزتهم تُباح فزحزحوا أمضى قواضبهم عن الأغمـاد
وتزاحفوا والنفس ملء شعابها أمل يعد لهم من الأمداد
ومَضوا خِفَافاً للقـاء كأنما أيامه الجلّى من الأعيـاد
حتّى أماطوا الضيم عن أوطانهم بالجود بالأرواح والأجساد
لكن من يمضى إلى مستنقع للموت لا حاو ولا بِبُراد(١)
وقد استحال الصبح ليلا حالكاً وخبت مصابيح الرجاء الهادى
وانفض كل مُناصر ومظاهر عنـه فلا ذو نخـوة أوفاد
وإذا أدار العين لم تأخذ سوى طول الطريق إلى مدى الأبعاد
فى حيثما جالت فثم حيالها مرض النفوس يفتّ فى الأعضاد
ويقول للنفس اثبتى ولو اننى وحدى أصاول جحفل الأضداد
هذا الشهيد – وما عدتك صفاته يا أوحد الأبطال والأنجـاد

* * *

إلا يكن شرع القنا يهفو بها عذب البنود لغارة عُصْواد(٢)
فهو الغمامة لم تزل تهمى إلى أن أقلعت عن أرضنا لنفاد

---

(١) براد بارد .
(٢) العصواء الشديدة .

أحييتْ مواتَ الأرض بل قُطّانها   من بَعد ما كانوا من الأصلاد
فيكل نفس نفثة من روحه   حرّى تحفّزها من الأيقاد
وصدى لنغمة نفسه متوثب   وثب الكواسر عن ذرى الأطواد
لهفي عليك حملت وحدك صابراً   ضغط النجاوى المرة الأنكاد
وعلى جبينك صورة الأمل الذى   أودى ذواه بنضرة الأعواد
ولقد تبسم والكيان مزلزل   والقلب يقدح فيه كل زناد
والهولَ ذلك من صراع فى الحشا   صعب على الطين الضعيف الكادى[1]

* * *

ما كنت ممن لا يزال يقيمه   طوراً ويقعده على الأقتاد
إيجاسه خوف الألى يخشونه   من بطشه المتواصل الأزباد
كلا ولا ممن يكظ فجاجه   نفر من الأعداء والأوغاد
لا الصبح يقربه الأمان ولا الدجى   نوم القرير وغطة الكداد
صاح الضمير به فليس لقلبه   أو عينه منجى سوى التسهاد
بل هذه الأرواح عرشك فوقها   والحب تاجك طى كل فؤاد
لكن قلب الشعب — ويح رجاله —   طوع الجواذب لين التقواد !

* * *

وضع الزمان على جلالك ختمه   وأثابك التخليد فى الأخلاد
لا يستطيع عداك طى صحائف   نشرتها أو طمسها بسواد
ما فى حياتك لوثة موكولة   لتسامح الحساب والنقاد
لا للكبول خلقت أو لمهانة   فتضيم ذكرك ألسن الأحقاد

(١) الكادى الذى ساء نبته .

وبذلت أنفس ما يضن به الورى طرأً من الأعلاق والأعتاد
حتّى الحياة أذلتّهـا متوخياً بالبذل صون كرامة الأجداد
لا الضنك خفت وأنت ضنء أماجد كـلا ولا التشريد عن أولاد
مثل الضحية أنت فينا بارزاً بوركت من بر بأكرم واد
أيطاول الشجر السماء وإن تكن أعراقه فى الأرض كالأكباد
ويصارع الجبل الرياح وعصفها والسحب من مترّوح أوغاد
وينام هذا الناس ملء جفونهم وعليهـم الآفاق بالأسداد ؟؟

* * *

قد تسقط الأزهار عن أغصانها ويقـر قلب النسر وهو يرادى
وترى النجوم الزهر من أفلاكها تهوى – من الآباد فى الآباد
كل يلم به العفاء وهل ترى شيئاً يدوم على الزمان العادى ؟
لكنما ماضيك أبهـر روعة من أن يضيع كصرخة فى واد
لو لم يكن منا سواك مجـاهد لكفى به شرفاً وفخر بلاد !



ليلة وصباح

خيَّمَ الهمُّ على صدر المشوق
يا صديقى !
وبدتْ فى لجة الليــل النجوم
ومضى يركض مقــرور النسيم
وثنى الزهــر على النور الغطاء !
عم مساءاً !

* * *

هاتِ لى ... ماذا؟ ألا هاتِ الدواة
« الدواة » !
أو لم يغفُ مع الليل الصدى ؟
فليكن لى ســمرا تحت الدجى
نتداعى فى حواشيه ســواء
عم مساءا !

* * *

يا صدى إن بصدرى لكلوما
وهمـــوما
مدرجات فيــه لكن لا تموت
كلما قلت قضت رهن السكوت

صحن بى من كل فج يترآءى
عم مساءاً !

* * *

سكن الليل فأترع لى الدواة
وا أساه !
أين لا أين تولى قلـــمى ؟
« أكلته النـــار نار الألم »
« كلّه » كلا ! لقد أبقت ... هباءا !
عم مســـاءا

* * *

هات لى ... آه على قيثارتى !
« شارتى » !
أو لم يبق بهـــا من وتر ؟
خافق بذكريات الصغـــــر ؟
مالها تجحدنى فى اليوم الأداء ؟؟
عم مساءا ! .

* *

طلت يا ليل فهل ضل الصباح
فى البطاح ؟
« أيها المنفى عن حلم السماء
لم يتــه صبح ولا طال مساء

فاغتمض ! لا تملأ الدنيا عواءا
عم مساءا »

* * *

(الساعة الأولى من النهار تتكلم)
ماله يرعد حتى فى المنـــــام
لا ســـــلام
قم فإن الحلم ذو عصف شديد
بالذى تطويه من صحف الوجود
من رأى حلمك هذا ما استراحا
عم صباحا !



الدّهر والحياة

أتعرف الحب ؟؟ وتدرى المنى ؟؟ والشجو ؟؟ — هاتيك بناة الحياة !
كذلك الدهـــــر له صِبْية الأمس واليوم وطفل الغداه

* * *

حدثنى المقـــدار يوماً ، وما أبصره لكن أرى ما قضـــاه
قال : وكان الدهر خِدناً لها ولم تكن تعرف خدناً سواه
وشب أبنـــــــاؤها بينكم على وفاء قد بلوتم جنــــاه
ثم أراد الدهـــر تزويجهـــم وكان هـــذا ما تريد الحيـــاه
فناديا أن شـــاوروا قلبكم وليختر الواحد منكم هـــواه
قال « غد » للأمس فى جـــرأة أكبرنا أنت فماذا تـــــراه ؟
فقال كلا ! إن عهدى مضى « واليوم » مازال وريقاً صباه
فليتقـــــدم ولأكن أخِراً فأنتما أولى بمـــا أخترتماه
فعانق « اليوم » شباب « الهوى » وامتد ثغر « الغد » يبغى « مناه »
وزوّج « الأمس » « الأسى » مكرها ولم يزل يرســـــل واها وآه

* * *

تنهد الدهـــر وناجى الحيـــاة « يا أخت هل وافق قطب رحاه ؟ »
قالت : « وهل للغد غير المنى ؟ أم هل يؤاتى الأمس إلا شجاه ؟ »

تحيّة البطل

« عودة سعد زغلول بعد غياب عامين لم يشهد فيهما الحركة المصرية » .

قد نفضوا عنهم غبار القرون ! فانظر ! أما تعرفهم يا ظعين ؟
كيف وقد ضحيت من أجلهم — أوكدت — بالنفس التي لا تهون؟
هم بنو مصر التي لم تزل تخلف من كل الخصوم الظنون
سائل بهم قلبك ماذا الذى قواه فى يوم الخطار المبين؟
قمت فكانوا رجلا واحداً خلفك حتى ذهل المنكرون
آتوك نصراً لم يزل سيله يقتلع الأسداد أنى يبين
لا الحرب يبغون بآثامها ومجدها المغرى الورى بالجنون
لكنما يبغون أن يصدعوا قيودهم عنهم برفق ولين
ويخلعوا النير بأيد لها من قوة الله معين مكين
ويبتغوا فى أرضهم معبداً للحق والرحمة للعالمين

* * *

السلم لا الحرب هنا أرضها والحق والحب الوريف الغصون
وللذى صورنا وحده نطامن الرأس ونرخى الجفون
ما بيننا من لم تنر قلبه حرارة الحب ونور اليقين
ما بيننا من لم يرد سمعه وعد السموات التى لا تمين

فيتا كسير القلب واحسرتا الـكاسف البال وفينا الغبين
ومن عدت حرقة أحشائه أنداء عطف النفر الناعمين
ومن أغامت ذهنه شقوة فهابه نجم يضيء الدجون
لكنما ما بيننا يائس من قومه واليأس صنو المنون

* * *

يا سعد ما زلت برغم السنين أصلب عوداً من فتىً متين
لا بل برغم العنت المنتحى كل عظيم مالىء للعيون
عقدت أخراك بأولاتها ولم يكن وعد الصبا بالمخون
وفى الورى بعران سوء ترى هديرهم يطويه حشو البطون
لـكناك النجد الذى لم يزل يغنى لدى الجلى غناء المئين
ثبت فما يطفىء من بأسه طغوة عات أوجدى مفضلين
ذو نخوة ما إن ينى همه حرية الشعب المهيض المهين
ما أبهر النفس التى لا تلين لطول غمز الدهر أو تستكين !
وكلما زج بها فى الأتون عادت كأن لم تك شيبت بطين
تمضى إلى غايتها فى سكون كأنها بعض القضاء المحين (١)
كأنما الأمر لها فى الشئون والدهر فى طاعتها مستلين
فالحادث الأكبر إما جرى فما سوى تدبيرها يستبين
والدهر فى قصته حاذق يملى ولا يبدو مع اللاعبين

* * *

ما زال موج العيش يرغى على سواحل الآباد ذات الحزون
والظل كالعهد به يرتمى على زواليّة رمل القرون

---

(١) المحين المهلك .

والركب ماض لا يوانى الخطى — إلا ليستلحق مستوطنين
كل كما كان — سوى أننا — حلنا فما يعرفنا الأقربون
وحق تغيير لذى غلة — يحاول الحوض الذى يمنعون
يا سعد فانظر كيف لمع العيون — ولو بها حولك أنى تكون !
هن مرايا أنفس أصبحت — معقودة بالعيش صافى المعين
هل صيحة تسمعها خلتها — تند عنا، معشر المهملين ؟ ؟
هل كنت قدرى أننا هكذا — تالله ما أخطأ فينا يقين ؟
والمرء قد يزهى بآمالـــه — من قبل أن يبلغها أو تحين
من ذا له جد كأجدادنا — ذكرهمو فى الأرض طود ركين ؟
من الذى يؤمن إيماننا — بالحق فى عالم هذا الفتون ؟
ومن سوى قومك قد أقسموا — أن ينصر العدل ولو بعد حين ؟
وأن يروا أرضهموا حرة — كالريح لا يحرم منها قطين ؟
وساحة للسلم لا للوغى — يكر فيها كل عقل رصين ؟
فإن ننلها فلنا فخرها — أو — لا — فلا نحسب فى الجامدين
فما لنا لا تزدهينا المنى — بقدر ما نحيا لها عاملين ؟ ؟

أمالنـــا بوق نحيي به — من أخلص المسعاة للقاعدين ؟
أما سوى الشكر لدينا له — وهل يفى الشكر بدين المدين ؟
حتى ولا أسلاب شعب أمين — عاد وما يسطيع غير الأنين ؟
ألم يعد فى الأرض شعب له — ما يغصب الضارى الألد المرون ؟

وهذه الدنيا مراح لمن تراه فيها بالورى يستهين
عذراً إذن فالأرض قد أقفرت من كل ما قد تستبيح اليمين
وحسبه اليوم على كرهنا أنا لمسعاه من الشاكرين
وإننا نلقاه في عوده بروح مجـد السلف الأقدمين
شارفتمو الفصل فما ترتأون؟ وما ترى آثرتمو للبنين ؟
ناشدتكم ما أنذر المشفقون وما احتملتم في طوال السنين
وبالمنى أضواؤها يرتمين على دياجير الزمان الدفين
لنختر العــز بلا كدرة فيه فبعض العز هون دهين
أو ـــ لا فإن الفوز للصابرين ووقفة الدهر رجاء شطون !



العِراك

زادك الله رونقاً ورواءً ... ورعى الله حسنك الوضاء
أيها الساحرى وأبقاك للعينين ... والقلب صحة وضياء
وثنى عنك كل عين ، إذا جال ... بسوءٍ حملاقُها ، عمياء
وتخطاك كل سوء وجازتك ... العوادى وصادت الأعداء

* * *

قالت النفس إذ رأتنى أدعو اللـه ... جهدى ولا أسئ الدعاء
« كم تمنيت أن تريد لى الخير ... وتسقى قبل الرواء الظماء !
أغراما بالناس وهمُ كما تعلم ... سوءاً وخسة وغباء ؟
عبث ذاك كله ومحال ... فاعرف الحق واجنب الأهواء »

* * *

قلت : « مالى لا تطلب الحسن عينى ... مثل ما تطلب الصدور الهواء ؟
إن للحسن سحره مثل ما للمال ... والجاه والذكاء سواء »

* * *

قالت أذكر لواعجاً كنت تصلينى ... لظاها عشية وضحاء
أذكر الجنة التى فقد الشيخ ... أبونا بحبه حواء
أذكر اللعنة القديمة من آدم ... فينا ولا تزدنا شقاء
وكفى بالحياة والسعى والآمال ... والهم والشكوك عناء »

قلت : «ماذا أصير إن حرم الحب فؤادى وبات منه خلاء ؟
انظرى ! هل ترين إلا جمالا وجلالا لا يعرفان انتهاء ؟
جعل الله كل هـــذا لمعنى أم عنـــاء وباطلا وهباء ؟
لا تقيسى الحياة بالذاهب الغا بر منها فتشبهى الجهـــلاء
إن للشاعر الكبير لعيناً ذات لحظ لا يشبع استقصاء
يتوخّى بعـــد السماء سماء ويُريغ الآبادَ والآناء (١)
أوتيت روحه اليقينَ فلجت إن ذا الشك مقصر لا مراء
كلما شيَّخ الزمـــان عهوداً رجَعتْ روحُه لحن الصّباء
أبدا يجتلى شباب زمـــان وسواه الكهولة الشوهاء
يجتليهـــا مطلولة الفجر ريّا تزدهى اللب نعمـــة ورواء
ويراها عذراء ما فض عنها ختم سرٍّ مصـــونة عصماء
لم تزل عنده وإن قدم الدهر عليها — جـــديدة عذراء
ويرى بالضمير خيراً عميما خلل الشر واضحاً لا اخفـــاء
وإذا أحرقته منهـــا هموم قدحت منـــه همة ومضـــاء
أفمن كان شـــأنه ذاك يخشى شربة فى حيـــاته كدراء ؟
أين كالحسن باعث لك يحتثّ ووحىٌ يُحيلنا أنبيـــاء ؟
خبريني عن نعمة كانت النعمة صرفا ولم تفدك عنـــاء ؟ »

* * *

قالت : انظر أعماق نفسك هل تبصر فيهـــا بقية أو ذَماء ؟
من أبى أن يقيس غورَ قـــواه حمّلتْه حيـــاته الأرزاء
قد أشابتنى الليالى وشيب النفس أدهى من شـــعرة بيضـــاء

---

(١) يريغ يطلب ويريد .

وكأنى الزمانُ عمراً وإن كنت بسنى صغيرة عجفـــــاء
ما عسى صبر ذي الكلال على الأ عنات والبرح ضحوة وعشاء ؟
نضب العزم – والمنى ثرة العين – لعمرى ما أســوأ القرناء
شيبة العزم مع شباب الأمانى – أضعيف يظاهر الأقوياء ؟
دون ما تبتغى حـــوائل ضعف فاجعل العزم والمنى أكفـــاء
أيهـــا الطين ما ترى بك أبغى لست فيما أرى لشيء كفاء
إن طلبت السماء قلت لى الأرض أو الأرض كنت لى عصّاء
حرتُ حتى الذى أفكر فيه لست أسطيع صوغه والأداء
كل حب إلى ملال – وللحسن عفاء – وما أمض العفاء !
خل عنك الأحلام. واسع لداعى الـ عقل يامن لا يستجيب دعاء
إن للقلب جمحة فاجعل العقل لجاما يغـــــالب الغلواء
ما لنا ننفق الحيـــــــاة يمينا وشمالا مستعجلين الفنـــاء ؟
أضمنا عمراً سوى ذا جديدا ؟ أم وجـــدنا لعمرنا رفّاء ؟
عشت ما عشت لا هيا تطلب الحـ ب وتعتده لديك غـــذاء
فتأمل كم ساعة عاشها عقلك هذا وأطرق استحياء !
حولك الأرض والسموات تغرى كل عقل مفـــكر إغراء
إنما كان حق عقلك أن يصقل لا أن تسومه إصـــداء
تطلب الحسنَ دائبا لتغنّيـــه كما غنّت الحمام الضيـــاء
مسنداً صدرك القريح إلى شو كة ورد لا تخطئ الأحشـــاء
إن يكن ما زعمت حقا فأولى أن تحاكى النسور لا المُكّاء(١)
ترفع الطرف مثلها فى سماء الـ فكر حتى تصـــافح الجوزاء
أبهذا المسكين مهلا رويدا واسمع الدهر يضحك استهزاء !

---

(١) المكاء طائر .

أنت عبد الحياة تبكي وتشدو   بغناء لا يعجب الطلقــــاء
أبدا لا تزال تبكي إســارا   أو تلهّى في سجنك الحوباء[1]
ترسل الصوت باكيا فيؤديه   صــــداه مقطعا أجزاء
مثلما صـــاح في الظلام صبيّ   كلما جــد خوفُه الظلماء
ومع الرق والأسار فقد تحلم   — كالحر — بالخاود اجتراء
وتقول الجهال وحي — وما الحب   سوى سلم ينيل السماء !
ليت شـعري أللأزاهير وحي   ليس يألو أنفـاسها إذ كاء ؟
كيف تغدو الأشجار رفافة الغ   صن عليها ثمارها فيحاء ؟
أين وحي الينبوع فاضت به الأ   صلاد فانساب ماضيا حيث شاء
إنما أنت كالرياح إذا هبت   سواء لا تملك الإعفـــاء
تتغنى ولست تدري لماذا ؟   هكذا شاءت الحيـــاة الغناء
وتصوغ القريض عفواً وإن كنـ   ـت تظن القريض كان احتفاء
غرنا أننـــا نحس فخلنا   أن لنا في حياتنا أن نشـاء
إن نكن صادقين فيما وهمنا   فلنبدل بأســـــاءنا نعماء
كم يريد الفتى ويُحرم مايطلب   بل يُحـــرم المنى والرجاء
نحن ألعوبة بأيدي الليــالي   لا نلاقي من صرفها إبقاء
يتقـــاذفننا ويسخرن منا   ويكلفننا الرضى والبـــكاء
ما تبالي الأيام ثارت بنا هوجاء   أم غضـــة النسيم رخاء
فتراها آنا تقص جناحينا   وآنا تنميهمـــا إنمـــاء
وأراها لما رأتنـــا قرودا   أوســعتنا في عيشنا إزراء
عابثات بنـــا يخاطبن منا   أغبياء قد أشبهوا الببغـــاء
حفظوا باللسان ثم تحاكوا   كلمات من المعاني قواء[2]

(١) الحوباء النفس .
(٢) قواء خالية .

لا يحسون صدقهـا – بل يحسون رنيناً رأوا به الإكتفاء :
الهوى والخلود والوحى والعزم جميعـاً والهمة والشماء !
إيه ما أرخص العقول علينا إن حشونا عقولنا أسماء ! !
لا بعقل ولا بحكمة طبع لج منا من لج أو من فاء[1]
مغريات بنا الأمانى والإعجاب والخوف والهوى والرياء
واقفات بنا مواقف سخر توسع الـكبر والغرور اكتواء
بين ذكرى تقتادنا للأمانى وأمان تفيدنا الكبرياء
نحن أهل لكل هذا من الدهر وإن كان صرفه كوّاء
إن للحق فى الحياة على النفس لحقا لا يقبل الإغضاء
قد تناولتنا الليالى بإحسا ن وبر يستوجبان الثناء
وهبتنا العقول وهى عتاد فجعلنا إهمالهن الجزاء »

*

قلت : يا ليتها إذاً حرمتنا نعمة لم نعد بها أغنياء ؟
ما عليها لو أنها تركتنا أبد الدهر نرتعى الأكلاء ؟[2]
فرعينا ملء البطون نباتا ونشقنا ملء الصدور هواء
ووقتنا « غد » السنين فما جا ءت سنون ولا « مضى » ما جاء
ثم أهدت لنا البلادة كيما نتقى باكتسائها الأسواء
فحيينا بموتنا جهلاء ثم متنا ولم نكن أحياء
ولبسنا الحياة فى كل حال جاهلين انتهاءها والبداء
وتهاوت بنا البلادة أن نرفع إلا لواحظا عمياء
كل وجه تلقاه تقرأ فيه : إلبسوا الجهـل تحشروا سعداء

(١) فاء رجع
(٢) الأكلاء الأعشاب

لـكن الله قد أفاض علينا «نعمة» الحس فاستلبنا الهناء
إيه هيهات ينفع العقل أو يبـد لنا من سمومنا أصباء
وعلى أن سابحاً ناوأ التيا ر أو شارعا عليه، نجاء
صنو من أسلس القياد وخلى الماء يرمى بشلوه الأرجاء
لو ترى الماء ناطقاً قال: «سيان مطيعي وتاخذى أمطاء
بل سواء عليّ نازعني الركب فؤادى أم جشموني الجفاء
لا أحس السنين تحدى ولا الأ سماك بـ شتى تغازل الأحشاء
لا ولا الريح إذ تثور ولا البرق ولا الرعد لا ولا الأنواء»
قد رزقنا الإحساس دون سوانا فعدمنا فى عيشنا النظراء
وجدير بمن تميز عن كل نظير أن يحمل الأعباء
نحن أحيا الأحياء طرا فلاكنا إذا ضاعت الحياة هباء
فلتقيموا السدود دون مجارى القلب ولتوقفوا بهن الدماء
ذاك خير من أن نعود صخورا لا تبالى ما حولها ـــ صماء
لو نحس الحياة بالعصب العريان ما كان ذاك منا كفاء
كل شيء يسبي إذا نظر الفكر إليه ويكتسى لألاء
فإذا ما أجلت عين التجاريب استحالت وجوهه ســوداء
لا تطيلى تخويفى الحب يا نفس فما أستطيع عنه إلتواء
وهبينى كما زعمت أسيراً يتقاضانى الزمان الولاء
وهبينى مطامعى جامحات أوسعتنى عن غايتى إقصاء
وهبينى سيدرك الصبح عندى ظل ليل يطاول البرحاء
فاذكرى أنها المقادير تجرى كيفما شئن هن فينا القضاء
قلقى حجتى فما لى قرار وليالى ما تمل الحداء
فيّ أيد وقوة فإذا لم ألف لى منفذاً رعيت البلاء
هل تطيق النسور أرضاً وما زال جناح لهن يطوى الفضاء

ظلم اللهَ من تراه لما يمنحه الله خــازنا خبّــــــــاء
وتعالى الإله عن أن نراه مسرفا ليس يحسن الأيلاء
أتريدين نيمة ليس فيها حلم فى غصونها يتراءى
فكأنا دمى حياة تراءت فوق أجداثهن أو تاقـــاء
عمرك الله هل رأيت بنى آ دم إلا يستروحون عناء ؟
قد طردنا من الفراديس قدماً وكتبنا فى أرضنا أشقياء
فلنا العيش ظله راكد الثقل صبـــاحاً وغدوة ومســـاء
فى بساتين شقـــوة يتهدلن بأثمـــار حسرة ســـوداء
تتداعى على ذؤاباتها الغربان والبوم – لا القمارى – ولاء[1]
فرشت أرضها هموماً وأشجا ناً كأرض الجحيم لا حصباء
وامترى النحس من أديم صفاها المهل لا ماءها ولا الصهبـــاء
فإذا هبت الرياح عليها أنشقتنا الأوصاب والأدواء
هذه حالنا على كل حال أبداً نرتعى الأذى لا المراء[2]
شؤم ذنب جناه آدم بل حواء بل من أغراهمـا إغراء
قد ثكلنا سعادة العيش لمـــا رزق الشـــيخ آدم الأبنـــاء
نحن يا نفس والمقادير صنوان جرى الحلف بيننا ما شاء
حبذا هذه السعادة لو كانت لحىّ – ولم تكن جوفاء !
حبذا الزهد فى الحياة لو ان الزهد فيهـــا يبرح الغمّـــاء !
وأرى خاطب السعادة والراغب عنها فى عيشـــه عُدَلاء[3]

---

(١) ولاء تباعا .
(٢) مراءة الطعام هناءته .
(٣) الوجه عدلين .

(وأبيقور) لو علمت (كزينو) قد أصابا – كلاهما – الإخطاء
ذا كهذا يأساً من الخير طراً وفراراً من نفسه ونَجاء
ماتح الصخرِ مخفق أى إخفاق كمن طلّقت رشاه الدِّلاء(١)
وسواء من قال ليس سوى الأر ض ومن قال لن تنالوا السماء
قال (زينو) ازهدوا فأنى تهالكت فما إن أفدت إلا الظماء(٢)
وطلبت اللذات طراً فما ألفيت فيهـا لذى حصاة غنـاء
فعسى تحسم الزهادة داءاً لم أجد فى الرياد منه شفاء(٣)
ويرى صنوه (أبيقور) أن الزهد فى العيش لا يسيغ الشجاء(٤)
ويرى أوجب الأمور على المرء تنـاسى الهمـوم والتأساء
ولمـَن يرفض الحياةِ خليق رفضه أن يزيده إحماء
والذى يحسب الزهادة منجى يخسر النفس – طيبها والرضاء
كيف تجنى سعادة العيش لم تمدد لأثمـارها الأكف اجتناء ؟
أم تعالت بها استحالتها أن نبتغيها ؟ – لطاش ذاك ارتياء
ما علينا لو أفلتت وقنصنا – دونها – كل متعة غراء
فاهربوا من نفوسكم أيها النا س وسوسوا ذكاءها إطفاء
بلدوها فإن شر خطوب الدهر أن ترزق النفوس الصفاء
ينعم الأبله الغبى ويشقى كل من أوتى الحجا والذكاء
واللبيب اللبيب من يمحض النفس مراحاً – لا راحة وعفاء

(١) الماتح المستقى . رشاه يريد بها حباله والوجه أن يجمع الرشأ على أرشية . والدلاء جمع دلو .
(٢) قوله تهالكت يريد به اهتلكت .
(٣) الرياد السعى .
(٤) الشجا ما ينشب فى الحلق من عظم .

والسعيد السعيد من يقهر النفس ويُنضى مطيَّهـا . إنضـاء

* * *

قالت النفس : « إن للنفس فاعلم لخريفـاً كدهرها وشتاء
حين تنضو الأيام أوراقها الخضر وتُذوى أغصـانَها إذواء
حصدت خيرى الليالى وسامت أيكى الوارفَ الجنَى إعراء
تتوالى الفصول من غير ميعاد علينا وقد عدمنا الوقاء
ويؤوب الربيع يعقبه الصيف ولكن ما إن نصيب دِفاء[1]
كل يوم يزداد صيفى نقصاً ويقل الربيع عندى ثواء
وتولى صوادحى عن جنـابى مسرعاتٍ وكنّ قبلُ ما بطاء
مات عندى الصبا فدعنى أنسج لشبابى الأكفان والأسـجاء
فرط حرصى على أزاهير عيشى زاد نوارها بـكفى ذواء
وغدا الصدر للزوافر غارا لا تؤدى أقبـاؤه الأصداء
أترى أن أعود للروض أدراجى وأجنى أزهاره الزهراء ؟
خل عنى بالله هذا لغيرى أو لسنا براحـة خلقاء ؟
وتمهل وانظر أكفى بميت الزهر — مما قطفت قدما — ملاء !
أغنِناء تريد منى وما أحسن إلا أن أزفر الصّعداء !
أيها الآمـرى بأن أتغنى كل زهراء تستبيك استباء
ما بها حاجة إلى صدحاتى فتعانى « لسحرها » الأصـغاء
لم يرعهن دهرهن ولا أشبع أنفاسهن إلا اسـتواء
ليس تدرى عيونُها ألم الدمع إذا لزّ بالجفـون إباء
لا لعمرى كفى بهذى القمارى ساجعات — وحسب نفسى التظاء
أجميل إثقال شعرك بالدمع لعينين لم تذوقا البـكاء ؟

(١) الدفاء ما يدفىء .

أجميــل تحميله عبء عمر | لغرير يشكو لنا الأنداء
أجميل إزعاج ألحان ذى الحسن | بشــعر ملأته ضوضـــاء
أنتقاماً أردت من حسن ذى الحسن | بشعر مروّع واشـــتقاء ؟
أمن العدل أن تحيط بأنقاض | حياتى جماله الوضـــاء ؟
كيف أشدو له وبركان صدرى | ضربت نارُه علىّ خبــاء ؟
كيف أشدو له وزلزال يأسى | مؤذن أن يُصيرنى أشلاء ؟
أم ترى الشعر يستطيــع إذا ما | جاش أن يحكى الطيور أداء ؟
صدحات الأطيـــار فضية الرنة | ينفى صفـــاؤها الأقذاء
لكن الشعر لا يزال يشوب (الفكر) | فيه حنينـــه والنُزّاء[1]
ملت العين أن ترى كل يوم | غصننا يانعاً يعود أباء[2]
ملت الأذن كل لفظ حبيب | تفتريه المنى عليهـــا افتراء
ومللت الرجاء فى حالتيــه | حين يطغى أو ينثنى بى انثناء
لست أبكى على عهودى ـ فسيان | دنا ذكرها بهــــا أم تناءى
أبدا أفتح النوافذ من روحىَ | للشمس وهى تفرى الغِماء[3]
لا رجائى مســاوم عزماتى | لا وَلاَ الخوف محدث لى انكفاء
أتلقى الذى يجىء به الدهر | وأقنى تجمــلا واجــتزاء
وأحاشى زرع الفيـــافى وقدما | خاب من بات يرتجى الصحراء
غير أنى وإن سكنت إلى اليأس | لأخشى من يأسى استشراء
ربما قَرّ زَاخِرُ اليم حينا | ثم آضتْ أمواجه هوجاء[4]
مثلما سادت السكينة فى الحومة | والقــوم ينتوون اللقـــاء
لا تدق الرياح لليمّ طبلا | لا ولا تنذر الثرى والسماء

---

(١) النزاء الوثب .
(٢) الأباء القصب أو الحلفاء .
(٣) الغماء السقف .
(٤) أضت رجعت .

بل يروئن فى الكهوف مليًّا ... وتناجى سمومها الجرباء (١)
وكذلك الحياة أهول ما تسمى ... إذا ساق صبحها البشراء
انما نرقب الذبول إذا ما ... امتلأ الزهر بهجة وبهاء
قلت: «ما خير أن أظل حياتى ... أتقصى وجوهها استقراء
أنا هذا الذى أحس — وهذا ... كل ما قد وسعته استقصاء
أين كنا قبل الحياة وأنى ... نغتدى بعد إذ نلاقى الفناء ؟
أنا كون أحس أو صرخة بين ... سكونين أسكنا طخياء (٢)
أنا ظل ألقته سحب ينازعن ... — على ربوة الحياة — الضياء
أنا سهم مضى من الغابر الماضى ... إلى المقبل البهيم مضاء
أنا ضوء الشهاب تومض نارى ... وهى تجتار هذه الأجواء
لست أدرى هذا الفضاء لماذا ... كان للناس والوجود غطاء
وأرى النجم طالعا ثم يخفى ... وأرى الصبح يعقب الظلماء
وأرى اليم لا يزال له مد ... وجزر قد أرهقا الأشطاء
وأرى للفصول فى كل حول ... دورة لا تحاول استثناء
كل شىء أراه ينبىء أن الكون ... لا شك ملهم أنباء
آية الوحى ليس تخفى ولكن ... سرها السر أعجز الحكماء
ما نصيبى من كل ما تأخذ العين؟ ... وهل من يقسم الأنصباء ؟
أترى حسنا سواء وحس الكون؟ ... أم ليس ما حيينا سواء ؟
أترى القدرة التى تقدح الصبح ... مضيئا وتنسخ الأمساء
وتثير النسيم فينا عليلا ... وتسيل الدجنة الوطفاء
وتذيع العبير فى زهر الروض ... وتشجى حمامه إشجاء

(٣) الجرباء السماء .
(١) الطخياء الليلة المظلمة .

وتجيل الشباب في صفحة الوجه وتضفى رداءه إضفاء
وتضيء الشموس في بهمة الكون وتجلو لألاءهن جـلاء
ومن الصخر تفجر الماء أنهاراً وما العهد أن فيه سخاء
وتربي جرثومة الخير في الأكوان طوراً وتنضج الآراء
غير تلك التي المنايا أياديها فما إن تزل إلا التواء ؟
تسعر النار في الجوانح والحرب وتوري العداء والبغضاء ؟
ضلة لامرىء يحاول أن يجلو سراً يأبى علينا الجلاء
كلما أرسل الفتى سهم فكر زاد خبراً بعجزه وابتلاء
مثلما طخطخ الظلام فأبدى هوله ومض بارق قد أضاء
يا نسور المنى تعالى كما شئت فهيهات لن تصيدي ذكاء [1]
لا يلم ناها الجناح إذا أم ذراها فأشبعته اصطلاء !
لا تلم نورها العيون إذا رمقته فانثنت تشكر العماء !
فدعيني أغشى الغمار وأضحى قبل أن يسدف المغيب العشاء
ودعيني أرعى الهواتف سمعي قبل أن يملك الردى الأرعاء
عصب الريق فاسقني قبل أن أسقي بكأس تذكي الحشا إذكاء [2]
وانظمي لي من الورود أكاليل وأحيي بنفحها الأهواء
قبل أن يقضي الربيع ويلوي بي وبالزهر دهرنا إلواء

* * *

قالت النفس: «هل ترى الأرض قد عادت فراديس اللذة غناء ؟
عيش حلالها غرير فستذر بأمن ووادع أحشاء ؟
تسع النفس مثلما تسع الجسم فما تستضيق فيها فناء ؟
وترامت آفاقها فالأماني ليس تبغي وراءها أرجاء ؟

(١) ذكاء الشمس .
(٢) عصب الريق جف . وقوله إسقني صوابه إسقيني .

لا تجوز المنى مداها وما للنفس ... حــاج تريغهن وراء ؟ (١)
زخرت أبحرا وقرت صخوراً ... وسجت أعصرا ورقت هواء ؟
وأبى اللحظ أن يُمدّ وأن يأخذ ... إلا ريحانَهــا والأضــاء ؟
وأبى القلب أن يزايل طودا ... مشمخراً لا يتقى إيهــاء ؟
أيّهذا المفتون ماذا تُرى غالَك ؟ ... أم قد حسبتنــا بُلهــاء ؟
ان هذى الحياة صحراء سوء ... نقطع الشرخَ قبلها والفتاء (٢)
ويغر السراب فيها ويُغرِى ... فنُغذّ الأدلاج والأسراء (٣)
سَرْبَخٌ بعد سربخ وسُهوب ... دون أخرى وما بلغنا الماء (٤)
وجحيم من فوقنــا ووطيس ... تحتنا يوسعاننــا إحمــاء
ليتنا كالحديد نُصلَى لنُمْهى ... غير أنا نُصلى ولا إمْهاء (٥)
ولعمرى الواحات كُثْر ولكن ... من تُرى مُبدلى ضلالى اهتداء ؟
أنا فى فَدفَدٍ مُضِلّ وأخلِقْ ... بى أن أخطئ الطريق السّواء (٦)
والهدى والضلال أقرب شيئين ... ابتــداءً منا وأنأى انتهــاء
أى شئ أعددتَ للدهر أمّا ... أوسعتْ عودَك الصروفُ انحناء ؟
وغداً هيكل الحياة قد انهار ... وأقوى أنيقه أقـــــواء (١)
ورمت ظلّها عليك سحاباتُ ... شتاءٍ تُداجن الأمســـــاء

---

(١) حاج جمع حاجه . تريغهن تطلبهن .
(٢) الشرخ والفتاء الشباب .
(٣) نغذ نسرع فى السير . الأدلاج السير ليلا .
(٤) السربخ الأرض المترامية .
(٥) إمهاء الحديد ترقيقه وتحديده .
(٦) الفدفد الفلاة .
(٧) اقوى خلا واقفر .

لك منها صواعق ورعود وعداك الحيا إذا فيض ماء
وعلى أن فيضها ليس بجدياك وهل ينفع السحابُ الإباء (١)
وإذا أيبستْك وقدةُ عيش لم يُلْنك استيكافُك الوطفاء
داؤنا كامن بنـا ليس أنّا لا نلاق على البلى أعـداء
ليت شعرى إذا أدار عليك الدهر فى مستـداره الأرحـاء
هل يعزيك بين طاحنتيه ذكر لذات مامضى وتناءى ؟
صور يلتمعن فى ظلمة الهم كما ضم سبسب غَيْناء (٢)
وهى أما علا رماد الليـالى نارَ صدر ألفينها محضـاء (٣)
وعلى أن حادثات الليـالى قد يرى بطؤها استكالَ وحاء
ليس بالموج أن أسر اختياناً حاجةٌ أن يعاصفَ النكباء
زورق العمر من هشيم فحاذر ليِّنَ الماء حذرك الشرساء
وأقم من تيقظ القلب والرأى على كل غَيْهم رقباء (١)
وإذا ما صفت سماؤك فاذكر أنه رب صيحـة خرساء
إن فى الزهرة الذكية سمّاً كامنا لا يَبين أو يتراءى
إن طى الأكليل أشواك سوء راصدات تحـاول الإرداء
فتنبه من غفلة الوهم واعلم إن للشر أعيناً نجلاء
أقماراً بكل مالك فى الدنيا على ما لا يقتنى أنصبـاء ؟
تبتغى سدرة الحياة ببيداء تذرى سمومهـا الرمضاء
إن هذى الحياة وادى هموم نشرت فوقها المنايا طَخاء (٢)

---

(١) الأباء من يكرهون الماء والطعام .
(٢) الغيناء الأشجار الخضر .
(٣) محضاء حركة الجمر بعد همود .
(٤) الغيهم الظلمة .
(٥) الطخاء السحاب .

إن بي لو علمت عن كل حسن ... زائل ليس يخلد — استغناء
وبحسبي شيوخ صدق مواض ... ملأوا الأرض حكمة ورواء
مزجوا النار والدموع فكل ... واجد ما اشتهى : لظى أو ماء
إن نشأ نقبس الحرارة منهم ... أو نشأ نطفىء الأسى إطفاء
همهم همنا وصنو أمانيهم ... منانا فهل نعق الأخاء ؟
إيه لا تطلب التعاطف في الأرض ... فتجنى الأوجاع والعرواء(1)
لو تجيب القلوب كل مهيب ... عادت الأرض جنة قرحاء(2)
لو غدت لمسة تفيض ينابيع ... جمال النفوس — لا الأسواء
لرأيت الحيـــاة أجمل مما ... يتأتى إذا اعتبرنا الفناء
قل أن يستطيع صفوك بالود ... إلى الناس أن يفيض الوفاء
قد ترى الشيء ليس يبصره الحذق ... ولو فاض روحه استجلاء
ويثير الربيع عندك حلماً ... معجزاً فهم كنهه العشراء
أين في الناس وردتان تميلان ... معاً للنسيم من حيث جاء ؟
فاطرح هذه الأماني وارفع ... لحظ عينيك وابغ ثم السماء

* * *

قلت : « هل تهزئين بالعقل يانفس ... فتابغي عمن مضوا لي اكتفاء ؟ *
ما شيوخ الصدق الذين تقولين ... أفاضوا على الحياة البهـــاء ؟
أو ليسوا كصبية يتضاغون ... بأولى هذه الحيـــاة سواء ؟
قد تهجوا من الكتاب حروفاً ... ما تعـــدوا بعلمها الجهلاء

(1) العرواء رعدة الحمى .
(2) قرحاء ذات نوار أبيض .
* في هذه القصيدة أبيات لا تفهم فأثبتناها كما هي

وسعوا سعيهم وإن علينا بعدهم أن نواصل الأسراء
أدُمَّى تعبدين فيهم ؛ فما أضيع تقوى من يعبد الأسماء !
أعبدى الحق لا الشفاه اللواتى تمتمت ثم أطبقت إعياء
لو قنعنا بسعى من سبقونا ورأينا بمـــا أفادوا اجتزاء
لغدا خلق كل هذى البرايا سرفاً بل سفاهة وهراء
ليت لى قوة فأبطش بالعقل وأمحـــو آثاره الغـــــراء



في المُنَاجاة

داعبتني يوماً فهل تذكرين ؟ لو يذكر السيف كلوم الطعين !
نعم هو السيف به تلعبين ولست تدرين الذى تصنعين
أواه ياغيداء لو تعلمين ! ! وكيف والسر بصدرى دفين ؟
أهــواك والحب بلاء مبين وجنــة يشقى بهــا المتقون
أمر بالدار عسى تبصرين نضوك يحدوه إليك الحنين
كأنما يرمي عبــاب الهوى بشلوه صوباك او تشعرين
والبحر قذاف بغُواصــه والبحر لا يعيي أواذيه طين
واحسرتا إن حطمت صخرة جثماني الواهى وطيني المهين
لو كنت ناراً لحبت جذوتى فى لجاك الطاغى الذى تزخرين
يا درة غصتُ لها فى الأسى كلّت ذراعاى وما من مُعين
فضّى غلافَ الصَّدَف المنطوِى عليك وابدى فى سناكِ المبين
حجبت عنى يا ضياء العيون يا راحة القلب وروح اليقين
ريحانتى هل خفت لفح الجوى وعصفه قبلك بالياسمين ؟
صدقت ! إنى لانح عاصف تالله ما أنتِ وحر الشجون !

* * *

أكل ذنبى أن بى حبها ؟ وددتْ لو مثلى إذنْ تذنبين !
ألا أرى حتى ولا ظلها ؟ واشقوة القلب الذى تسكنين !
نعمى حرمناها على حبنــا يا ليتنى كنت الخلى الضنين !

عجبت للحظ وتقسيمه ... وللذى قد شاء فيه المجون
هبك منعت العين أن تجتلى ... جمالك الغض فما تمنعين ؟
هل تمنعين القلب أن يصطلى ... بجحيم حبك الذى تسعرين
يا فتنة القلب ألا رقية ... من أخذة السحر الذى تنفثين ؟
أسمعتنى صوتك فى ضحكة ... فضية .. واهاً لذاك الرنين !
ويلى لقد أصبحت ندابة ... أبكى بكاء الطفل إذ تضحكين
قد كان لى ثوب رجولية ... زين إذا غيرى اكتسى ما يشين
أين إبائى أن أسام الأذى ... أين وفائى للخلاق الرزين ؟ (١)
تجملى أين وأكرومتى ... آوى إلى فيئهما ذى السكون ؟
نضوت عنى كل دثورها ... خلفت لى إلا شعار الجنون
خلفتنى عارى الهوى ليس لى ... ما يستر القلب عن الناظرين !
كأنما الدنيا قواء فما ... أحس هذا الناس لو يعلمون
فلا حياء لى أو عزة ... وكيف والأرض خراب أمين ؟
أفوق ظهر الأرض من أستحى ... منه ؟ أفى أرجائها من قطين ؟
هل من يرى ضعفى وينعى به ... إذا أنا استحذى فؤادى الضمين ؟
ما حياتى لو أن لى حياة ؟ ... تقطع القلب وما تشعرين
هيهات أن تدرى بما هجته ! ... أتشعر الشمس برمد الجفون ؟
أخشى عليك الناس أن يلهجوا ... بنا ولو كانوا من الأقربين
يا عزتى « تيهى » ولا تعامى ... ما تعلم الدنيا التى تسحرين
وإن سما من نبأى سره ... إليك يوماً وعلمت اليقين
ولم يكن عطف فلا تهزئى ... وحسبى الله إذا تهزئين !

(١) يريد بالخلاق الخلق وليس به .

انظر إلى وجهي

أنظر إلى وجهي الشتيم اللعين   واحمد على وجهك رب الفنون
أحسب أن الله ما صاغني   كذاك إلا رغبة في المجون
لو كنت للناس إلهاً — إذاً   كنت بنفسي أول الكافرين
بل كنت أعنو للذي صغته   كما عنا « زوس » الإله الفطين
ما ذنب إخواني أرميهمو   بصورة شنعاء تقذى العيون ؟
لم ألف من بينهمو واحداً   يعيرني رونقه والفتون
يا ليتهم بالحسن يعدونني   لما غدوا يذكون وقد الحنين
مزيتي لا الحسن أزهى به   كلا ولا شعري السخيف الهجين
ولا ثراء المال أوصيته الحاوي   ولا الفضل الصريح المبين
لكنها الإخلاص لو أنه   يكون لي يوماً شفيعي المكين

إلى صديق

أخوك إبراهيم يا مصطفى   كالبحر لا يهدأ أو يستريح
كالبحر حى الموج وثابه   لكنه من نفسه فى ضريح
من حوله الشطئان لا تنثنى   تحبسه دون انسياح الفتوح
خلت من المعنى لحاظ له   وكانت البرق المضيىء المليح
لكنه رغم الدجى راصد   يحارب الدنيا بجند الطموح
أنر إن اسطعت له عيشه   فالعيش يجلوه الأخاء الصحيح
أنر وإنى لك يا مصطفى   هذا الذى يعجز عيسى المسيح ؟
..اء يا أماه أنت التى   أورثتنى هــذا البلاء الصريح
ثم آدم أخرجت يا أمنا   من خلده بعد أبينا الطليح ؟

*

ما زلت رغم الدهر كفئاً له   مشمراً أطلب كنز الشحيح
فان أنل من زمنى مأربى   نعمت فى الدنيا بحسنى الجموح
أو - لا - فحسبى سلوة أننى   ماكنت يوماً بالجبان المشيح !

المحتويات

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩١٧٠ / ١٩٩٩